

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية الآداب / جامعة بغداد

قسم اللغة العربية

أدب الفكاهة والتهكم في القرنين الأول والثاني الهجريين

رسالة تقدم بها

سلماز ساجت شويح

الى مجلس كلية الآداب / جامعة بغداد وهي جزء من متطلبات

نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

بإشراف الاستاذ المساعد الدكتور

عبد المنعم عزيز النصر

٢٠١٣ م

١٤٣٤ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿فَتَبَسَّ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي
أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي
بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٩)

صدق الله العظيم

(سورة النمل: الآية ١٩)

إقرار المشرف

أقرّ أنّ إعداد هذه الرسالة الموسومة (ادب الفكاهة والتهكم في القرنين الأول والثاني الهجريين) التي قدّمها الطالب (سلمان ساجت شويح)، وقد جرى تحت إشرافي في جامعة بغداد - كلية الآداب وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في (اللغة العربية وآدابها) ولأجله وقعت .

التوقيع :

الاسم : أ.م. د. عبد المنعم عزيز النصر

التاريخ : / / ٢٠١٣

بناء على التوصيات المقدمة ارشح هذه الرسالة الى المناقشة

التوقيع

أ. م. د. علي خليف حسين

رئيس قسم اللغة العربية

التاريخ: / / ٢٠١٣

إقرار الخبير العلمي

أشهد أن إعداد هذه الرسالة الموسومة (ادب الفكاهة والتهكم في القرنين الأول والثاني الهجريين) التي قدّمها الطالب (سلمان ساجت شويح)، قد جرى تقويمها علمياً ووجدت أنها صالحة من الناحية العلمية في جامعة بغداد - كلية الآداب وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في (اللغة العربية وآدابها) .

التوقيع :

الاسم: أ.د. عباس عبيد كزار

التاريخ: / / ٢٠١٣

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن أعضاء لجنة المناقشة إننا اطلعنا على الرسالة الموسومة (ادب الفكاهة والتهمك في القرنين الأول والثاني الهجريين) التي قدمها الطالب (سلمان ساجت)، وقد ناقشنا الطالب في محتوياتها وفيما له علاقة بها وقد وجدناها جديرة بالقبول لنيل درجة الماجستير في (اللغة العربية وآدابها)

التوقيع :	التوقيع :
الاسم: أ. د. نصيرة أحمد حمزة	الاسم: أ.م. د. أسراء خليل خلف
التاريخ:	التاريخ:
رئيساً	عضواً

التوقيع :	التوقيع :
الاسم: أ.م. د. سلام أحمد خلف	الاسم: أ.م. د. عبد المنعم عزيز النصر
التاريخ:	التاريخ:
عضواً	عضواً ومشرفاً

صدققت الرسالة في مجلس كلية الآداب – جامعة بغداد

أ.م.د. فيصل غازي مجهول
عميد كلية الآداب/ جامعة بغداد

٢٠١٣ / /

الاهداء

لا روح والدي ووالدتي في (الرحم مفاع
لا من (شربهم (الزبي زوجتي و(بنائي و(حمفاتي
الذين صبروا معي..

لا من بذلوا (انفسهم رخصة من (عمل (العراق (الشهداء

(عدي عتي (المتواضع عزرا

شكر وامتنان

الحمد لله الذي هدانا بالقرآن ودعانا للعلم والايمان والصلاة والسلام على سيد الكائنات محمد صلى الله عليه واله وصحبه والتابعين في ملته اجمعين.

لايسعني وانا انتهي من انجاز رسالة الماجستير الا ان اقدم جزيل الشكر ووافر الامتنان الى استاذي الفاضل الاستاذ المساعد الدكتور عبد المنعم عزيز النصر للجهود العلمية الكبيرة التي بذلها في الاشراف على هذه الرسالة فمنحني بسخاء كل وقته وذلل امامي كل العقبات التي صادفتني

وأود هنا ان اسجل شكري وثنائي لجميع اساتذتي الافاضل الذين تتلمذت على أيديهم في السنة التحضيرية للماجستير لما قدموه لنا من زاد علمي وفكري.

وفي الختام اتقدم بالشكر والاحترام الى جميع من قدم لي يد المساعدة والارشاد وممن لم يتيح المجال لذكرهم في هذه الصفحة. واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

الباحث

المحتويات

الصفحة	الموضوع
	المحتويات
٤-١	المقدمة
٣٥-٥	التمهيد
٧-٦	اولاً: مفهوم الفكاهة والتهكم لغة واصطلاحاً
٨-٧	ثانياً: الفكاهة والتهكم بالادب العربي
١٢-٨	ثالثاً: نظرة العرب القدامى للفكاهة
١٩-١٣	اشهر الصحابة بالمزاح
٣٥-١٩	الطرائف والنوادر في العصر الاسلامي
٨٣-٣٦	الفصل الأول: البواعث
٥٠-٣٧	المبحث الاول: البواعث السياسية
٧٠-٥١	المبحث الثاني: البواعث الاجتماعية الجديدة (الحضارية)
٨٣-٧١	المبحث الثالث: البواعث الاقتصادية
١٦٧-٨٤	الفصل الثاني: الفكاهة والتهكم في الشعر والنثر
١٣٢-٨٥	المبحث الاول: التهكم والسخرية في الشعر العربي في القرنين الاول والثاني الهجريين
٩٢-٨٦	١- التهكم الشخصي (السخرية من الاعراض والانساب)
١٢٣-٩٢	٢- التهكم والسخرية من اعضاء الجسم والغباء والثقل والجبن (العيوب والمثالب)
١٢٧-١٢٣	٣- السخرية والتهكم من الحال
١٣٢-١٢٧	٤- السخرية من من الزوجات والازواج والبنات والمغنين والمغنيات والخدم

الصفحة	الموضوع
١٦٧-١٣٣	المبحث الثاني: التهكم والسخرية في النثر العربي وفنون الكتابة في القرنين الاول والثاني الهجريين
١٤٤-١٣٤	اولاً: التهكم والسخرية في الخطابة العربية
١٣٤	الخطابة اصطلاحاً
١٣٦-١٣٤	(١) من الخطابة الراشدية: (خطبة الامام علي بن ابي طالب {عليه السلام} في اهل العراق)
١٤١-١٣٦	(٢) نموذج من الخطبة في العصر الاموي (خطب التهكم والسخرية)
١٤٤-١٤١	(٣) الخطابة في العصر العباسي (التهكم والسخرية) نموذج من الخطابة
١٤٨-١٤٤	ثانياً: الحكاية
١٤٧-١٤٤	حكاية عروة بن مرثد للجاحظ
١٤٨-١٤٧	نص مختار من كتاب الحيوان للجاحظ حكاية: حية ذات رأسين
١٦٧-١٤٨	ثالثاً: الرسائل
١٥٢-١٥٠	(١) الرسائل في عصر صدر الاسلام
١٥٩-١٥٢	(٢) نماذج من رسائل العصر الاموي
١٦٧-١٦٠	(٣) نماذج من رسائل العصر العباسي
٢٥٨-١٦٨	الفصل الثالث: الدراسة الفنية في القرنين الاول والثاني الهجريين
٢١٧-١٦٩	المبحث الاول: الخصائص الفنية لشعر السخرية والفكاهة في صدر الاسلام والعصر الاموي والعباسي الاول
٢٥٨-٢١٨	المبحث الثاني:
٢٣٢-٢١٩	أ. الخصائص الفنية الساخرة في نثر ادب الفكاهة والسخرية في صدر الاسلام والعصر الاموي

الصفحة	الموضوع
٢٢١-٢١٩	١- عدم التألق في البدء والختام
٢٢٣-٢٢١	٢- الأيجاز والأطناب
٢٢٦-٢٢٣	٣- الجزالة
٢٢٧-٢٢٦	٤- مراعاة ذكر مواقع آيات القرآن والسجع في الكتب وذكر أبيات الشعر في المكاتبات والرسائل
٢٢٨-٢٢٧	٥- عدم التصنع الإنشائي
٢٣٠-٢٢٨	٦- الميل إلى التلميح من دون التصريح
٢٣٢-٢٣١	٧- استعمال الصور البلاغية
٢٥١-٢٣٣	ب. الخصائص الفنية الساخرة لمضامين الرسائل الأدبية والاخوانية والديوانية في نثر العصر العباسي الأول
٢٣٦-٢٣٣	أولاً: الرسائل الأدبية
٢٤٠-٢٣٦	ثانياً: الرسائل الاخوانية
٢٥١-٢٤٠	ثالثاً: الرسائل الديوانية
٢٥٨-٢٥١	ج. اختيار الألفاظ الساخرة وزخرفتها في نثر العصر العباسي الأول
٢٥٤-٢٥١	أولاً: المحسنات البديعية الساخرة في رسائل سهل بن هارون
٢٥٨-٢٥٥	ثانياً: المحسنات البديعية الساخرة في رسائل عمرو بن مسعدة
٢٦٢-٢٥٩	الخاتمة
٢٧٧-٢٦٣	المصادر والمراجع
a	ملخص الأطروحة باللغة الانكليزية

الفقه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّد المرسلين محمّد، وعلى آله الطيّبين الطاهرين وصحبه أجمعين، وبعد:

كنت أدرك صعوبة البحث في الفكاهة والتهكم في الادب في القرنين الاول والثاني الهجريين، لعلمي أنّها مختلطة في الهجاء والسخرية والدعابة وغيرها ولكني ايقنت أن تمام الامر يحتاج الى مزيد من التروي والجهد.

وبدأت أتزود بالثقافة التاريخية والادبية التي تعينني على فهم طبيعة الفكاهة والتهكم في عصر صدر الاسلام والاموي والعصر العباسي الاول، وعلاقة الشعراء والكتاب بأدب تلك الفترة في هذين القرنين الاول والثاني الهجريين، وأطلعت على ما فيها من نثرٍ وشعرٍ، وأدركتُ بعد مدة أن دراسة الادب في تلك الحقبة لا يمكن أن تكون بمعزلٍ عن التاريخ.

وبعد تقليب دواوين شعراء القرنين الاول والثاني الهجريين، والنثر وانواعه في تلك الفترة، عانيت كثيراً في العثور على المصادر الفكاهية التي تناولت موضوع دراستي لذلك تمكنت من الحصول على الموضوعات المتيسر التي لها مساس مباشر بموضوع الفكاهة والتهكم في القرنين الاول والثاني الهجريين، تناولت هذه الحقبة بكل ما فيها من مشكلات وتناقضات، فمضيتُ أجمع الاخبار والاشعار والقطع النثرية التي تتعلق بموضوع الفكاهة والتهكم والسخرية.

واخذت من كتب الادب التي اهتمت بالنثر والشعر في تلك الحقبة من العصر الاسلامي واطلعت على دواوين الشعراء في عصر صدر الاسلام والعصر الاموي والعباسي الذين عاشوا في هذه الحقبة ومنهم الحطيئة وحسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وجريير والفرزدق والاختل والراعي وذو الرمة، وبشار بن برد، وابو

نواس، ودعبل الخزاعي وأخذت من امهات كتب الادب والتاريخ، ومنها على سبيل المثال، البخلاء للجاحظ والشعر والشعراء لابن قتيبة، والاعاني للأصفهاني، وزهر الآداب للحصري، والعمدة لابن رشيقي، وخزانة الادب لعبد القادر بن عمر البغدادي، وفوات الوفيات لمحمد بن شاعر الكبتي، ونكت الهميان للصفدي. ومن كتب التاريخ، تاريخ الامم والملوك للطبري، ومروج الذهب للمسعودي، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي، واستعنت بكتب المحدثين ومنها على سبيل المثال، التطور والتجديد في الشعر الاموي لشوقي ضيف، وشعراء العصر العباسي لشوقي ضيف، والشعراء من مخزومي الدولتين الاموية والعباسية.

واقمت دراستي على المنهج الوصفي الذي أتاح لي فرصة التعامل مع النصوص بما يناسبها، ولكنه ظل واضحاً ان المنهج التاريخي والمنهج التحليلي، وهما الابرز والاوضح، وجعلت بناء هذه الدراسة في ثلاثة فصول وتمهيد.

وقفت في الفصل الاول على بواعث الفكاهة والتهكم، البواعث الحضارية والسياسية والاقتصادية .

وعرضت في الفصل الثاني على موضوعات الشعر والنثر، وقد تعمدت ان تكون الفكاهة والتهكم والسخرية من اعضاء الجسم والصفات العامة التي تمتع بها ادباء تلك الحقبة شعراً ونثراً.

وافردت للتهكم والفكاهة والسخرية الجوانب المعنوية في ذات الانسان وحياته، وقد يرد فيها التهكم والسخرية من ضيق الحال التي عبر عنها شعراء وكتاب هذين القرنين من شعراء الكدية والفقر، واستغرقت السخرية من البخل في هذا الفصل جزءاً كبيراً، يشير الى شدة كره الناس لهذه العادة، وتناول الشعراء والكتاب ايضاً الصفات المذمومة مثل: الجبن والغباء والثقل والسماجة واخلاف الوعد. وتناولت النثر الفني من خطابة وحكاية ورسائل فكاهية .

وخصصت الفصل الثالث للدراسة الفنية، وتناولت فيه لغة الكتاب والشعراء
وصورهم والبديع والاسلوب الشعري والصورة.

وتناولت في النثر الصفات الشكلية التي تميزت بها الرسائل في العصر
الاسلامي من جناس وطباق واستعارة وكناية .

وتناولتُ رسائل الرسول محمد {صلى الله عليه وسلم} والصحابة والكتاب مثل عبد
الحميد الكاتب وابن المقفع وعمر بن مسعدة وسهل بن هارون. وقد اعطيت بعض
الشعراء اهتماماً كبيراً مثل ابي نواس وبشار بن برد ودعبل الخزاعي والفرزدق
وجرير والاخلطل.

وقد فاق الاهتمام بهؤلاء الشعر غيرهم، ولم يكن ذلك رغبة مني ولكن حجم
الاسهام الذي قدماه كان اكبر مما قدمه بقية شعراء التهكم ولا ازعم ان هذه الدراسة
احاطت بالموضوع احاطة وافية، ولكنني حاولت أن اخرجها على افضل وجه
ارتأيتة، فان كنت قد وفقت فذلك ما قصدت اليه، وان كنت قصرت عن بلوغ هدفي
فحسبي اني اجتهدت.

الباحث

التعريف

أولاً: مفهوم الفكاهة والتهكم لغة واصطلاحاً

الفكاهة لغة:

جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣٩٥هـ) قوله: (الرجل الفكاه الطيبُ النفس)^(١)، ويقال افكهمهم بملح الكلام، اي اطرفهم، والاسم الفكاه والفكاهة^(٢). ولقد وردت كلمة الفكاهة في الذكر الحكيم: ﴿فَكَيِّمِينَ بِمَا أَنَّهُمْ رَبُّهُمْ﴾^(٣).

والدعابة: هي المزاح واللعب والمضاحكة^(٤).

والمُرْخُ والمِرَاح: الدعابة نقيض الجد^(٥).

والهزل والهزلة: الفكاهة^(٦).

والتهكم: هو الاستخفاف والاستهزاء والعبث^(٧)، والسخرية: هي الاستهزاء والسخره والضحك^(٨).

الفكاهة والتهكم اصطلاحاً:

(إنَّ التَّهْكَمَ لَوْنٌ هَزَلِيٌّ أَدْبِيٌّ يَقُومُ عَلَى التَّقْضِ الْمُضْحِكِ أَوْ التَّجْرِيحِ وَهِيَ طَرِيقَةٌ تَعْبِيرِيَّةٌ مُتَطَوِّرَةٌ، اسْتَعْمَلَهَا الْأَدْبَاءُ لِنَقْدِ الْأَوْضَاعِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْاِقْتِسَادِيَّةِ السَّائِدَةِ فِي تِلْكَ الْعُصُورِ، وَالنَّيْلَ مِنْهَا بِأَسْلُوبٍ يَتَرَفَّعُ عَنِ الشَّتِيمَةِ

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (فكه): ٤٤٦/٤.

(٢) المخصص لابن سيده: ١٩/١٣؛ لسان العرب، مادة (فكه): ٣٦/١٦.

(٣) سورة الطور، الآية: ١٨.

(٤) لسان العرب، مادة (دعب)؛ المخصص لابن سيده: ١٩/١٣.

(٥) المصدر نفسه، مادة (مزح)، ١٠٠/٧.

(٦) المخصص لابن سيده: ١٩/١٣.

(٧) لسان العرب، مادة (هكم).

(٨) المصدر نفسه، مادة (سخر).

والسَّبَاب والاقذاع والفحش، لأنَّ الحديث السَّاخر التَّهكمي ينبغي أن لا يَكُون مُحْتَدًا
ثائرًا والا يكون سيء اللفظ بذنيًا^(١).

فالتَّهكم اذن اسمى انواع الفكاهة في الكشف عن الاخطاء بطريقة غير مُباشرة
وهي (أداة في أيدي الفلاسفة والأدباء، ويستعملها الساسة للنكاية من خصومهم)^(٢).

ثانياً: الفكاهة والتَّهكم في الأدب عند العرب

الفكاهة والضحك، قال تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ هُوَ أَضْحَكٌ وَأَبْكِي﴾^(٣). ومن هنا كان

الضحك ظاهرة لها قيمة عظيمة في حفظ حياة الفرد والمجتمع، وقد تطورت هذه
الظاهرة من ضحك تثيره امور عارضة الى الضحك الذي تثيره أمور مقصودة معده.
كما نرى ذلك في التمثيل الهزلي والتنكيت الذي يعد إعداداً للضحك أذن تأثيره في
الفرد يكون من خلال ما يتناوله من حيث نفسيته واعضائه^(٤).

متى نضحك؟

إذا كنا قد نضحك بما يبعثُ فينا عاطفة أو انفعالاً فأنا في هذه الحالة تغلب
الضحك عليها، فيتجه مثيراً الضحك الى عقولنا اكثر من اتجاهاه الى عواطفنا.

هل نضحك من كل أمر مثير للضحك بغضّ النظر عن مصدره وملابساته؟
الجواب -لا- فإنّ الذي يضحكنا لابد أن يكون انسانياً، من انسان او الى انسان.

فكثيراً ما نشاهد في الحيوان مناظر لا يضحك لها، ولو انها صدرت عن
انسان لأضحكنا.

(١) ثقافة الناقد الادبي: ٣٣٣.

(٢) يُنظر: الفكاهة في الادب العربي الى نهاية القرن الثالث الهجري: ٣٤.

(٣) سورة النجم، الآية: ٤٣.

(٤) يُنظر: الضحك لبرجسون: ١٥.

إن الحياة بغير ضحك عبء ثقيل لا يحتمل، وهي بغير فكاهة تشير الضحك جافة مملّة والحق اننا لا نضحك ونحن في عزلة، لان الضحك اجتماعي بحاجة الى صدى وتجارب، ولقد تنبه الى هذه الحقيقة الجاحظ منذ زمن بعيد إذ قص حادثاً عرض له، وضحك منه، وقال: (فما ضحكك قط، كضحكي تلك الليلة... ولو كان معي مَنْ يفهم طيب ما تكلم به لآتي عليّ الضحك أو لقضي عليّ، ولكن ضحك مَنْ كان وحده لا يكون على شطر مشاركة الاصحاب)^(١).

واذا كان الغرض من الفكاهة هو الاضحاك والضحك فحسب وأنما هو التقويم والتهديب والاصلاح، لعرض انواع النقص أو القبح أو الخروج على المؤلف، فأنه يشترط في هذا ألا يخرج المتهكم، ولهذا ذهب افلاطون الى القول: (إن الجَّهْلَ يجب أن لا يكون مؤذياً للآخرين)^(٢).

ثالثاً: نظرة العرب القدامى للفكاهة

لقد ورد عن العرب القدامى كثيراً من الموضوعات الفكاهية، حيث سموا أبناءهم بالضحّاك، وبَسَام، وَطَلِقْ وَطَلِيقْ، وَبَشَرٌ وَبَشِيرٌ، وَجَذْلَان، وَفَرَحَان، والعرب إذا مدحت رجلاً قالوا: (هُوَ ضَحُوكُ السِّنِّ، بَسَامُ الْعَشِيَّاتِ، هَشُّ الِى الضَّيْفِ)^(٣).

وإذا ذمته قالت: (هُوَ عَبُوسُ الْوَجْهِ، جَهْمُ الْمَحْيَا، كَرِيهِ الْمَنْظَرِ، حَامِضُ الْوَجْهِ). ومما نسب الى النبي {صلى الله عليه وسلم} (رَوْحُوا الْقُلُوبُ سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ، فَإِنَّ

(١) البخلاء للجاحظ: ١٢٤.

(٢) يُنظر: فن الشعر لأرسطو: ١٦.

(٣) كتاب العقد الفريد: ٣٨١/٦؛ نهاية الأرب: ٢/٤؛ في بعض النسخ: (الثنيات) في نهاية الأرب (بسام العشيات).

الْقُلُوبُ إِذَا كَلَّتْ عَمِيَّتْ^(١)، وَقِيلَ إِنَّهُ {صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} (كَانَ يَضْحَكُ حَتَّى تَبْدُو نَوَاجِدَهُ)^(٢) وَذُكِرَ عَنْهُ {صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ}: (كُلَّ كَرِيمٍ طَرُوبٌ)^(٣).

ومما ذكر صاحب العقد الفريد أن سويداء لبعض الأنصار كانت تختلف الى عائشة، فتلعب بين يديها وتضحكها، وربما دخل النبي {صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} على عائشة فيجدها عندها فيضحكان جميعاً، ثم أن النبي {صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} فقدتها فقال: يا عائشة، ما فعلت السويداء، فقالت له إنها مريضة، فجاءها النبي {صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} يعودها، فوجدتها في الموت، فقال لأهلها إذا توفيت فأذنوني، فلما توفيت آذنه، فشدها وصلى عليها، وقال: (اللَّهُمَّ إِنَّهَا كَانَتْ مَرِيضَةً عَلَى أَنْ تُضْحِكَنِي فَأُضْحِكَهَا فَرَحاً)^(٤).

فمن الفخر بالهشاشة والضحك والفكاهة قول الشاعر :

أَهَازِلُ حَيْثُ الْهَزْلُ يَحْسَنُ بِالْفَتَى وَإِنِّي إِذَا جَدَّ الرَّجَالِ لَدَوُ جَدِّ

وقال رجل لأبن عيينه: المزاح سبه فقال له: بل سبه لمن لا يحسنه، وأنشد^(٥):

يَا سَاعَتِي فِي مَجُونِي قَدْ طَبْتُ مِنْكَ وَطَبْتُ

إِنِّي إِذَا ضَاقَ صَدْرِي قَطَعْتُ بِالسَّخْفِ وَقْتِي

وقد أرسل أبان بن عبد الحميد قصيدة الى الفضل بن يحيى، ليعرفه بنفسه، ويعدد له مزاياه، وكان منها أنه فكه ظريف المزاح^(٦):

(١) كتاب العقد الفريد: ٣٧٩/٦ ؛ نهاية الارب: ١/٤.

(٢) المصدر نفسه: ٣٧٩/٦ ؛ المصدر نفسه: ١/٤.

(٣) المصدر نفسه: ٣٧٩/٦ .

(٤) المصدر نفسه: ٣٨١/٦ .

(٥) محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للأصفهاني: ١٧٨/١ .

(٦) الأغاني للأصفهاني: ٧٥/٢٠.

أنا من بُغِيَةِ الأميرِ وَكَنَزْ مَنْ كُنُوزِ الأميرِ ذُو أَرْباحِ
كَاتِبَ حَاسِبِ خَطِيبِ أَدِيبْ نَاصِحَ زائدِ عَلَى النَّصَاحِ
شَاعِرٌ مُفْلِقٌ أَخْفَ مِنَ الرِّيشَةِ مِمَّا يَكُونُ عِنْدَ الْجَنَاحِ

(وَلِلضَّحْكِ مَوْضِعٌ، وَلَهُ مَقْدَارٌ، وَلِلْمَزْحِ مَوْضِعٌ وَلَهُ مَقْدَارٌ مَتَى جازهما احد وقصر عنهما احدُ صار الفاضل خطأً والتقصير نقصاً، فَاَلنَّاسُ لَمْ يَعْيُيُوا الضَّحْكَ إِلَّا بِقَدْرِ وَلَمْ يَعْيُيُوا الْمَزَاحَ إِلَّا بِقَدْرِ، وَمَتَى أريدَ بِالْمَزْحِ النَّفْعُ، وَبِالضَّحْكِ الشَّيْءُ الَّذِي لَهُ جَعَلَ الضَّحْكَ صَارَ الْمَزْحُ جَدًّا وَالضَّحْكَ وَقَارًا^(١)).

التهكم والمزاح منه ما نهى عنه ومنه ما رخص به:

١ - ما نهى عنه^(٢)

"قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (الْمَزَاحُ أَسْتَدْرَاجٌ مِنَ الشَّيْطَانِ وَأُخْتِلَاعٌ مِنَ الْهَوَى). وعن علي بن أبي طالب {عليه السلام} قال: مَا مَزَحَ أَحَدٌ إِلَّا مَجَّ مِنْ عَقْلِهِ مَجَّةٌ.

وقال بعضُ الحكماء: تَجَنَّبْ سُوءَ الْمَزَاحِ، وَتَكْدَ الْهَزْلِ. وقال الأحنف: كُثْرَةُ الضَّحْكِ تُذْهِبُ الْهَيْبَةَ، وَكُثْرَةُ الْمَزَاحِ تُذْهِبُ الْمُرُوءَةَ، وَمَنْ لَزِمَ شَيْئًا عُرِفَ بِهِ وَمِمَّا روي عن الصَّحَابَةِ رضوان الله عليهم: أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَحَادَثُونَ وَيَتَنَاشَدُونَ الْأَشْعَارَ، فَإِذَا جَاءَ ذُكْرَ اللَّهِ انْقَلَبَتْ حَمَالِقُهُمْ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا أَحَدًا".

(١) ينظر: البخلاء للجاحظ: ٧.

(٢) المستطرف في كل فن مستظرف: ٣١٠/٢.

٢- ما رخص به

فيما جاء في الترخيص في المزاح: لا بأس بالمزاح ما لم يكن سفهاً والله تعالى وعد في اللوم بالتجاوز والعفو فقال: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾^(١)، وكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يمزح ولا يقول إلا حقاً فمن ذلك: أنه قال {صلى الله عليه وسلم} لرجل استحملة: (نَحْنُ حَامِلُوكَ عَلَى وَلَدِ النَّاقَةِ) يريد: البعير. وقال {صلى الله عليه وسلم} لامرأةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ: (الْحَقِّي زَوْجَكَ فَقِي عَيْنَيْهِ بَيَاضٌ). فسعت المرأة نَحْوَ زَوْجِهَا مَرْعُوبَةً، فقال لها: ما دَهَاكِ؟ فقالت: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ {صلى الله عليه وسلم}: إِنَّ فِي عَيْنَيْكَ بَيَاضاً، فقال: إِنْ فِي عَيْنَيْ بَيَاضاً؟ فقال: نَعَمْ وَاللَّهِ وَسَوَاداً^(٢)، وأنته عَجُوزٌ أَنْصَارِيَّةٌ فقالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَدْعُ لِي بِالْمَغْفِرَةِ فَقَالَ لَهَا: (أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا الْعَجْزُ) فَصَرَخَتْ، فَتَبَسَّمَ {صلى الله عليه وسلم} وقال لها: أَمَا قَرَأْتَ ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً﴾^(٣).

وكما ضحك رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ومزح ضحك الصالحون ومزحوا، وقد اشتهر الامام علي بن أبي طالب {عليه السلام} بدعابته وبجبهه للفكاهة، ومما روي عنه قوله: (أَجْمُوا هَذِهِ الْقُلُوبَ وَالتَّمَسُّوا لَهَا طُرْفَ الْحِكْمَةِ فَإِنَّهَا تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَبْدَانُ، وَالنَّفْسُ مَوْثِرَةٌ لِلْهَوَى، آخِذَةٌ بِالْهُوَيْنَى، جَانِحَةٌ إِلَى الْهُو، أَمَّارَةٌ بِالسَّوْءِ، مُسْتَوْطِئَةٌ

(١) سورة النجم، الآية: ٣٢.

(٢) نهاية الارب: ٣/٤؛ المستطرف في كل فن مستظرف: ٣١١/٢.

(٣) سورة الواقعة، الآية: ٣٥-٣٧.

لِلْعَجْزِ، طَالِبَةٌ لِلرَّاحَةِ، نَافِرَةٌ عَنِ الْعَمَلِ، فَإِنَّ أَكْرَهَتَهَا أَنْضِيَّتُهَا، وَأَنَّ أَهْمَلَتَهَا أَرْذَيَّتُهَا^(١).

ومما يروي أن عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز، دخل على أبيه عمر، وهو ينام نومة الضحى، فقال: (يا أبت أتنام وأصحاب الحوائج رَاكِدُونَ بَبَابِكَ ؟ قال: يَا بُنَيَّ، إِنَّ نَفْسِي مَطِيئِي، فَإِنْ أَنْضِيَّتَهَا قَطَعْتُهَا، وَمِنْ قَطَعِ الْمَطِيَّ لَمْ يَبْلُغِ الْعَايَةَ)^(٢).

ويروى أيضاً، أن هشام بن عبد الملك قال: (أَكَلْتُ الْحُلُوَّ وَالْحَامِضَ حَتَّى مَا أَجِدَ لَوَاحِدٍ مِنْهُمَا طَمَعاً، وَشَمِمْتُ الطَّيِّبَ حَتَّى مَا أَجِدُ لَهُ رَائِحَةً، وَأَتَيْتُ النِّسَاءَ حَتَّى مَا أَبَالِي امْرَأَةً أَتَيْتُ أُمَّ حَائِطًا، مَا وَجَدْتُ شَيْئاً أَلَذَّ إِلَيَّ مِنْ جَلِيسٍ تَسْقُطُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مَوْوَنَةٌ التَّحْفُظُ)^(٣).

ويتبين من تلك الأمثلة أنَّ هناك آراء مختلفة في موضوع المزاح أو الفكاهة ولا غرابة في ذلك طالما أن الناس مختلفون في مزاجهم، ومختلفون أيضاً في تقديرهم، وفي حكمهم على الأشياء وإلى جانب هذه الآراء فهناك آراء تذهب إلى الدعوة لمنع المزاح.

وقيل^(٤) :

الْأَرْبُ قَوْلٍ قَدْ جَرَى مِنْ مُمَازِحٍ فَسَاقَ إِلَيْهِ الْمَوْتَ فِي طَرْفِ الْحَبْلِ
فَإِنَّ مَزَاحَ الْمَرْءِ فِي غَيْرِ حِينِهِ دَلِيلٌ عَلَى فَرْطِ الْحَمَاقَةِ وَالْجَهْلِ

(١) كتاب العقد الفريد: ٣٧٩/٦ .

(٢) المصدر نفسه: ٣٧٩/٦ .

(٣) المصدر نفسه: ٣٧٩/٦-٣٨٠ .

(٤) نهاية الأرب: ٧٣/٤ وما بعدها .

اشهر الصحابة بالمزاح

ذكر من اشتهر بالمزاح من الصحابة رضوان الله عليهم في العصر الإسلامي:

١- نعيمان^(١)

وهو أحد أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من البدرين وله رضي الله عنه مزاحات مشهورة رواها المصنفون ومنها (أنه خرج مع أبي بكر الصديق الى بصرى، وكان في الحملة سوييط، وهو بدري أيضاً، وكان سوييط على الزاد، فجاءه نعيمان فقال له: أطعمني؛ قال: لا، حتى يأتي أبو بكر، فقال نعيمان: والله لأغيظنك، وجاء الى أناس جلبوا ظهراً، فقال ابتاعوا مني غلاماً عربياً فارهاً إلا أنه دعاء له لسان طويل لعله يقول: أنا حر؛ فإن كنتم تاركيه لذلك فدعوه، لا تفسدوا علي غلامي، قالوا: بل نبتاعه منك بعشر قلائص، فأقبل بها يسوقها، وأقبل بالقوم حتى عقلها، ثم قال: دونكم! هذا هو. فقالوا: قد اشتريانك. فقال سوييط هو كاذب أنا رجل حر، فقالوا قد أخبرنا خبرك، ووضعوا في عنقه حبلاً وذهبوا به فجاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه فأخبر بذلك فذهب هو واصحابه، فردوا القلائص على أربابها وأخذوه... وأخبر النبي {صلى الله عليه وسلم} بالقصة فضحك منها حولاً^(٢).

ومن مزاحاته أيضاً: (أنه مر يوماً بمخرمة بن نوفل الزهري، وهو ضرير، فقال له: قدني حتى أبول فأخذ بيده حتى إذا كان في مؤخر المسجد قال له: أجلس، فجلس مخرمة لبيول، فصاح الناس: يا أبا المسور، أنت في المسجد فقال: من قادني؟ فقبل له: نعيمان. قال: لله علي أن أضربه بعصاي إن وجدته. فبلغ ذلك نعيمان، فجاء يوماً فقال لمخرمة: يا أبا المسور، هل لك في نعيمان؟ قال: نعم؛ قال: هو ذا يصلي،

(١) نعيمان: نعيمان بن عمرو بن رفاعه، أحد اصحاب الفكاكة من اصحاب الرسول (صلى الله عليه وسلم) توفي زمن معاوية، انظر: العقد الفريد: ٣٨١/٦ .

(٢) نهاية الأرب: ٣/٤ وما بعدها .

وأخذ بيده وجاء به الى عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو يصلي، فقال: هذا نعيمان، فعلاه مخرمة بعصاه، فصاح به الناس: ضربت أمير المؤمنين فقال: من قاذني؟ قالوا: نعيمان، فقال: لا جرم لا عرضت له بسوء أبداً^(١).

٢- ابن أبي عتيق^(٢)

وهو من نساك قريش وظرفائهم، بل أكثرهم ظرفاً، فمن طريف أخباره أنه سمع وهو بالمدينة قول ابن أبي ربيعة^(٣):

فَمَا نَلْتُ مِنْهَا مُحَرَّمًا غَيْرَ أَنَّنَا كِلَانَا مِنَ الثُّوبِ الْمُطَرَّفِ لَا بَسْ

فقال: أَيْنَا يَلْعَبُ ابْنُ أَبِي رَبِيعَةَ! فَأَيَّ مُحَرَّمٍ بَقِيَ! فَارْكَبْ بَغْلَتَهُ مَتَوَجَّهًا إِلَى مَكَّةَ، فَلَمَّا دَخَلَ أَنْصَابَ الْحَرْبِ قِيلَ لَهُ: أَحْرَمٌ. قَالَ: إِنَّ ذَا الْحَاجَةِ لَا يُحْرَمُ، فَلَقِيَ ابْنَ أَبِي رَبِيعَةَ فَقَالَ: أَمَا زَعِمْتَ أَنَّكَ لَمْ تَرْكَبْ حَرَامًا قَطُّ! قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَمَا قَوْلُكَ:

* كِلَانَا مِنَ الثُّوبِ الْمُطَرَّفِ لَا بَسْ *

وهو الذي سمع قول عمر بن أبي ربيعة :

مَنْ رَسُولِي إِلَى الثَّرِيَّا بَأْنِي ضَقْتُ ذَرْعًا بِهِجْرُهَا وَالْكِتَابُ!

فلبس ثيابه وركب بغلته وأتى باب الثريا، فاستأذن عليها، فقالت: والله ما كُنْتُ لَنَا زَوَارًا، فقال: أَجَلْ، وَلَكِنِّي جِئْتُ بِرِسَالَةٍ؛ يَقُولُ لَكَ ابْنُ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ:

(١) نهاية الأرب: ٤/٤ .

(٢) ابن أبي عتيق: وهو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، وهو من نساك قريش وظرفائهم، الكامل في الادب للمبرد: ٢٣٥/٢.

(٣) ديوان عمر بن أبي ربيعة: ٤٨؛ الكامل في الادب للمبرد: ٢٣٥/٢.

*** ضِفْتُ ذُرْعاً بِهَجْرِكَ وَالْكِتَابِ ***

فَلَامَهُ عُمَرُ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ: إِنَّمَا رَأَيْتَكَ مُتَلَدِّدًا تَلْتَمِسُ رَسُولًا فَخَفَفْتُ فِي حَاجَتِكَ. فَإِنَّمَا كَانَ ثَوَابِي أَنْ أَشْكُرَ^(١).

ومن طريف أخباره (أن عائشة بنت طلحة عتبت على مصعب بن الزبير فهجرته. فقال مصعب: هَذِهِ عَشْرَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ لِمَنْ احْتَالَ لِي أَنْ تُكَلِّمَنِي، فقال له ابنُ أَبِي عَتِيقٍ: عَدِلَ الْمَالُ، ثُمَّ صَارَ إِلَى عَائِشَةَ، فَجَعَلَ يَسْتَعْتِبُهَا لِمَصْعَبٍ، فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا عَزَمِي أَنْ أَكَلِمَهُ أَبَدًا. فلما رأى جدُّها قال لها: يَا بِنْتُ عَمٍّ، إِنَّهُ قَدْ ضَمِنَ لِي أَنْ أَكَلِمْتَهُ عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ. فَكَلِمِيهِ حَتَّى أَخْذَهَا، ثُمَّ عُدِّي إِلَى مَا عَوَّذَكَ اللَّهُ)^(٢).

ومن أخباره أن مروان بن الحكم قال يوماً: (إِنِّي لَمَشْغُوفٌ بِبَغْلَةِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَحِمَهُمَا اللَّهُ فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ: إِنْ دَفَعْتَهَا إِلَيْكَ، أَتَقْضِي لِي ثَلَاثِينَ حَاجَةً؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: إِذَا اجْتَمَعَ النَّاسُ عِنْدَكَ الْعَشِيَّةَ فَإِنِّي أَخْذُ فِي مَآثِرِ قُرَيْشٍ، ثُمَّ أُمْسِكُ عَنْ الْحَسَنِ، فَلَمَّنِي عَلَى ذَلِكَ، فَلَمَّا أَخَذَ النَّاسُ مَجَالِسَهُمْ أَخْذُ فِي مَآثِرِ قُرَيْشٍ، فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ: أَلَا تَذْكُرُ أَوْلِيَّةَ أَبِي مُحَمَّدٍ وَلَهُ فِي هَذِهِ مَا لَيْسَ لِأَحَدٍ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا كُنَّا فِي ذِكْرِ الْإِشْرَافِ، وَلَوْ كُنَّا فِي ذِكْرِ الْأَنْبِيَاءِ لَقَدَمْنَا مَا لِأَبِي مُحَمَّدٍ! فَلَمَّا خَرَجَ الْحَسَنُ لِيَرْكَبَ تَبَعَهُ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ، فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ -وَتَبَسَّمَ-: أَلَيْكَ حَاجَةٌ؟ فَقَالَ: ذَكَرْتُ الْبَغْلَةَ، فَنَزَلَ الْحَسَنُ وَدَفَعَهَا إِلَيْهِ)^(٣).

(١) ديوان عمر بن أبي ربيعة، ٤٨؛ وينظر: الكامل في الأدب للمبرد: ٢٣٥/٢-٢٤٢.

(٢) الكامل في الأدب للمبرد: ٢٣٦/٢ وما بعدها.

(٣) المصدر نفسه: ٢٣٧/٢.

٣- أشعب الطامع ونوادره

ويروى أن اشعب كان مع عثمان، رضي الله عنه، في الدار فلما حُصِرَ جرد مماليكه السيوف ليقاتلوا فقال لهم عثمان: من أغمَد سيفه فهو حر، قال أشعب: فَلَمَّا وَقَعْتُ فِي أَدْنَى كُنْتِ وَاللَّهِ أَوْلَ مَنْ أَغْمَدَ سَيْفَهُ فَأُعْتِقْتُ^(١).

وروي عن إسحاق الموصلي، قال: حَدَّثَنِي الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ، قَالَ^(٢): كَانَ أَشْعَبُ عِنْدَ أَبِي سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَةً، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَ نَعْيُهُ^(٣).

...ومن فكاهاش اشعب المشهورة ما كان مع أبان بن عثمان، فقد قيل ان أبان بن عثمان من أهزل الناس واعبثهم، فقد روي^(٤) أنه اجتمع مع اشعب، إذ أقبل إعرابي ومعه جمل له، فقال أشعب لأبان: هذا والله من البادية أدعوه، فدعي وقيل له، أني في طلب جمل مثل جملك هذا منذ زمان، فلم أجده كما اشتهي بهذه الصفة، وهذه القامة واللون والصدر، والورك والأخفاف فالحمد لله الذي جعل ظفري به من عند من أحبه، أتبيعه. قال: نعم أيها الأمير، فقال: أني قد بذلت لك فيه مائة دينار، وكان الجمل يساوي عشرة دنانير، فطمع الأعرابي وسر وانتفخ، وبان السرور والطمع في وجهه، فأقبل أبان على أشعب ثم قال له: ويلك يا أشعب، إن خالي هنا من أهلك

(١) أنظر الأغاني للأصفهاني (١٧): ٨٣- ١٠٥، وقد ذكر صاحب الأغاني أن أشعب بن جبير، وأسمه شعيب وكنيته أبو العلاء، وأمه أم الجندح: وهو الرجل الغليظ الضخم، وقيل أم جميل وأسمها حميدة؛ وقد ذكر ذلك في نهاية الأرب: ٢٤/٤ أيضاً، وأبوه خرج مع المختار بن أبي عبيد الثقفي ضد مصعب وقتله صبراً، وأمه مولاة أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها، ولادته سنة (٩هـ) وعمر حتى توفي سنة (١٥٤هـ) في أيام المهدي؛ وقد ذكر ذلك أيضاً: ميزان الاعتدال في معرفة الرجال، للذهبي: ٢٦٢/١.

(٢) الربيع بن يونس بن محمد (١١١-١٦٩هـ)، أبو الفضل، وزير المنصور، عاش الى خلافة المهدي، الأغاني للأصفهاني: ٨٣/١٧.

(٣) سنة ١٥٤هـ، كما ذكر ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب في اخبار من ذهب: ٢٣٦/١، وفيها توفي أشعب الطامع ويعرف بأبن أم حميد.

(٤) الأغاني للأصفهاني: ١٠٢/١٧.

وأقاربك - يعني الطي- فأوسع له مما عندك، فقال له: نعم بابي أنت وزيادة، فقال له أبان. يا خالي إنما زدتك في الثمن على بصيرة وإنما الجمل يساوي ستين ديناراً، ولكن بذلت لك فيه مائة دينار لقلّة النقد عندنا، وأني أعطيك به عروضا تساوي مائة، فزاد طمع الإعرابي وقال: قد قبلت ذلك أيها الأمير، فأسر الى أشعب، فأخرج شيئاً معطى فقال له: أخرج ما جئت به فأخرج جرد عمامة خز خلق تساوي أربعة دراهم، فقال له: قومها يا شعب، فقال له: عمامة الأمير تُعرف به، ويشهد فيها الأعياد ويلقى فيها الخلفاء^(١)، وتساوي خمسون دينار ضعتها بين يديه، فكان الإعرابي يدخل بعضه في بعض غيظاً، ولم يقدر على الكلام، ثم قال: هات قلنسوتي، فأخرج قلنسوة طويلة خلقه قد علاها الوسخ والدهن وتخرقت، تساوي نصف درهم، فقال: قوم، فقال: قلنسوة الأمير تملو هامته، ويصلي فيها الخمس، ويجلس للحكم، تساوي ثلاثون ديناراً، قال: أثبت فثبت ذلك، ووضعت القلنسوة بين يدي الإعرابي، فتربد وجهه وجحظت عيناه وهم بالوثوب تم تماسك وهو متقلقل، ثم قال لأشعب: هات ما عندك، فأخرج خفين خلقين قد نقبا وتقسرا وتفتقا، فقال له: قوم، فقال: خفا الأمير يطأ بهما الروضة ويعلو بهما منبر النبي {صلى الله عليه وسلم}، يساوي أربعون ديناراً، فقال: ضعهما بين يديه فوضعهما، ثم قال للإعرابي: أضمم إليك متاعك، وقال لبعض الأعوان: أذهب فخذ الجمل، وقال لآخر: أمضي مع الإعرابي فأقبض منه ما بقي لنا عليه من ثمن المتاع وهو عشرون دينار، فوثب الإعرابي فأخذ القماش ضرب به وجوه القوم، لا يألوا في شدة الرمي به، ثم قال: أتدري أصلحك الله من أي شيء أموت؟ قال: لا، قال: لم أدرك أباك عثمان فاشترىك والله في دمه إذ ولد مثلك، ثم نهض مثل المجنون حتى أخذ برأس بغيره وضحك أبان حتى سقط، وضحك كل من كان معه، وكان الإعرابي بعد ذلك إذا لقي أشعب يقول له: هلم ألي يا ابن الخبيثة حتى أكافئك على تقويمك المتاع يوم قوم، فيهرب أشعب منه .

(١) في نسخة ثانية (الخلايف) .

ومن طرائف اشعب ما كان مع زياد بن عبد الله الحارثي الذي قيل عنه انه كان أبخل خلق الله^(١)، فأولم وليمة يظهر بعض أولاده، وكان الناس يحضرون ويقدم الطعام فلا يأكلون منه إلا تعللاً، لعلمهم به، فقدم فيما قدم جدي مشوي، فلم يعرض له أحد، وجعل يرده على المائدة ثلاثة أيام والناس يجتنبونه، الى أن انقضت الوليمة، فأصغى أشعب الى بعض من كان هناك، فقال، امرأته الطلاق إن لم يكن هنا الجدي بعد أن ذبح وشوي أطول عمراً وأمد حياة منه قبل أن يذبح فضحك الرجل، وسمعها زياد فتغافل.

وعنه أيضاً قال^(٢): أخبرنا المدائني قال: تغذى أشعب مع زياد بن عبد الله الحارثي، فجأوه بمضيرة، فقال أشعب للخباز: ضعها بين يدي، فوضعها بين يديه، فقال زياد: من يصلي بأهل السجن؟ قالوا: ليس لهم إمام، قال: أدخلوا أشعب يصلي، قال أشعب: أو غير ذلك أصلح الله الأمير؟ قال: أحلف ألا أكل مضيرة أبداً.

ومن طرائفه الاخرى مع الغاضري، فقد ذكر^(٣) أن أشعب قد بلغه أن الغاضري قد أخذ في مثل مذهبه ونوادره، وإن جماعة قد استطابوه، فراقبه حتى علم أنه في مجلس من مجالس قریش يحادثهم ويضحكهم، فصار إليه ثم قال له: قد بلغني أنك نحوت نحوي وشغلت عني من كان يألّفني فإن كنت مثلي فأفعل كما أفعل، ثم غضن وجهه وشنجه حتى صار عرضه أكثر من طوله، وصار في هيئة لم يعرفه أحد بها، ثم أرسل وجهه وقال له: أفعل هكذا، وطول وجهه حتى كاد ذهنه يجوز صدره، وصار كأنه وجه الناظر في سيف، ثم نزع ثيابه وتحادب فصار في ظهره حذبه كسنام البعير، وصار طوله مقدار شبر أو أكثر. ثم نزع سرواله وجعل يمد جلد خصييه حتى حك به الأرض، ثم خلّهما من يده ثم قام فتطاول وتمدد وتمطى حتى

(١) الأغاني للأصفهاني: ٨٦/١٧ .

(٢) المصدر نفسه: ٨٦/١٧ .

(٣) المصدر نفسه: ٩٤/١٧ - ٩٥ . الغاضري: وهو احد المغنيين الذي ذهب مذهب اشعب في الغناء في المدينة.

صار كأطول ما يكون من الرجال، فضحك القوم حتى أغمي عليهم وقطع الغاضري
فما تكلم بنادره، ولا زاد على أن يقول: يا أبا العلاء لا أعاود ما تكره، إنما أنا تلميذك
وخريجك، ثم انصرف أشعب وتركه.

ولا شك ان هذه الطرفة تدل على وجود قدرات تمثيلية لدى اشعب مما يدخل
في موضوع الفن التمثيلي المضحك.

لقد أضحك أشعب العامة والخاصة بظرفه ونوادره التي كانت مثار العجب
والتفكير، وسيظل حيثما تطاولت الأيام شخصية فكهة، لها من المقومات البارعة ما
بلغت جيد الزمن نحوه لأدبه وظرفه وحيله وفلسفته. لقد ملأ عصره دعاية وفكاهة
وسار بأسمه الركبان، ذلك لأن القلب شاهد له عند معاينة أدبه بالحلاوة المسبغة
بالظرف، ويشف عن اقتداره وأصالته في هذا المضمار، ويكفي كما ذكر- أبو
عيسى^(١)- أن يذكر الناس أسمه ليهيئوا أنفسهم للضحك، وحسبهم أن يذكروا له
نوادره حتى يمسكوا أحشاءهم من كثرة الضحك.

الطرائف والنوادر في العصر الاسلامي

واخيراً لا بد من الإشارة الى ان هذه الطرائف والنوادر قد اسبغت اجواءها
على مختلف طبقات المجتمع، ويمكننا ان نقسمها على ثلاثة اقسام هي:

١- نوادر العامة

٢- نوادر الخاصة

٣- نوادر أصحاب المهن العلمية والتعليمية

(١) الفكاهة في الادب العربي الى نهاية القرن الثالث الهجري لأبي عيسى: ٩٦.

١ - نوادر العامة

ويذكر فيها طرائف عامة الناس من طفيليين وحمقى ومغفلين. ومما يروى انه، قيل لبعض الأعراب إن شهر رمضان قدم فقال: والله لا بددَن شَمْلَه بالأسْفَار^(١).

ويروى أن رجلاً قد تنسك، وتشبه بالحسن البصري، فشهد جنازة، فوقف على القبر والى جنبه رجل مليح، فضحك، فقال له الناسك: مَا أَعَدَدْتَ لِهَذِهِ الْحُفْرَةِ يَا فُلَان؟ قال: قَدْفُكَ فِيهَا السَّاعَةُ^(٢).

وقيل أن منبوزاً وجد بضفة العراق، وعند رأسه مائة دينار ورقعه مكتوب فيها (أنا الشَّقِيّ أَيْنُ الشَّقِيَّةِ، وَأَيْنُ الْبَغِيِّ وَالْبَغِيَّةِ، وَأَيْنُ الْأَبْقَالِ الطَّرِيَّةِ، مِنْ كَفَلَنِي فَلَهُ هَذِهِ الْمَائَةُ)^(٣).

وقيل لأبي نواس، قد بعثوا الى أبي عبيدة والأصمعي ليجمعوا بينهما، فقال: أَمَّا أَبُو عَبِيدَةَ فَإِنْ خَلَّوْهُ وَسِيفَرُهُ، قَرَأَ عَلَيْهِمْ أَسَاطِيرَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَأَمَّا الْأَصْمَعِيُّ فَبُلْبُلٌ فِي قَفَصٍ يُطَرَّبُهُمْ بِصَفِيرِهِ^(٤).

ومما يروى عن الأعراب أن أعرابياً، حضر المائدة عند يزيد بن مزيد فقال لأصحابه: أَفْرَجُوا لِأَخِيكُمْ فَقَالَ: لَا حَاجَةَ لِي بِأَفْرَاجِهِمْ إِنْ أَطْنَابِي طَوَالَ - يعني سواعده- فلما مد يده ضرط، فضحك يزيد فقال: يَا أَخَا الْعَرَبِ أَظُنُّ أَنَّ طَنْباً مِنْ أَطْنَابِكَ قَدْ أَنْقَطَعَ^(٥).

(١) المستطرف في كل فن مستظرف: ٣١٤/٢.

(٢) كتاب العقد الفريد: ٤٤٤/٦.

(٣) المصدر نفسه: ٤٤٥/٦.

(٤) المصدر نفسه: ٣٨١/٦.

(٥) المستظرف في كل فن مستظرف: ٣١٤/٢ وما بعدها.

ويروى أن أعرابياً سرق غاشية من على سرج ثم دخل المسجد يصلي، فقرأ الإمام: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾^(١)، فقال يَا فَتَاهُ لَا تَدْخُلْ فِي الْفُضُولِ، فلما قرأ ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴾ قال : خذوا غَاشِيَتَكُمْ وَلَا يَخْشَعُ وَجْهِي لَا بَارَكَ اللَّهُ لَكُمْ فِيهَا ثُمَّ رَمَاهَا مِنْ يَدِهِ وَخَرَجَ^(٢).

وقيل إن أعرابية دخلت على قوم يصلون فقرأ الإمام: ﴿ فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾^(٣). وجعلها يرددتها، فجعلت الإعرابية تعدو وهي هاربة حتى جاءت لأختها فقالت: يَا أَخْتَاهُ مَا زَالَ الْإِمَامُ يَأْمُرُهُمْ أَنْ يَنْكِحُونَا حَتَّى خَشِيتُ أَنْ يَقْعُوا عَلَيَّ^(٤).

وصلى إعرابي خلف إمام فقرأ الإمام: ﴿ أَلَمْ تُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴾^(٥). وكان في الصف الأول فتأخر في الصف الآخر، فقرأ: ﴿ ثُمَّ نُنَبِّئُهُمُ الْآخِرِينَ ﴾^(٦)، فتأخر. فقرأ: ﴿ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴾^(٧) وكان أسم البدوي مجرماً، فترك الصلاة وخرج هارباً وهو يقول: والله ما المطلوب غيري، فوجده بعض الأعراب، فقال له: ما لك يا

(١) سورة الغاشية، الآية: ١.

(٢) المستطرف في كل فن مستظرف: ٣١٥/٢.

(٣) سورة النساء، الآية: ٣.

(٤) المستطرف في كل فن مستظرف: ٣١٥/٢.

(٥) سورة المرسلات، الآية: ١٦.

(٦) سورة المرسلات، الآية: ١٧.

(٧) سورة المرسلات، الآية: ١٨.

مجرم: فقال: إن الإمام أهلك الأولين، والآخرين، وأراد أن يهلكني في الجملة والله لا رأيته بعد اليوم^(١).

روي عن الزبير بن بكار قال: جاءت امرأة الى ابن الزبير تستدعي على زوجها، وتزعم أنه يصيب جاريتها، فأمر به فأحضر، فسأله عما أدعت، فقال: هي سوداء وخادمتها سوداء، وفي بصري ضعف، ويضرب الليل برواقه، وإنما أخذ من دنا مني^(٢).

وقيل لإعرابي: مالك لا تجاهد؟ قال: والله إنني لأبغض الموت على فراشي، فكيف أن أسعى إليه راكضاً^(٣).

ومما يروى أن إعرابياً حضر مجلس قوم، فتذاكروا الليل، فقيل له: يا أبا أمامة أتقوم الليل؟ فقال نعم. قالوا: ما تصنع؟ قال: أبول وأرجع أنا^(٤).

ومن هذه النواذر ما تناول بعض المتنبيين إذ قال أبو الطيب اليزيدي: أخذ رجل أدعى النبوة أيام المهدي فأدخل عليه، فقال له: أنت نبي؟ قال: نعم. قال: والى من بعثت؟ قال: أو تركتموني أذهب الى أحد؟ ساعة بعثت وضعتوني في الحبس فضحك منه المهدي وخلق سبيله^(٥).

ويروى أن رجلاً أدعى النبوة بالبصرة: فأتى به مقيداً، فقال له: أنت نبي مرسل؟ قال: أما الساعة، فأنني نبي مقيد، قال: ويحك، من بعثك؟ قال: أبهذا يخاطب الأنبياء؟ والله لولا أنني مقيد لأمرت جبرئيل يدممها عليكم. قال: فالمقيد لا تجاب له دعوة؟ قال نعم الأنبياء خاصة إذا قيدت لم يرتفع دعاؤها. فضحك سليمان. فقال له: أنا

(١) المستطرف في كل فن مستظرف: ٣١٥/٢.

(٢) كتاب العقد الفريد: ٤٤٤/٦.

(٣) المصدر نفسه: ٤٤٧/٦.

(٤) كتاب المستظرف في كل فن مستظرف: ٣١٥/٢.

(٥) كتاب العقد الفريد: ١٤٣/٦.

أطلقك، وأمر جبريل فإن أطاعك آمنا بك وصدقناك، قال: صدق الله ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ

يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾^(١). فضحك سليمان وسأل عنه، فشهد عنده أنه حمرور، فخلى

سبيله^(٢).

قال ثمامة بن أشرس: شهدت المأمون أتي برجل أدعى النبوة، وأنه إبراهيم الخليل فقال المأمون: ما سمعت أجراً على الله من هذا. قلت: أكلمه (قال: شأنك به. فقلت له: يا هذا، إن إبراهيم كانت له براهين. قال: وما براهينه؟ قلت: أضرمت له ناراً وألقي فيها فصارت برداً وسلاماً، فنحن نضرم لك ناراً ونطرحك فيها، فإن كانت عليك برداً كما كانت على إبراهيم آمناً بك وصدقناك. قال: هات ما هو ألين علي من هذا. قال: براهين موسى قال: وما براهين موسى؟ قال: عصاه التي ألقاها، فصارت حية تسعى، تلقف ما يافكون وضرب بها البحر فأنفلق، وبياض يده من غير سوء. قال: هذا أصعب وهات ما هو ألين من هذا. قلت: براهين عيسى. قال: وما براهين عيسى! قلت: كان يحيي الموتى ويمشي على الماء ويبري الأكمه والأبرص. فقال: في براهين عيسى سبيل جئت بالطامة الكبرى. قلت: لابد من برهان فقال ما معنى شيء من هذا، قد قلت لجبريل: إنكم توجهونني الى شياطين، فأعطوني حجة أذهب بها إليهم فغضب، فأمر المأمون بتركه وإخلاء سبيله^(٣).

وروى أن رجلاً أدعى النبوة أيام المهدي، فأدخل عليه فقال: أنت نبي؟ قال: نعم. قال: ومتى نبئت؟ قال وما تصنع بالتاريخ؟ قال: ففي أي المواضع جاءت تلك النبوة؟ قال: وقعنا والله في شغل، ليس هذا من مسائل الأنبياء، إن كان رأيك أن تصدقني في كل ما قلت لك فأعمل بقولي، وأن كنت عزمت على تكذيبني فدعني أذهب عنك. فقال

(١) سورة يونس، الآية: ٨٨.

(٢) كتاب العقد الفريد: ١٤٤/٦.

(٣) المصدر نفسه: ١٤٤/٦.

المهدي: هذا مالا يجوز. إذ كان فيه فساد الدين، قال: واعجباً لك، تغضب لدينك لفساده، ولا أغضب أنا لفساد نبوئتي أنت والله ما قويت علي إلا بمعن بن زائدة والحسن بن قحطبة وما أشبهما من قوادك. وعلى يمين المهدي شريك القاضي، قال: ما تقول في هذا النبي يا شريك؟ قال شاورت هذا في أمري وتركت أن تشاورني. قال: هات ما عندك؟ قال أحاكمك فيما جاء به من قبلي من الرسل. قال: رضيت. قال: أكافر أنا عندك أم مؤمن؟ قال: كافر قال: فإن الله يقول (ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم) فلا تطعني ولا تؤذني ودعني أذهب إلى الضعفاء والمساكين فإنهم أتباع الأنبياء، وأدع الملوك والجبابرة فإنهم حطب جهنم فضحك المهدي وخلي^(١).

وقال ثمامة بن أشرس: كنت في الحبس فأدخل علينا رجل ذو هيئة وبزة ومنظر، فقلت له: من أنت؟ جعلت فداك، وما ذنبك؟ قال جاء بي هؤلاء السفهاء لأنني جئت بالحق من عند ربي، أنا نبي مرسل. قلت: جعلت فداك، معك دليل؟ قال: نعم أكبر الأدلة، أرفعوا إلي امرأة أحبلها لكم، فتأتي بمولود يشهد بصدقني. قال ثمامة فناولته الكاس وقلت له أشرب صلى الله عليك^(٢).

وروي أن رجلاً أدعى النبوة في أيام المأمون، فقال ليحيى بن أكرم: أمضي بنا مستترين حتى ننظر إلى هذا المتنبى وإلى دعواه. فركبنا متكررين، ومعنا خادم حتى صرنا إليه. وكان مستتراً بمذهبه، فأذن لهما ودخلا، فجلس المأمون عن يمينه ويحيى عن يساره فالتفت إليه المأمون فقال له: إلى من بعثت؟ قال: إلى الناس كافة. قال: فيوحى إليك أم ترى في المنام، أم ينفث في قلبك أم تناجي، أم تكلم؟ قال: بل أناجي وأكلم قال: ومن يأتيك بذلك؟ قال: جبريل. قال فمتى كان عندك؟ قال: قبل أن تأتني بساعة. قال: فما أوحى إليك؟ قال: أوحى إلي أنه سيدخل عليّ رجلان فيجلس أحدهما

(١) كتاب العقد الفريد: ١٤٤/٦ - ١٤٥.

(٢) المصدر نفسه: ١٤٥/٦ وما بعدها.

عن يميني والآخر عن يساري، فالذي عن يساري الوط خلق الله. قال المأمون: أشهد أن لا إله إلا الله وإنك رسول الله، وخرجا يتضاحكان^(١).

وتنبأ إنسان وسمى نفسه نوحاً صاحب الفلك، وذكر أن سيكون طوفان على يديه إلا من اتبعه، ومعه صاحب له آمن به وصدقه، فأتي به للوالي، فاستتابه فلم يتب فأمر به فصلب، واستتاب صاحبه وتاب، فناداه من الخشبه قبل أن يصلب: يا فلان اتسلمني الآن في هذه الحالة؟! فقال: يا نوح: قد علمت أنه لا يصحبك من السفينة إلا الصاري^(٢).

وتنبأ رجل وأدعى أنه موسى بن عمران، فبلغ خبره الخليفة فأحضره وقال له: من أنت؟ قال: أنا موسى بن عمران الكليم، قال: وهذه عصاك التي صارت ثعباناً. قال: نعم. قال: خالفها من يديك ومرها أن تصير ثعباناً كما فعل موسى. قال: قل أنت (أنا ربكم الأعلى) كما قال فرعون حتى أصير عصاي ثعباناً، كما فعل موسى، فضحك الخليفة منه واستظرفه، وأحضرت المائدة فقيل له أكلت شيئاً؟ قال: ما أحسن العقل! لو كان لي شيء آكله. ما الذي كنت أعمل عندكم فأعجب الخليفة به وأحسن إليه^(٣).

وأدعت امرأة النبوة في عهد المأمون، فحضرت إليه فقال لها: من أنت؟ قالت أنا فاطمة النبوية. فقال لها المأمون: أتؤمنين بما جاء به محمد {صلى الله عليه وسلم}؟ قالت: نعم، كان ما جاء به هو الحق. فقال المأمون: فقد قال محمد {صلى الله عليه وسلم} (لا نبي بعدي)، قالت صدق عليه الصلاة والسلام، فهل قال لا نبية بعدي، فقال المأمون لمن

(١) كتاب العقد الفريد: ١٤٦/٦.

(٢) المصدر نفسه: ١٤٧/٦.

(٣) نهاية الأرب: ١٤/٤.

حضره: أما أنا فقد أنقطعت، فمن كانت عنده حجة فليأت بها وضحك حتى غطى وجهه^(١).

وتنبأ رجل في أيام المأمون فأتي به إليه، فقال له: أنت نبي؟ قال: نعم. قال: فما معجزتك؟ قال: ما شئت. قال: أخرج لنا من باطن الأرض بطيخة. قال: أمهلني ثلاثة أيام. قال المأمون: بل الساعة أريدها. قال: يا أمير المؤمنين أنصفني، أنت تعلم أن الله ينبت في ثلاثة أشهر، فلا تقبلها مني في ثلاثة أيام، فضحك منه وعلم أنه محتال، فاستتابه ووصله^(٢).

وأدعى آخر النبوة في زمانه بمعجزة، فقال: أطرح لكم حصاة في الماء فأذيبها حتى تصير مع الماء شيئاً واحداً. قالوا: قد رطينا. فأخرج حصاة كانت معه فطرحها في الماء فذابت. فقالوا: هذه حيلة، ولكن أذب حصاة غيرها نأتيك بها نحن. فقال لهم لا تتعصبوا، فلستم أضل من فرعون ولا أنا أعظم من موسى، ولم يقل فرعون لموسى: لا أرضى بما تفعله بعصاك حتى أعطيك عصا من عندي تجعلها ثعباناً. فضحك المأمون منه وأجازه^(٣).

وأدعى آخر النبوة في أيام المأمون، فقال له: ما معجزتك؟ قال: سل ما شئت، وكان بين يديه قفل، فقال: خذ هذا القفل فافتحه. فقال: أصلحك الله، لم أقل أني حداد فضحك منه واستتابه وأجازه^(٤).

٢- نوادر الخاصة

وهي تلك النوادر التي تصدر عن الخلفاء والأمراء والقواد والكتاب، ومما يروى أن معن بن زائدة قد خرج في جماعة من خواصة للصيد، فاعترضهم قطيع

(١) نهاية الأرب: ١٥-١٤/٤.

(٢) المصدر نفسه: ١٥/٤.

(٣) المصدر نفسه: ١٥/٤.

(٤) المصدر نفسه: ١٦/٤.

طلباء فتفرقوا في طلبه وانفرد معن خلف ظبي حتى انقطع عن أصحابه، فلما ظفر به نزل فذبحه، فرأى شيخاً مقبلاً من البرية على حمار فركب فرسه واستقبله فسلم عليه فقال: من أين والى أين؟ قال: أتيت من أرض لها عشرون سنة مجدبة، وقد أخصبت في هذه السنة فزرعتها مقثأة فطرحت في غير وقتها فجمعت منها ما استحسنته وقصدت به معن بن زائدة لكرمه المشكور وفضله المشهور، ومعروفه المأثور وإحسانه الموقور، قال: وكم أملت منه؟ قال: ألف دينار قال فإن قال لك كثير، قال خمسمائة، قال: فإن، قال: لك كثير، قال: مائة، قال: فإن، قال: لك كثير، قال: خمسين، قال: فإن، قال: لك كثير، قال: فلا أقل من الثلاثين، قال: فإن، قال لك كثير، قال: أدخل قوائم حماري في حر أمه وأرجع الى أهلي خائباً، فضحك معن منه وساق جواده حتى لحق بأصحابه ونزل في منزله وقال لحاجبه إذا أتاك شيخ على حمار بقتاء فأدخل به علي.

فأتى بعد ساعة فلما دخل عليهم لم يعرفه لهيبته، وجلالته وكثرة حشمة وخدمه، وهو مصدر في دسته والخدم قيام عن يمينه وشماله وبين يديه، فلما سلم عليه قال: ما الذي أتى بك يا أخا العرب، قال أملت الأمير وأتيت بقتاء في غير أوان. فقال: كم أملت فينا، قال: ألف دينار، قال: كثير، فقال: والله لقد كان لك الرجل مিশوماً علي، قال: خمسمائة دينار، قال: كثير، فما زال الى أن قال: خمسين دينار، فقال له: كثير، فقال: لا أقل من الثلاثين، فضحك معن فعلم الإعرابي أنه صاحبه، فقال: يا سيدي إن لم تجب الى الثلاثين فالحمار مربوط بالباب. ومعن جالس فضحك حتى استلقى على ظهره ثم دعا بوكيله فقال: أعطه ألف دينار، وخمسمائة دينار، وتلثمائة دينار، ومائة دينار، وخمسين دينار، وثلاثين ديناراً، ودع الحمار فتسلم الإعرابي المال وانصرف^(١).

(١) المستطرف في كل فن مستظرف: ٣١٧/٢ .

ومما يروى أن الأصمعي قد قال: مر رجل بأبي الأسود الدؤلي، وهو يقول: من يعشي الجائع؟ فقال أبو الأسود: عليّ به، فأتاه بعشاء كثير، وقال: كل حتى تشبع، فلما أكل ذهب ليخرج، قال: أين تريد؟ قال: أريد أهلي. قال: لا أدعك تؤذي المسلمين الليلة بسؤالك، أطرحوه في الأدهم، فبات عنده مكبولاً، حتى أصبح^(١).

ومما يروى أن هشام بن عبد الملك خرج متنزهاً، ومعه الأبرش الكلبى، فمر براهب في دير، فعدل إليه، فدخله الراهب بستاناً له، وجعل يجتني له أطيب الفاكهة فقال له هشام: يا راهب، بعني بستانك، فسكت عنه الراهب. ثم أعاد عليه، فسكت عنه فقال له: مالك لا تجيبني؟ فقال: وَدِدْتُ أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ مَاتُوا غَيْرَكَ، قَالَ: لِمَاذَا وَيَحْكُ؟ قَالَ: لَعَلَّكَ أَنْ تَشْبَعَ. فَالْتَفَتَ هِشَامُ إِلَى الْأَبْرَشِ، فَقَالَ: مَا سَمِعْتَ مَا قَالَ هَذَا؟ قَالَ^(٢): والله إن لقيك حرٌّ غيره.

وكان عبد الله بين الزبير بخیلاً حيث يروى ان إعرابياً اقبل عليه يسأله حملاً، ويذكر أن ناقته نقت. فقال: أنعلها من النعال السبئية واحصفها بهلب. قال له الإعرابي: إنما اتيتك مستوصلاً ولم آتكَ مستوصفاً فلا حملت ناقة حملتني إليك^(٣).

وأتاه إعرابي فقال: أعطني وأقاتل عنك أهل الشام، فقال: لا أذهب فقاتل فإن أغنيت اعطيناك. قال: أراك تجعل روعي نقداً ودراهمك نسيئة^(٤).

ولقد اشتملت النوادر الخاصة على الفكاهة التي ذاع صيتها في المجتمع العربي حيث يروى أن المهدي قد خرج يتصيد، فغار به فرسه حتى وقع في خباء إعرابي فلما رآه الإعرابي خرج إليه بقرص شعير فأكله، ثم أخرج له فضلة من لبن فسقاه ثم أتاه بنبيذ فسقاه، فلما شرب قال: أتدري من أنا؟ لا ! قال: أنا من خدم أمير

(١) كتاب العقد الفريد: ١٨٥/٦.

(٢) المصدر نفسه: ١٧٦/٦.

(٣) المصدر نفسه: ١٧٦/٦.

(٤) المصدر نفسه: ١٧٧/٦.

المؤمنين الخاصة. قال: بارك الله في موضعك، ثم سقاه مرة أخرى فشرب، فقال: يا إعرابي أتدري من أنا؟ فقال: زعمت أنك من خدم أمير المؤمنين الخاصة. قال: لا أنا من قواد أمير المؤمنين قال: رحبت بلادك وطال مرادك ثم سقاه الثالثة، فلما فرغ قال: يا إعرابي أتدري من أنا؟ قال: زعمت أنك من قواد أمير المؤمنين، قال: لا ولكني أمير المؤمنين قال: فأخذ الإعرابي يقول والله لو شربت الرابعة لقلت أنك رسول الله . فضحك المهدي حتى غشي عليه ثم أحاطت به الخيل ونزلت إليه الملوك والأشراف. فطار عقل وقلب الإعرابي فقال له: لا بأس عليك ولا خوف، ثم أمر له بكسوة ومال جزيل^(١).

ومما يروى أن الأصمعي قال: ضلت لي أبل فخرجت في طلبها، وكان البرد شديداً فالتجأت الى حي من أحياء العرب وإذا بجماعة يصلون وبقر بهم شيخ ملتف بكساء وهو يرتعد من البرد وينشد .

أَيَا رَبِّ إِنَّ الْبَرْدَ أَصْبَحَ كَالْحَا وَأَنْتَ بِحَالِي يَا إِلَهِي أَعْلَمُ
فَإِنْ كُنْتُ يَوْمًا فِي جَهَنَّمَ مَدْخَلِي فَفِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ طَابَتْ جَهَنَّمُ

قال الأصمعي: فتعجبت من فصاحته وقلت له: يا شيخ اما تستحي تقطع الصلاة، وأنت شيخ كبير، فأنشد يقول:

أَيُطْمَعُ رَبِّي أَنْ أَصَلِّي عَارِيًا وَيَكْسُو غَيْرِي كِسْوَةَ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
فَوَاللَّهِ لَأَصَلِّيْتُ عَارِيًا عَشَاءً وَلَا وَقْتُ الْمَغِيبِ وَلَا الْوَتْرِ
وَلَا الصَّبْحَ إِلَّا يَوْمَ شَمْسٍ دَفِينَةٍ وَإِنْ غَيَّمْتُ فَأَلْوَيْلُ لِلظَّهْرِ وَالْعَصْرِ
وَأِنْ يَكْسُنِي رَبِّي قَمِيصًا وَجُبَةً أَصَلِّي لَهُ مِمَّا أَعِيشُ مِنَ الدَّهْرِ

(١) المستطرف في كل فن مستظرف: ٣١٤/٢ .

قال الأصمعي: فأعجبني شعره وفصاحته، فنزعت قميصاً وجبة كانا علي ودفعتهما إليه. وقلت له: ألبسهما وقم فصل، فاستقبل القبلة وصلى جالساً وجعل يقول:

أَلَيْكَ اعْتَذَارِي مِنْ صَلَاتِي جَالِساً عَلَى غَيْرِ طَهْرٍ مُؤَمِّياً نَحْوَ قَبْلَتِي

قال الأصمعي، فتعجبت من فصاحته وضحكت عليه وانصرفت (١).

ويبدو أن بعض علمائنا القدامى كانت له قدرات في حفظ الطرائف وال نوادر المضحكة وكان من أشهرهم الأصمعي، ومما يروى عنه: أن الرشيد قال مرة: أَلَيْ ضَجْرُ وَأَرِيدُ أَنْ أَسْمَعَ حَدِيثاً يُضْحِكُنِي، وَكَانَ خَادِمُهُ مَسْرُوراً وَاقِفاً أَمَامَهُ فَضَحَكَ، فقال له: مَا يُضْحِكُكَ، اسْتَهْزَأَ بِي أَمْ اسْتَحْقَفْتُ، فَقَالَ: وَقَرَأْتُكَ مِنْ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ {صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} مَا عَمِلْتُ ذَلِكَ عَمداً وَلَكِنْ خَرَجْتُ بِالْأَمْسِ بِظَاهِرِ الْقَصْرِ إِلَى جَانِبِ دِجْلَةٍ، فَوَجَدْتُ النَّاسَ مُجْتَمِعِينَ، فَوَقَفْتُ فَرَأَيْتُ رَجُلًا وَاقِفًا يُضْحِكُ النَّاسَ يُقَالُ لَهُ الْمَغَارِزِيُّ، فَتَفَكَّرْتُ الْآنَ حَدِيثُهُ، فَضَحَكْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فقال له الرشيد: أَتِنْتِي السَّاعَةَ السَّاعَةَ بِهِ فَخَرَجَ مَسْرُوراً مُسْرِعاً، إِلَى أَنْ جَاءَ بِالْمَغَارِزِيِّ بَعْدَ أَنْ اتَّفَقَ مَسْرُوراً بِأَنْ يَكُونَ لَهُ الثَّلَاثَانِ وَ لِلْمَغَارِزِيِّ الثَّلَاثُ مِمَّا يُعْطِيهِ الرَّشِيدُ. فَوَقَفَ الْمَغَارِزِيُّ بَيْنَ يَدَيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ: إِنَّ أُنْتَ أَضْحَكْتَنِي أَعْطَيْكَ خَمْسَمِائَةَ دِينَارٍ، وَإِنْ لَمْ تَضْحِكْنِي أَضْرِبُكَ بِهَذِهِ الْجَرَابِ، وَظَنَّ فِي نَفْسِهِ أَنْ الْجَرَابَ فَارِعٌ، فَوَقَفَ يَتَكَلَّمُ وَيَتَمَسَّخَرُ وَفَعَلَ أَفْعَالاً عَجَبِيَّةً تَضْحَكُ الْجُلُودَ، فَلَمْ يَضْحَكِ الرَّشِيدُ ؟ فَتَعَجَّبَ ابْنُ الْمَغَارِزِيِّ وَضَجَرَ وَخَافَ، فَقَالَ الرَّشِيدُ: أَسْتَحْقِيتَ الضَّرْبَ ثُمَّ أَنَّهُ أَخَذَ الْجَرَابَ وَلَفَّهُ وَضَرَبَهُ، فَلَمَّا وَقَعَتِ الضَّرْبَةُ فِي رَقَبَتِهِ صَرَخَ صَرْخَةً عَظِيمَةً، وَقَالَ: أَنَّ مَسْرُوراً اشْتَرَطَ عَلَيَّ شَرْطاً، هُوَ أَنْ يَكُونَ لَهُ الثَّلَاثَانِ وَلِي الثَّلَاثُ مِمَّا يَحْصُلُ لِي مِنْ صَدَقَاتٍ وَلَقَدْ اشْتَرَطْتَ عَلَيَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ثَلَاثَ ضَرَبَاتٍ فَتَصَبَّنِي مِنْهَا وَاحِدَةً، وَتَصِيْبُهُ

(١) المستطرف في كل فن مستظرف: ٣١٥/٢ .

اثنان قال فضحك الرشيد ودعا مسروراً فضربه وقال: يا أمير المؤمنين قد وهبت له ما بقي فضحك الرشيد، وأمر لهما بألف دينار. فأخذ كل واحد منهما خمسمائة^(١).

٣- نوادر أصحاب المهن العلمية والتعليمية

أ- نوادر القراء والفقهاء

ويدخل ضمن هذه النوادر القراء والفقهاء والنحاة والقضاة والمعلمين الذين اشتهروا بالنوادر الملاح والفكاهة ذات الأهداف الموجه التي يحاول أصحابها الترويج عن النفوس بتلك النوادر التي تنفتح لها القلوب وتسمع لها الأذان وتدب في العقول فتغنيها، ومن هؤلاء القراء والفقهاء حيث يروى أن جماعة كانوا يجلسون الى أبي العيناء وفيهم رجل لا يتكلم ف قيل له يوماً كيف علمك بكتاب الله قال أنا عالم به ف قيل له هذه الآية في أي سورة الحمد لله لا شريك له فقال له في سورة الحمد فضحكوا عليه^(٢).

وجاء رجل الى فقيه فقال: أفطرت يوماً في رمضان فقال أقضي يوماً مكانه. قال: قضيت وأتيت أهلي وقد عملوا مأمونية فسبقتني يدي إليها فأكلت منها فقال: أقضي يوماً مكانه. قال قضيت وأتيت أهلي وقد عملوا هريس فسبقني يدي إليها فقال: أرى أن لا أصوم إلا ويدي مغلولة الى عنقي^(٣).

وجاء رجل الى بعض الفقهاء فقال له: أنا أعبد الله على مذهب ابن حنبل، وأني توضأت وصليت فبينما أنا في الصلاة إذ أحسست ببيل في سراويلي ينزلق فشمتته فإذا رائحته خبيثة، قال الفقيه: عافاك الله خرجت بإجماع المذاهب^(٤).

(١) المستطرف في كل فن مستظرف: ٣٢٦/٢.

(٢) المصدر نفسه: ٣١٧/٢.

(٣) المصدر نفسه: ٣١٧/٢.

(٤) المصدر نفسه: ٣١٧/٢.

وجاء رجل الى فقيه قال أنا رجل افسوا في ثيابي حتى تفوح روائي، فهل يجوز أن أصلي في ثيابي، قال نعم لكن لاكثر الله في المسلمين مثلك^(١).

وروى أن وحشة وقعت بين الأعمش وامرأته فسأل بعض أصحابه من الفقهاء أن يرضيها ويصلح بينهما، فدخل إليها وقال إن أبا محمد شيخ كبير فلا يزهدنك فيه عمش عيني، ودقة ساقيه، وضعف ركبتيه، وبتن أبطيه، وجمود كفيه فقال الأعمش: قم قبحك الله فقد أريتها من عيوبي ما لم تكن تعرفه^(٢).

وسكن بعض الفقهاء في بيت سقفه يقرقع في كل وقت فجاءه صاحب البيت يطلب الأجرة، فقال له أصلح السقف فإنه يقرقع قال لا تخف فإنه يسبح الله تعالى قال: أخشى أن تدركه رقة فيسجد^(٣).

ب- نواذر القضاة والنحاة والمعلمين

كان لبعض القضاة بغلة فقرأ يوماً في المصحف وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها فقال لغلामه أطلق البغلة ورزقها على الله فصارت البغلة تدور في الأسواق والأزقة وتأكّل من قشور الباذنجان، وقشور الرمان، وقشور البطيخ، وقمامات الطريق فأمّرت الغلام بإحضار المشاعلية ليحملوها لظاهر المدينة فأحضرهم، فطلبوا من القاضي عشرة دراهم أجرة حملها، وقالوا ليس لنا شيء نرتزق منه إلا من مثل هذا، وسيدنا رجل غني وله أشياء كثيرة العدالة والتزويج والعقود والوراقه والسجن والاطلاق وحاكمية الحاكم وأجرة اليمين وتدريس الأوقاف، فقال لهم القاضي: المثلي يقال هذا! وأنتم لكم اثنا عشر باباً من أبواب المنافع: منها الوسخ، والزفر، والهلع والولع، وبيت النبذة وشركة النفوس وجباية

(١) المستطرف في كل فن مستظرف: ٣١٨/٢.

(٢) المصدر نفسه: ٣١٨/٢.

(٣) المصدر نفسه: ٣١٨/٢.

الأسواق، وحرق النار، وسلب الشطار، ولكم الصياح وثنم الإصلاح، وما تروحووا من هذه النعلة بلا شيء، جلدها للدباغين، وذنبها للقرايين ومعرفتها للشعار، قال فتقدم أحدهم إليه وقال: بحق من تاب عليك ورد عافيتك الى خير وأراحك من هذا المعاش تصدق علينا بشيء ولا تدعنا نروح بلاش^(١).

يروى أن نحويًا قد وقف على بيع يبيع أرزاً بعسل، وبقلاً بخل، فقال: بكم الأرز بالعسل والخل بالبقل، فقال: بالا صفع في الرؤوس، والأضرط في الأذن^(٢).

ويروى أن نحويًا قد وقع في كنيف فجاء كناس ليخرجه فصاح به الكناس ليعلم أهو حي أم لا. فقال له النحوي: أطلب لي حبلاً دقيقاً، وشدني شداً وثيقاً وأجذبني جذباً رقيقاً. فقال له الكناس: امرأتي طالق إن أخرجتك منه ثم تركه وانصرف^(٣).

ويروى أن نحويًا جاء يعود مريضاً فطرق بابه فخرج إليه ولده فقال: كيف وجدت أباك، قال: يا عم ورمت رجله، قال: لا تلحن. قل: رجلاه ثم ماذا. قال: ثم وصل الورم الى ركبته، قال: لا تلحن. قل: الى ركبتيه، ثم ماذا قال: مات وأدخله الله في عيالك وعيال سيبويه ونفطويه وجحشويه^(٤).

وعاد بعض النحويين بعضهم نحويًا فقال: ما الذي تشكوه، قال: حمى جاسية ونارها حامية منها الأعضاء واهية، والعظام بالية، فقال له: لا شفاك الله بعافية ياليتها كانت القاضية^(٥).

ومما يروى قال الجاحظ: مررت بمعلم صبيان وعنده عصا طويلة، وعصا قصيرة، وصولجان، وكرة وطبل، وبوق، فقلت: ما هذه؟ فقال: عندي صغار أوباش

(١) المستطرف في كل فن مستظرف: ٣٢٠/٢.

(٢) المصدر نفسه: ٣٢٠/٢.

(٣) المصدر نفسه: ٣٢٠/٢.

(٤) المصدر نفسه: ٣٢٠/٢.

(٥) المصدر نفسه: ٣٢١/٢.

فأقول لأحدهم اقرأ لوحك فيصفر لي بضرطه فأضربه بالعصا القصيرة فيتأخر، فاضربه بالعصا الطويلة فيفر من بين يدي، فأضع الكرة في الصولجان وأضربه فأشجه فتقوم إلي الصغار كلهم بالألواح، وأجعل الطبل في عنقي، والبوق في فمي، وأضرب الطبل وأنفخ في البوق فيسمع أهل الدرب ذلك فيسارعون ألي ويخلصوني منهم^(١).

وحكى الجاحظ أيضاً، قال: مررت على خربة فإذا بها معلم وهو يبيع نبيح الكلاب فوقفت أنظر إليه، وإذا بصبي قد خرج من دار فقبض عليه المعلم وجعل يلطمه ويسبه فقلت عرفني خبره، فقال هذا غلام لنيم يكره التعليم ويهرب ويدخل الدار، ولا يخرج، وله كلب يلعب به، فإذا سمع صوتي ظن أنه صوت الكلب فيخرج فأمسكه^(٢).

وقال بعض الرواة: رأيت معلماً وهو يصلي العصر، فلما ركع أدخل رأسه بين رجليه ونظر الى الصغار وهم يلعبون وقال: يا ابن البقال قد رأيت الذي عملت، وسوف أكافئك إذا فرغت من الصلاة^(٣).

حكي عن الجاحظ أنه قال: ألفت كتاباً في نوادر المعلمين وما هم عليه من التغفل ثم رجعت عن ذلك، وعزمت على تقطيع ذلك الكتاب فدخلت يوماً مدينة فوجدت فيها معلماً في هيئة حسنة، فسلمت عليه فرد علي أحسن رد، ورحب بي فجلست عنده وباحثته في القرآن فإذا هو ماهر فيه، ثم فاتحته في الفقه والنحو وعلم المنقول وأشعار العرب فإذا هو كامل الأدب، فقلت: هذا والله مما يقوي عزمي على تقطيع الكتاب، قال فكنت اختلف إليه وأزوره، فجئت يوماً لزيارته فإذا بالكتاب مغلق ولم أجده، فسألت عنه فقل: مات له ميت فحزن عليه وجلس في بيته للعزاء، فذهبت

(١) نوادر الجاحظ: ٨٣.

(٢) المصدر نفسه: ٨٣.

(٣) المصدر نفسه: ٨٣.

الى بيته وطرقت الباب فخرجت ألي جارية، وقالت ما تريد: قلت: سيدك، فدخلت الجارية ثم خرجت ألي فقالت: باسم الله فدخلت أليه وإذا به جالس فقلت: عظم الله أجرك لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة كل نفس ذائقة الموت، فعليك بالصبر، ثم قلت له: هذا الذي توفى ولدك، قال: لا، قلت: فوالدك، قال: لا، قلت: أخوك قال: لا، قلت فزوجتك، قال: لا فقلت: وما هو منك قال: حبيبتي، فقلت في نفسي هذه أول المناحس، فقلت سبحان الله النساء كثير وستجد غيرها، فقال: أتظن أنني رأيتها، قلت: وهذه نحسه ثانية، ثم قلت: وكيف عشقت من لم تر؟ فقال: أعلم أنني كنت جالسا في هذا المكان وأنا أنظر من الطاق إذ رأيت رجلاً عليه برد وهو يقول :

يَا أُمَّ عَمْرٍو جَزَاكَ اللَّهُ مَكْرَمَةً رُدِّي عَلَيَّ فَوَادِي أَيْنَمَا كَانَا

لَا تَأْخُذِينَ فَوَادِي تَلْعَبِينَ بِهِ فَكَيْفَ يَلْعَبُ بِالْإِنْسَانِ إِنْسَانَا

فقلت في نفسي لولا أن أم عمرو هذه ما في الدنيا أحسن منها ما قيل فيها هذا الشعر فعشقتها فلما كان منذ يومين مر ذلك الرجل وهو يقول:

لَقَدْ ذَهَبَ الْحُمَارُ بِأَمِّ عَمْرٍو فَلَا رَجَعَتْ وَلَا رَجَعَ الْحِمَارُ

فعلمت أنها ماتت فحزنت، وأغلقت المكتب، وجلست في الدار. فقلت: يا هذا إني كنت ألفت كتاباً في نوادركم معشر المعلمين وكنت حين صاحبك عزمت على تقطيعه والآن قد قويت عزمي على إبقائه وأول ما أبدأ بك^(١).

(١) نوادر الجاحظ: ٨٣؛ المستطرف في كل فن مستظرف: ٣٢١/٢.

الفصل الأول

البواعث

المبحث الأول:

البواعث السياسية

المبحث الثاني:

البواعث الاجتماعية الجديدة (الحضارية)

المبحث الثالث:

البواعث الاقتصادية

المبحث الأول

البواعث السياسية

البواعث السياسية

يُخْطِئُ الملوك والحكام المستبدين حينما يخالون ان سطوتهم وسياط عذابهم ورهبة سجونهم كفيلة بان تجنبهم جراحات اللسان ووخزات النواذر، ولهيب الانفاس المكبوتة فمن الفنون القديمة التي وجدت في الشعر العربي منذ العصر الجاهلي فن التهكم والسخرية، حيث يروى ان النابغة الذبياني قد تهكم من عامر بن الطفيل^(١) حيث يقول^(٢):

فَانْ يَكْ عَامِرٌ قَدْ قَالَ جَهْلًا فَاَنْ مَطِيَّةَ الْجَهْلِ السَّبَابُ

الى ان قال في هذه الابيات:

فَاَنْكَ سَوْفَ تَحْلُمُ اَوْ تَنْتَاهِي اِذَا مَا شَبْتُ اَوْ شَابَ الْغُرَابُ

حيث ان هذه الابيات قد عدت مثالا لفن التهكم والسخرية. وعندما جاء العصر الاموي، واستقرت القبائل في مدينتي البصرة والكوفة وعادت العصبية القبلية، رأينا هذه القبائل تجتمع وتتحدّد في المربد حول الشعراء يستمعون منهم الى ما ينشدونه في التهكم وكأن لهم في ذلك لهواً وتسليّة^(٣).

فالقائض اذن (عبارة عن تهكم دائم ومستمر، وعبارة عن احترام لفن التهكم والسخرية ولهذا لم يكن يراد بها الجد كما كان شأن التهكم في الجاهلية ولكن يراد بها اللهو والاضحاك)^(٤).

(١) عامر بن الطفيل: احد شعراء الحماسة في الجاهلية اشتهر بحذقه في ركوب الخيل وقد توفي سنة (١٠ هـ - ٦٣١ م)، أنظر: ديوان عامر بن الطفيل: ٥.

(٢) ديوان النابغة الذبياني: ٨٣؛ والعمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ١٩٠/٢.

(٣) يُنظر: التطور والتجديد في العصر الاموي: ١٧٨-١٧٩.

(٤) يُنظر: المصدر نفسه: ٢٠٤ وما بعدها.

ولقد كان الجانب الاكبر من النقائض التي دارت بين جرير والفرزدق منافسة أدبية وكان الشاعر يجيب خصمه اجابة من نفس البحر، حيث كان ذلك قاعدة مقررة في الموازنة بين شعر الشعراء، حيث يقول جرير^(١):

حَسِبَ الْفَرَزْدَقُ أَنْ تَسْبَ مُجَاشِعٌ وَيُعَدُّ شَعْرُ مُرْقَشٍ وَمُهْلَهْلٍ

ويقول الفرزدق^(٢):

إِنِّي ارْتَفَعْتُ عَلَيْكَ كُلَّ ثَنِيَّةٍ وَعَلَوْتُ فَوْقَ بَنِي كُلَيْبٍ مِنْ عِلٍّ

فيجيبه جرير^(٣):

إِنِّي أَنْصَبْتُ مِنَ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ حَتَّى اخْتَطَفْتُكَ يَا فَرَزْدَقُ مِنْ عِلٍّ

ثم إنَّ النقائض اخذت طابعاً قُبلياً، حيث تهكم الفرزدق الى دَغفل أنسابه في أنه اكرم من جرير اقوالاً حين يقول^(٤):

أَوْصَى عَشِيَّةً حِينَ فَارَقَ رَهْطَهُ عِنْدَ الشَّهَادَةِ وَالصَّحِيفَةِ دَغْفَلُ
أَنَّ ابْنَ ضَبَّةٍ كَانَ خَيْرَ وَالِدٍ وَأَتَمُّ فِي حَسْبِ الْكِرَامِ وَأَفْضَلُ

فيرد عليه جرير محتكماً الى قريش في أنَّ قومه أكرم^(٥):

فَارْجِعْ إِلَى حَكْمِي قُرَيْشٍ إِيَّاهُمْ أَهْلَ النَّبْوةِ وَالْكِتَابِ الْمُنَزَّلِ

(١) شرح ديوان جرير: ٤٤٤/١.

(٢) ديوان الفرزدق: ١٢٤/٢.

(٣) شرح ديوان جرير: ٤٤٤/١.

(٤) ديوان الفرزدق: ١٢١/٢.

(٥) شرح ديوان جرير: ٤٤٦/١.

أَبْنُو طَهِيَّةَ يَغْدِلُونُ فَوَارِسِي وَبَنُو خَضَافٍ وَذَاكَ مَا لَمْ يُعْدَلِ

ولقد اراد معاوية بن ابي سفيان ان يمهد لولاية يزيد بالشعر ليتحسس رأي الناس فيه، فطلب من مسكين الدارمي ان يتكلم فقال^(١):

الَا لَيْتَ شَعْرِي مَا يَقُولُ ابْنُ عَامِرٍ وَمَرْوَانَ أَمْ مَاذَا يَقُولُ سَعِيدُ
إِذَا الْمَنْبَرُ الْغَرْبِيُّ خَلَاةَ رَبُّهُ فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدُ

وقد شجع الخلفاء الشعراء، مما ادى الى انتشار التهكم والسخرية بين الناس فأخذوا يجتمعون لإنشاد اشعارهم، كما يفعل سديف^(٢) مولى بني هاشم وشبيب مولى بني امية، حيث قال الشاعر سديف^(٣):

يَا سَوَاةَ لِلْقَوْمِ لَا كَفُّوا وَلَا إِذَا حَارَبُوا كَانُوا مِنْ الْأَشْرَارِ

ويروى صاحب الاغاني في خبر جرير والفرزدق فيقول: ولما توافق جرير والفرزدق بالمربد بالتهكم والسخرية، اقتتل بنو يربوع وبنو مجاسع، بنو العم بنو مجاسع وجاءوهم في ايديهم الخشب، فطردوا بنو يربوع، فقال جرير: من هؤلاء؟ قالوا: بنو العم. فقال جرير^(٤):

مَا لِلْفَرَزْدَقِ مِنْ عَزٍّ يَلُودُ بِهِ الْاَبْنَى الْعَمِّ فِي اَيْدِيهِمُ الْخَشْبُ

(١) ديوان مسكين الدارمي: ٣٨؛ والاغاني للأصفهاني: ٧١/١٨.

(٢) سديف بن ميمون: هو الشاعر سديف ابن ميمزن من الشعراء المخضرمين، عاش في عصري الدولتين الاموية والعباسية، انظر: طبقات الشعراء لابن المعتز: ٣٧.

(٣) الاغاني للأصفهاني: ١٥٦/١٤.

(٤) المصدر نفسه: ٢٥٧/٣؛ شرح ديوان جرير: ٤٨/١.

ومن البواعث السياسية شعر النجاشي^(١)، في معارضه سياسة معاوية، ذلك ان معاوية كان يغزو تميمًا في البر، بينما كان يغزي اليمنيين في البحر حيث يقول^(٢):

الا ايّها الناس الذين تجمّعوا بعكا أناسُ انتم أم أباعرُ
أُتْرِكُ قيسٌ آمِنينَ بدارهمُ ونركبُ ظهرَ البحرِ والبحرُ زاحرُ؟

اما الشاعر عبد الله بن همام السلولي، فقد سخر وتهكم من نظام الحكم الوراثي الذي أحدثه معاوية في مبايعته لابنه يزيد حيث يقول^(٣):

فإن تأثّوا برملةٍ أو بهندٍ نبايعها أميرة مؤمنيناً^(٤)
إذا ما مات كسرى قام كسرى تعدُّ ثلاثةً مُتَنّا سقينا
خشينا الغيظَ حتى لو شربنا دماء بني أمية ما روينّا
فيا لهفا لو أن لنا ألوفاً ولكن لا نعود كما عنيّا
لقد ضاعت رعيّكم وانتم تصيدون الأراب غافلينّا

ولقد كان معاوية بن ابي سفيان يحاول ان يتخذ دم عثمان بن عفان ستاراً، لكي يمرر طمعه في الولاية ومنافسة الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) في حروبه في صفين حتى أصبح خليفة بعد ان تنازل الحسن عن الخلافة له حيث يقول فيه رجل من الانصار متهمكماً^(٥):

(١) النجاشي: هو ابو محاسن قيس بن عمرو بن مالك بن معاوية بن حديج وعرف بالنجاشي لان امه من الحبشة، انظر: ديوان النجاشي: ٥.
(٢) ديوان النجاشي: ٥؛ خزنة الادب: ٦٨/٣.
(٣) مروج الذهب ومعادن الجوهر: ٣٠/٣، عبد الله بن همام السلولي: هو من شعراء العصر الاموي.
(٤) رملة بنت معاوية، وهند امه، يسخر به ويقول: كنا مستعدين لان بايع بالخلافة لامراً مادامت تريد ذلك، انظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر: ٣٠/٣.
(٥) وقعة صفين: ٧١.

معاوي إن الحق ابلج واضح وليس بما ربصت أنت ولا عمرو
نصبت ابن عفان لنا اليوم خدعة كما نصبت الشيخان إذ زخرف الامر^(١)

اما اهل الكوفة في عهد معاوية بسبب ما وقع لهم من قهر وقتل وتشريد، فقد قالوا شعراً ساخرين متهمين من معاوية وحكمه، كقول هند ابنة زيد بن مخزومة الانصارية في فضل حجر بن عدي^(٢):

ترقع أيها القمر المنير تبصر هل ترى حُجراً يسير
يسير إلى معاوية بن حرب ليقتله كما زعم الأمير
تجبرت الجبابر بعد حجر وطاب لها الخورنق والسدير
الا يا حجر حُجْر بني عدي تلقى السلام والسلام
أخاف عليك ما أزدى عدياً وشيخاً في دمشق له زئير
الا يا ليت حُجْراً مات مؤتاً ولم يُنحر كما نحر البعير

وبعض هذا التهكم السياسي كان مُنصباً على أشخاص الحكام، ونقد سياستهم واتهامهم بمجافاة الدين والخروج على الشرع فيما يفعلون، مثل شعر جارية بن قدامة السعدي، يندد بما زعمه من أن طلحة والزبير قد اخرجوا عائشة أم المؤمنين للقتال، وقد أمرها الله أن تقر في بيتها^(٣):

صُنْتُمْ حَلَالِكُمْ وَقُدْتُمْ أَمَّكُمْ هَذَا لِعُمْرِكَ قَلَّةُ الْإِنْصَافِ
أمرت بجر ذيولها في بيتها فهوت تشق البيد بالأيجاف

(١) الشيخان: يقدر بهما طلحة والزبير، انظر: وقعة صفين: ٧١.

(٢) تاريخ الامم والملوك للطبري: ١٥٧/٦، احداث سنة ٥١.

(٣) المصدر نفسه: ٥ / ١٧٦، احداث سنة ٣٦.

عَرَضًا يُقَاتِلُ دُونَهَا ابْنَاؤُهَا بِالنَّبْلِ وَالْخَطِيِّ وَالْأَسِيَّافِ
هَتَكَتْ بِطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ سَتُورُهَا هَذَا الْمُخَبَّرُ عَنْهُمْ وَالْكَافِي

ومن هذا النوع شعر أبي وجزة - مولى ابن الزبير - في سخريته له زاعماً أنه قد انصرف عنه ساخراً مما كان ما يزال يقوله للناس (إِنَّمَا بَطْنِي شَبْرٌ، فما عسى أن يسع ذلك وأنا العائد بالبيت)^(١):

ما زالَ في سورةِ الأعرافِ يقرؤها حَتَّى فَوَادِي مِثْلُ الْخُرَ فِي اللَّبَنِ
لَوْ كَانَ بَطْنُكَ شَبْرًا قَدْ شَبَعْتُ وَقَدْ أَفْضَلْتُ فَضْلاً كَثِيراً لِلْمَسَاكِينِ
إِنْ أَمْرَاءُ كُنْتَ مَوْلَاهُ فَضِيعَتِي يَرْجُو الْفَلَّاحُ لَعَمْرِي حَقَّ مُعْبُونِ

وكذلك شعر الضحاك بن فيروز الديلمي حيث كان يتهمك ويسخر من ابن الزبير^(٢):

تخبرنا إن سوف تكفيك قبضة وَبَطْنُكَ شَبْرٌ أَوْ أَقَلُّ مِنَ الشَّبْرِ
وَأَنْتَ إِذَا مَا نَلْتَ شَيْئاً قَضَمْتُهُ كَمَا قَضَمْتَ نَارَ الْعُضَا حَطَبَ السِّدْرِ

وكذلك شعر انس بن أبي أناس بن زنيم فيه تهكم لابن الزبير^(٣) حين تزوج اخوه مصعب من عائشة بنت طلحة ودفع صداقها ألف درهم^(٤) اذ يقول فيه :

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر: ٦٨/ ٣ ؛ انساب الاشراف: ٣٣٢/٥ .

(٢) المصدر نفسه: ٦٨/ ٣ .

(٣) انس بن أبي أناس من كنانة بن الدؤل، وأبوه أبو أناس (بضم الهمزة) شاعر شريف، وهو القائل في رسول الله صلى الله عليه وسلم:

وَمَا حَمَلْتُ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلِهَا أَنْفٌ يَحْذُو وَأَرْقَى ذِمَّةً مِنْ مُحَمَّدٍ

وعم أنس، سارية بن زنيم الذي ناداه سيدنا عمر من فوق المنبر بالمدينة صائحاً: يا سارية! الجبل، انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة: ٧٦/٢ ..

(٤) الشعر والشعراء لابن قتيبة: ٢ / ٧٢٦-٧٢٧، أنساب الاشراف: ٥ / ٣٣٢ .

أَبْلُغْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رِسَالَةَ
مَنْ نَاصِحٌ لَكَ لَا يَرِيدُ خِدَاعًا
بِضَعِ الْفَتَاةِ بِالْفِ أَلْفٍ كَامِلُ
وَتَبِيتُ سَادَاتِ الْجُنُودِ جِياعاً
لَوْ لِأَبِي حَفْصٍ أَقُولُ مَقَالَتِي
وَأَقْصُ شَأْنَ حَدِيثِكُمْ لَأَرْتَاعَا

وكذلك له شعراً في السخرية من حارثة بن بدر الغداني يتهمك منه ويسخر به حيث يقول^(١):

أَحَارَ بَنَ بَدْرٍ قَدْ وَلِيَتْ وَلَايَةَ
فَكُنْ جُرْذًا فِيهَا تَخُونُ وَتَسْرِقُ
وَمَا النَّاسُ إِلَّا أَتْنَانُ إِمَّا مُكَذِّبٌ
يَقُولُ بِمَا يَهْوَى وَإِمَّا مُصَدِّقٌ
يَقُولُونَ أَقْوَالًا وَلَا يُحْكَمُونَهَا
فَإِنْ قِيلَ يَوْمًا حَقَّقُوا لَمْ يُحَقِّقُوا
فَدَعِ عَنْكَ مَا قَالُوا وَلَا تَكْتَرِثْ بِهِمْ
فَحِظَّكَ مِنْ مَالِ الْعِرَاقَيْنِ سُرَّقُ

ومن هذا النوع شعر عتبة الأسدي في السخرية والتهكم من معاوية، يتهمه بالشره في جمع المال وإفساد أموال الناس، بتأمين الأراذل والعبيد، اذ يقول فيه^(٢):

مَعَاوِيَ إِنَّنَا بَشَرَ فَاَسْجَحْ
فَلَسْنَا بِالْجِبَالِ وَلَا الْحَدِيدِ
أَكَلْتُمْ أَرْضَنَا وَجَدَدْتُمُوهَا
فَهَلْ مِنْ قَائِمٍ أَوْ مِنْ حَصِيدٍ
فَهَبْنَا أُمَّةً هَلَكَتْ ضِيَاعًا
يُرِيدُ أَمِيرَهَا وَأَبُو يَزِيدُ
أَتَطْمَعُ بِالْخُلُودِ إِذَا هَلَكْنَا
وَلَيْسَ لَنَا وَلَا لَكَ مِنْ خُلُودٍ
ذَرُّوا حَوْلَ الْخِلَافَةِ وَاسْتَقِيمُوا
وَتَأْمِينَ الْأَرَاذِلِ وَالْعَبِيدِ

(١) كتاب العقد الفريد: ٦٠/٣.

(٢) الهجاء والهجاءون في الجاهلية: ٤٩.

وقد اتضح لنا أن معاني التهكم السياسي نفسها قد دخلها التغيير أيضاً الذي كان نتيجة للتحضر الذي بلغه المجتمع كأساس لقذفه وتهكمه وسخريته، ففي القرنين الأول والثاني الهجريين، اتسع نطاق التهكم السياسي والمذهبي بصورة لم يعرفها العصر الجاهلي، وبداية ظهور الإسلام، ففي القرن الأول رويت أبياتاً متفرقة في التهكم في الخلفاء مثل قول ابن عراده السعدي في يزيد بن معاوية^(١):

أَبْنِي أُمِيَّةَ إِنْ أَخَرُ مُلْكُكُمْ	جَسَدَ بَخَوَارِينَ ثُمَّ مَقِيمُ
طَرَقَتْ مَنِيئُهُ وَعِنْدَ وَسَادِهِ	كُوبٌ وَزَقٌّ رَاعِفٌ مَرثُومُ
وَمُزْنَةٌ تَبْكِي عَلَى نَشْوَانِهِ	بِالصَّنَجِ تَقْعُدُ تَارَةً وَتَقُومُ

أصبحنا نجد أن هذا النوع من التهكم قد انتشر في القرن الثاني انتشاراً واسعاً وأصبح لوناً ثابتاً من ألوان التهكم، وكان الكميت في أول هذا القرن عنيفاً في تهكمه للأمويين تهكماً سياسياً ومذهبياً في آن واحد، ومما قاله فيهم^(٢):

وَهَلْ أَمَةٌ مُسْتَيْقِظُونَ لِرَشْدِهِمْ	فَيُكْشِفُ عَنْهُ النَّعْسَةَ الْمَتَرَمِلُ
فَقَدْ طَالَ هَذَا النَّوْمُ وَاسْتَخْرَجَ الْكُرَى	مَسَاوِيهِمْ لَوْ كَانَ ذَا الْمِيلِ يَغْدِلُ
وَعَطَلَتْ الْأَحْكَامَ حَتَّى كَانْنَا	عَلَى مَلَةٍ غَيْرِ الَّتِي تَحُلُ
أَاهْلُ كِتَابٍ نَحْنُ فِيهِ وَأَنْتُمْ	عَلَى الْحَقِّ نَقْضِي بِالْكِتَابِ وَنَعْدِلُ
فَكَيْفَ وَمِنْ وَأَنْتَى وَإِذْ نَحْنُ خَلْفَةٌ	فَرِيقَانِ شَتَى تَسْمَنُونَ وَنَهْزِلُ
فَتَلْكَ مَلُوكِ السَّوَاءِ قَدْ طَالَ مِلْكُهُمْ	فَحَتَامَ حَتَامِ الْعَنَاءِ الْمُطَوَّلُ

(١) ابن عراده: هو أحد الشعراء في عصر بن أمية وكان مناوئاً لحكم يزيد بن معاوية، تاريخ الامم والملوك للطبري ٧: ٤٣ ، أحداث سنة ٦٥ ، أنساب الاشراف: ٣٧٦/٥ .

(٢) الكميت بين العقيدة والسياسة، الهاشميات: ١٥١-١٥٢ .

والخليفة الوليد بن يزيد تعرض لتهكم وسخرية شديدين من الشعراء الذين يعبرون عما في نفوس الرعية، بسبب ما كان يرتكبه من موبقات، ولتركه شؤون الحكم وانغماسه في البطالة واللهو، اذ يقول فيه: حمزة بن بيض^(١):

يَا وَلِيدَ الْخَنَا تَرَكْتَ الطَّرِيقَا وَاضِحاً وَارْتَكَبْتَ فَجْأً عَمِيقَا
وَتَمَادَيْتَ وَاعْتَدَيْتَ وَأَسْرَفَا تَ وَأَغْوَيْتَ وَأَنْبَعَثْتَ فَسُوقَا
أَنْتَ سَكْرَانٌ مَا تَفِيْقُ فَمَا تَرُ تَقُ فَتَقَا وَقَدْ فَتَقْتَ فَتَوْقَا^(٢)

وفي العصر العباسي كان الأمين المتوفي سنة (١٩٨هـ) عرف بفساده ولهوه وعبثه، الذي كان هدفاً لتهكم وسخرية الشعراء منه حياً أو ميتاً وكانوا في ذلك معبرين عن روح الشعب، الذي ضج من حكم الأمين وأباطيله، وكثيراً ما أغفلت الكتب أسماء هؤلاء الشعراء الذين تهكموا بالأمين أما لأنهم أفراد عاديون، من أبناء الشعب، كانوا يعبرون عما في نفوسهم، وأما إنهم كانوا شعراء معروفين، ولكنهم أخفوا أسماءهم خشية بطش هذا الخليفة بهم، ومن هذه القصائد القوية المعبرة عن روح الشعب في معانيها وألفاظها وأسلوبها، ما قاله أحد الشعراء المجهولين بمناسبة مبايعة الأمين لابنه موسى - في التهكم بالأمين وبطانته^(٣):

أَضَاعَ الْخِلَافَةَ غُشُّ الْوَزِيرِ وَفُسِقُ الْأَمِيرِ وَجَهْلُ الْمُشِيرِ
فَفَضَّلَ وَزِيرٌ وَبَكَّرَ مُشِيرٌ يُرِيدَانِ مَا فِيهِ حَتْفَ الْأَمِيرِ
وَمَا ذَاكَ إِلَّا طَرِيقَ غُرُورٍ وَشَرَّ الْمَسَالِكِ طُرُقُ الْغُرُورِ

(١) حمزة بن بيض الحنفي: شاعر اسلامي من شعراء الدولة الاموية، كوفي خليف ماجن، انظر: الاغانى للأصفهاني: ١٥/١٤.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٤٨١/٤.

(٣) تاريخ الامم والملوك للطبري: ١٤٣/١٠ سنة (١٩٥).

وكثير ما تهكم هؤلاء الشعراء المجهولين بالأمين بسبب شذوذه وإقباله على الغلمان دون النساء، وفي ذلك المعنى يقول بعضهم^(١):

الَا يَا مُزْمِنَ الْمَثْوَى بِطُوسٍ	غَرِيباً مَا يُفَادَى بِالنَّفُوسِ
لَقَدْ أَبْقَيْتَ لِلْخَصِيَّانَ بَعْلًا	تَحْمَلُ مِنْهُمُ شُؤْمَ الْبَسُوسِ
لَهُمْ مِنْ عُمْرِهِ شَطْرٌ وَشَطْرٌ	يُعَاقِرُ مِنْهُ شُرْبَ الْخَنْدِيسِ
وَمَا لِلْغَانِيَّاتِ لَدَيْهِ حَظٌّ	سِوَى التَّقْطِيبِ بِالْوَجْهِ الْعَبُوسِ
إِذَا كَانَ الرَّئِيسُ كَذَا سَقِيمًا	فَكَيْفَ صَلاَحُنَا بَعْدَ الرَّئِيسِ

ومن صور التهكم السياسي والمذهبي، تنبهنّا إلى ظاهرة جديدة في تهكم القرن الثاني وهي عناية الشعراء بالتركيز في تهكمهم على الانحراف الديني عند المتهم به وشذوذه وزندقته أحياناً، ولا شك في ان انتشار المجون والزندقة، وأنواع الشذوذ الجنسي، المختلفة في القرنين الأول والثاني الهجريين، كل ذلك كان يغري الشعراء بتضمين سخريتهم مثل هذه الاتهامات الخطيرة، ولاسيما الزندقة إذ كان الخلفاء يعاقبون صاحبها بالقتل متى تثبت عليه تهمتها، وقد تمثل ذلك بهذه الأبيات التي قالها أبو نواس في إبراهيم النظام، وربما يكون قد افترى عليه اذ يقول فيه^(٢):

قُولَا لِإِبْرَاهِيمَ قُولَا هَتَرَا	غَلَبَتْنِي زُنْدَقَةٌ وَكُفْرَا
أَنْ قُلْتَ مَا تَتْرِكُ قَالَ بِرَا	أَوْ قُلْتَ مَا تَرَهَّبُ قَالَ: بَخْرَا
أَوْ قُلْتَ: مَا تَقُولُ؟ قَالَ: شَرَا	أَصْلَاهُ رَبِّي لَهَبًا وَجَمْرَا

(١) تاريخ الامم والملوك للطبري: ٢١٥/١٠.

(٢) ديوان ابي نواس: ٣٨٢.

ومن الطبيعي إن اتجاه التهكم إلى هذه الناحية كان نتيجة لوجود مشكلة اجتماعية بالفعل، وهي محاولة الموالي الانتساب إلى قبائل عربية. ولكن ربما كان المتهكم به صحيح النسب، ومع ذلك كان المتهكم عليه، يريد ان يتشفى منه بالتشكيك في نسبه، وقد يكون اللحن وفساد اللغة بين أوساط بعض العرب مادة للسخرية والتهكم في هذين القرنين، ومثال ذلك، ما قاله ابن نوفل الشاعر، اذ ذكر الطبري في هذا الصدد إن خالداً بن عبد الله قال مرة على المنبر: أطعموني ما ء فاستنكر هذا الخطأ ابن نوفل^(١) الشاعر وسخر منه وتهكم به متهماً إياه أيضا بادعاء النسب قائلاً^(٢):

أَخَالِدٌ لَا جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا	وَأَبْرُ فِي حَرَامِكَ مِنْ أَمِيرٍ
تَمْنَى الْفَخْرَ فِي قَيْسٍ وَقَسِرِ	كَأَنَّكَ مِنْ سُرَاةِ بَنِي جَرِيرِ
وَأَمَّكَ عُلْجَةً وَ أَبُوكَ وَغَدَّ	وَمَا الْأَذْنَابُ عِدْلًا لِلصُّدُورِ
جَرِيرٌ مِنْ ذَوِي يَمَنِ اصِيلُ	كَرِيمُ الْأَصْلِ ذِي خَطَرٍ كَبِيرِ
وَأَنْتَ زَعَمْتَ أَنَّكَ مِنْ يَزِيدَ	وَقَدْ دُوْحَقْتُمْ دِحْقَ الْعَبُورِ
وَكُنْتَ لَدَى الْمُغِيرَةِ عَبْدَ سُوءٍ	بَتُولُ مِنَ الْمَخَافَةِ لِلزَّيْرِ
وَقُلْتَ لَمَّا أَصَابَكَ أَطْعَمُونِي	شَرَابًا ثُمَّ بُلْتَ عَلَى السَّرِيرِ

ومن الاتجاهات الجديدة في التهكم التي ظهرت في القرن الثاني الهجري التهكم والسخرية من المدن التي أصبحت مثل بغداد في التحضر والجمال ولقد أشار أبو نواس إلى ذلك في إحدى قصائده إلى مدينة البصرة قائلاً^(٣):

أَيَا مَنْ كُنْتَ بِالْبَصْرِ ةِ أَصْفِي لَهُمُ الْوُدَا

(١) يحيى بن نوفل، ويكنى ابا معمر وهو من حُمير، انظر: الشعر والشعراء لابي قتيبة: ٧٢٩/٢ .

(٢) تاريخ الامم والملوك للطبري: ٨ : ٢٤١، احداث سنة ١١٩

(٣) ديوان ابي نواس: ٢٧٢

وَمَنْ كَانُوا مَوَالِيَّ وَمَنْ كُنْتُ لَهُمْ عَبْدًا
وَمَنْ كُنْتُ أَرْعَاهُ وَأَنْ مَلَّ وَأَنْ صَدًّا
شَرَبْنَا مَاءَ بَغْدَادَ فَأَنْسَانَاكُمْ جَدًّا
فَلَا تَزْعُمُوا لَنَا عَهْدًا فَمَا نَزَعَى لَكُمْ عَهْدًا

ولعل خير من يمثل شعراء الشعوبية الذين كانوا يتكلمون بلسان حزب الموالي ويعبرون عن اتجاهاته وآرائه اصدق تعبير هو بشار بن برد، بل يخيل ألي أن بشاراً كان المتحدث الرسمي باسم الشعوبيين في القرن الثاني وأبو الفرج الأصفهاني يقول عنه كان (شديد الشغب والتعصب للعجم) (١) وقد روي إن المهدي سأله: فبمن تعتد يا بشار، فقال: أما اللسان والرأي عربيان وأما الأصل فعجمي، كما قلت في شعري يا أمير المؤمنين (٢):

وُنُبِّئْتُ قَوْمًا بِهِمْ جَنَّةٌ يَقُولُونَ مِنْ ذَا وَكُنْتُ الْعَلَمُ
أَلَا أَيُّهَا السَّائِلِي جَاهِدًا لِيَعْرِفَنِي أَنَا أَنْفُ الْكُرَمِ
نَمَتْ فِي الْكَرَامِ بَنِي عَامِرٍ فَرَوْعِي وَأَصْلِي قَرِيشُ الْعَجَمِ

و روي عن بشار إن أمه أصلها جارية رومية، ولهذا كان يقول (٣):

و قيصر خالي إذا عددت يوماً نسبي

وهذا البيت من قصيدة شعوبية لبشار يفخر فيها بأصله العجمي ويعرض ويتهم ويسخر من العرب وحياتهم الخسنة الغليظة، ثم يذكر اثر الموالي في إقامة الحكم العباسي، اذ يقول بشار (٤):

(١) الأغاني للأصفهاني: ٣ / ٢١ .

(٢) المصدر نفسه: ٣ / ٢١ .

(٣) ديوان بشار بن برد، المقدمة: ١٤/١

(٤) المصدر نفسه: ١٤/١

هَلْ مَن رَسُولٍ مُخْبِرٍ عَنِّي جَمِيعُ الْعَرَبِ
مَنْ كَانَ حَيًّا مِنْهُمْ وَمَنْ ثَوَى فِي التُّرْبِ
بَأَنِّي ذُو حَسَبٍ عَالٍ عَلَيَّ ذِي الْحُسَبِ
جَدِّي الَّذِي أَسْمُو بِهِ كُسْرَى وَسَاسِيَانِ أَبِي
وَقَيْصَرَ خَالِي إِذَا عَدَدْتُ يَوْمًا نَسَبِي

ويروى أن بشاراً كان يسخر ويتهمك من قواد العرب مثل روح بن حاتم فبلغه ذلك، ففدده وتهدده فلما بلغ ذلك بشاراً قال^(١):

تَهْدَدَنِي أَبُو دَلْفٍ وَعَنْ أَوْتَارِهِ نَامَا
بِسَيْفٍ لِأَبِي صَفْرٍ لَا يُقْطَعُ أَبْهَامَا
كَانَ الدَّرْسُ يَغْلَوْنَ إِذَا مَا صَدَرَهُ قَامَا

ولما بلغ ذلك، روح بن حاتم، قال: ان وقعت عيني عليه لأضربنه ضربة بالسيف ولو انه بين يدي الخليفة، فبلغ ذلك بشاراً، فقام من فوره حتى دخل على المهدي فقال له ما جاء بك في هذا الوقت، فاخبره بقصة روح فقال الخليفة: يا نصير وجه إلى روح من يحضره الساعة، فأرسل إليه في الهاجرة وكان ينزل المخرم، فقال يا روح إني بعثت إليك في حاجة فقال له: أنا عبدك يا أمير المؤمنين فقل ما شئت سوى بشار فاني حلفت في أمره، فقال قد علمت وإياه، ثم قال: فاحتل لديني يا أمير المؤمنين فأحضر القضاة والفقهاء، فاتفقوا على ان يضربه ضربة على جسمه بعرض السيف، وكان بشار مختبئاً فأخرجه واستل روح سيفه فضربه ضربة بعرضه فقال: فضحك المهدي، وقال له: ويلك هذا وإنما ضربك بعرضه، وكيف لو ضربك بحدده.

(١) الأغاني للأصفهاني: ٥٥/ ٣.

المبحث الثاني

البواعث الاجتماعية
الجديدة (الحضارية)

البواعث الاجتماعية الجديدة (الحضارية)

اتسعت حركة التجارة وازدهرت (فكانت سفن المسلمين وقوافلهم تجوب كل البحار والبلاد واخذت تجارة المسلمين المكان الاول، وكانت تجارة الاسكندرية وبغداد هما اللتان تقرران الاسعار)^(١) فبغداد كما وصفها اليعقوبي قد (سكنها أهل المدن والامصار... فليس من أهل بلد الا ولهم فيها محلة ومتجر)^(٢) ويذكر الخطيب البغدادي (محلات القطنيين والحطابين، وسوق البزازين، واصحاب الصابون...)^(٣).

وكثرت الاسواق في كل ناحية ومحلة وان (أنواع الثجارات والصناعات كانت لها شوارع معلومة، لا يختلط فيها قوم بقوم، ولا تجارة بتجارة ولا يباع صنّف مع غيره)^(٤).

اذ دخل الترف الى ميادين الحياة كافة فادى ذلك الى ميل الطباع الى الليونة والسهولة، وعندما حصل الاختلاط ما بين العرب انفسهم، ما بين سكان المدن المتحضرين، والبدو ذوي الطباع الخشنة لذلك (فان طباع سگان البدو الجافية لا تقبل بسهولة من أهل المدن، لذلك كان تقبلهم لطبيعة الأعراب أمراً لا يخلو من الضيق والنفور من طباعهم)^(٥).

فأصبحت تصرفات البدو عرضة للتندر والضحك وهذا ما اشار اليه احد الاعراب بقوله: (لقد جعت حتى اكلت الثوى المحرق، وقد مشيت حتى انتعلت الدّم، حتى تمنيت أن وجهي حذاء لقدمي فهل من أخ يرحمنا)^(٦).

(١) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري او عصر النهضة في الاسلام: ٣٧١ / ٢ .

(٢) معجم البلدان : ٢٨٣/٣-٢٨٥.

(٣) تاريخ بغداد منذ تأسيسها حتى سنة (٤٦٣هـ): ١ / ١١٦ وما بعدها.

(٤) من معالم الحضارة العربية الاسلامية : ٢٢٨.

(٥) البخلاء للجاحظ : ١٨١ .

(٦) عيون الاخبار: ١٣٢ / ٨ .

وهذا الامتزاج الواسع بالموالي زواجاً وولاءً ، لم يكن تأثر الموالي به اقل من تأثر العرب ، فقد اخذوا في التعرب سريعاً، وكانت اقطارهم تتكلم لغات مختلفة، واخذت هذه اللغات تترك اماكنها من ألسنة اصحابها لتحل محلها العربية، وقد اخذ التعرب شيئاً فشيئاً، واخذ يظهر بسبب الامتزاج بالموالي فأخذوا يستعيرون منهم بعض الكلمات الاعجمية في الاطعمة وادوات الحضارة، ويعرض علينا الجاحظ كثيراً من الكلمات الفارسية التي جرت على السنة اهل الكوفة، فمن ذلك انهم كانوا يسمون السوق (وازار) والقثاء (خياراً) والمجدوم (ويذي)^(١).

وكانت الفارسية شائعة في البصرة، ويتضح ذلك في دخول مقطع (آن) الفارسي على كثير من اسماء المقاطع مثل (عمران)^(٢) لعمر بن عبيد الله بن معمر و (سويدان) لسويد بن مخوف (خالدان) لخالد بن أسيد، و(مهلبان) لآل المهلب، ومما يدل على شيوع الفارسية في البصرة ومما يروى من ان يزيد بن مفرغ سخر وتهكم من اسرة عبيد الله بن زياد في ولايته عليها فسقاه نبيذاً، وحمله على دابة في ثياب مهلهلة مقروناً الى هرة وخنزير، وأمر ان يطاف به في الشوارع على هذه الصورة المزرية ، فتجمع حوله الصغار يسألونه بالفارسية ، أين جيست؟ أي ما هذا فكان يجيبهم بلسانهم^(٣).

آب اُسْتُ نَبِيذُ اُسْتُ عَصَارَاتِ زَبِيبِ اُسْتُ

سُمِيَّةُ رُوسَيْدِ اُسْتُ

(١) البيان والتبيين للجاحظ: ١ / ١٩ وما بعدها .

(٢) يُنظر: فتوح البلدان للبلاذري: ٣٥٣ وما بعدها .

(٣) البيان والتبيين للجاحظ: ١ / ١٤٣ .

واست: فعلٌ من افعال الكينونة، وآب: ماء، وسميه: أم زياد ، وروسبيد: زانية، أي هذا ماء ونبيذ وعصارة زبيب وسمية الزانية و يلاحظ الجاحظ ان تأثير الفارسية سقط الى داخل الجزيرة في المدينة مع من نزلها من الفرس ، ولذلك سموا البَطِيخ (الخَرِيز) والسميط (الرّزدق) وطعام المصوص وهو لحم ينقع بالخردل (المزور) والشطرنج (الاشترنج) وغير ذلك من الاسماء^(١).

ولم يقف أستعمال هذه الالفاظ وما يشبهها عند اللغة اليومية، فقد تعداها احياناً الى شعر بعض الشعراء من العرب امثال الفرزدق وجريير اللذين عاشا في البصرة، اذ تجد اولهما يستخدم كلمة (الببذق والبياذق) المعروفة في لعبة الشطرنج، استخداماً يدل على انه كان يعرف اللعبة وما يصيب (الببذق) فيها حين يتقدم الى آخر الرقعة اذ يصبح وزيراً، يقول مخاطباً جريير^(٢).

وَنَحْنُ إِذَا عُدَّتْ تَمِيمٌ قَدِيمَهَا مَكَانَ النَوَاجِي مِنْ وُجُوهِ السَّوَابِقِ

مَنْعَتُكَ مِيرَاثَ الْمُلُوكِ وَتَاجَهُمْ وَأَنْتَ لِدَرْعِي بِيَذْقُ فِي الْبِيَاذِقِ

فهو يجعله ببذقاً غير متقدم، وجريير يستخدم في احد تهكمه وسخريته للفرزدق كلمة (الروذق) الفارسية الدلالة ويستعمل معها كلمة (الببذق) الفارسية للدلالة على الشيء التافه اذ يقول في جعثن اخت الفرزدق^(٣).

لَا خَيْرَ فِي غَضَبِ الْفَرْزَدَقِ بَعْدَمَا سَلَخُوا عَجَانَكَ سَلَخَ جِلْدَ الرُّوَذِقِ^(٤)

سَبْعُونَ وَالْوَصَفَاءُ مَهْرَ بَنَاتِنَا اِذَا مَهْرَ جَعْتَنَ مِثْلَ حَرِّ الْبِيَذْقِ^(٥)

(١) البيان والتبيين للجاحظ: ١ / ١٩ .

(٢) ديوان الفرزدق: ٢ / ٥١ .

(٣) شرح ديوان جريير: ١ / ٤٠٦ .

(٤) الروذق: هو الجلد المسلوخ واصله فارسي، انظر: شرح ديوان جريير: ١ / ٤٠٦ .

(٥) الببذق: الخفيف الصغير من الغلمان ، انظر: شرح ديوان جريير: ١ / ٤٠٦ .

والطريقة نفسها والصورة، دخلت كلمات نبطية الى الشعر ولغة التفاهم وربما كان اهم من ذلك ما اصاب العربية من لهجات هؤلاء الموالي، فان كثيرين منهم، كانوا يجدون عسراً في نطق بعض حروف العربية التي لا توجد في لغاتهم، ويعرض علينا الجاحظ في البيان والتبيين صوراً مما كان يجري على السنة عامتهم، من هذه اللكنات، حتى لتفسد العبارة العربية افساداً، فمن ذلك ان الحجاج سأل نخاساً: أتبيع الدواب المعيبة لجند السلطان فقال؟ (شريكنا في هَوَازِنَا و شريكنا في مَدَائِنِهَا، وَكَمَا تَجِيءُ تَكُونُ) ولم يفهم الحجاج ما يقول ، فَقَالَ لَهُ وَيْلَكَ مَا نَعْنِي؟ فَقَالَ بَعْضُ مَنْ قَدْ كَانَ أَعْتَادَ سَمَاعَ الْخَطَا وَكَلَامِ الْعُلُوجِ بِالْعَرَبِيَّةِ حَتَّى صَارَ يَفْهَمُ مِثْلُ ذَلِكَ: يَقُولُ (شِرْكَائُنَا بِالْأَهْوَازِ وَبِالْمَدَائِنِ يَبْعَثُونَ إِلَيْنَا بِهَذِهِ الدَّوَابِّ فَتَحْنُ نَبِيعَهَا عَلَى وَجُوهِهَا)^(١).

وكانت آثار هذه اللهجات تجري على السنة فصحاء الموالي، فمن صعدت بهم ملكاتهم الى افق الشعر العربي حتى اصبحوا لا يقلون فصاحة وبلاغة عن شعراء العرب الخالص، نذكر من بينهم زياد الاعجم^(٢) وكان يتحدث لهجة فارسية يذهب فيها الى ابدال العين همزة والطاء تاء والسين شين ويروى انه انشد المهلب في بعض مديحه :

فَتَى زَادَهُ السَّلْطَانُ فِي الْوَدِّ رَفْعَةً إِذَا غَيَّرَ السَّلْطَانُ كُلَّ خَلِيلٍ

فقال: (زاده الشلتان)^(٣) وتكرر منه ذلك على سمع المهلب فوهبه غلاماً ينشد شعره^(٤).

(١) البيان والتبيين للجاحظ: ١ / ١٦١ - ١٦٢.

(٢) المصدر نفسه: ١ / ٧١؛ الاغانى للأصفهاني: ١٤ / ٩٨، زياد الاعجم من شعراء الدولة الاموية.

(٣) المصدر نفسه: ١ / ٧١؛ والكامل في الادب للمبرد: ٣٦٦؛ الشعر والشعراء لابن قتيبة: ٤٢١/٢.

(٤) الاغانى للأصفهاني: ١٣ / ٨٩.

وكان ابو العطاء السندي وهو ممن عاشوا في العصرين الأموي والعباسي
يبدل الحاء هاء، والجيم زاي، والشين سيناً، ودفعه ذلك أن يستوهب ممدوحاً له يسمى
سليمان بن سليم الكلبى غلاماً ينشد شعره^(١).

ولم تجر هذه اللكنات على السنة الموالي وحدهم، فقد تسربت منها بعض
الاثر على السنة من كانوا ينشئون فيهم وخاصة من كانت امهاتهم منهم على اكثر ما
يحدثنا الرواة عن عبيد الله بن زياد والي العراق، اذ استبقاه ابوه مع امه (مرجانة)
حين تزوجت الفارس (شبرويه)، وقال مرة: افْتَحُوا سِيُوفَكُمْ بَدَلًا مِنْ سِلُّوا سِيُوفَكُمْ،
مِمَّا جَعَلَ يَزِيدُ بْنُ مُفَرِّغٍ يَسْخَرُ مِنْهُ وَيَتَهَكَّمُ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ^(٢):

وَيَوْمَ فَتَحْتَ سَيْفَكَ مِنْ بَعِيدٍ أَضَعْتَ وَكُلَّ أَمْرِكَ لِلضِّيَاعِ

ويروى ان اباه زياد اوفده على معاوية، فكتب اليه مشيراً الى لكنته (إِنَّ ابْنَكَ
كُفَّ وَصَفَتْ وَلَكِنْ قَوْمٌ مِنْ لِسَانِهِ)^(٣)، واقترن بهذه اللكنات لحن كثير بسبب ضعف
لغته، من مثل قول زياد الاعجم :

إِذَا قُلْتُ قَدْ أَقْبَلْتُ أَدْبَرْتُ كَمِنْ لَيْسَ غَادٍ وَلَا رَائِحٌ

وكان القياس ان يقول: (ليس غادياً ولا رائحاً)^(٤).

وهو كثير اللحن في شعره، ولهذا قيل له الاعجم، لفساد لسانه بفارس.

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة: ٢ / ٧٥٤، ابو العطاء السندي: في الاغاني اسمه: افلح بن
يسار، مولى بن سعد، منشأ الكوفة وهو من مخزومي الدولتين..

(٢) البيان والتبيين للجاحظ: ٢ / ٢١٠، عيون الاخبار: ٢ / ١٦٥.

(٣) المصدر نفسه: ٢ / ٢١٠.

(٤) الشعر والشعراء لابن قتيبة: ١ / ٤٢٤.

واتسع هذا اللحن في الكوفة والبصرة حتى لنرى الحجاج بن يوسف الثقفي المعروف بفصاحة لسانه ونشأته في البادية يخاف على نفسه من اللحن فيسأل ابن يعمر: أسمعني ألحن؟ قال: الأمير افصح الناس، فقال الحجاج: عزمت عليك أسمعني ألحن؟ قال: حرفاً، فقال الحجاج: أين؟ قال: في القرآن، فقال: ذلك أشنع له، فما هو؟ قال ابن يعمر تقول: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ

مِمَّنْ أَلَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ ^(١) بقراءة أحب بالرفع ومكانها النصب، فقال الحجاج لأجرم، لا تسمع لي لحن أبداً ^(٢).

وقد عني الخلفاء بتأديب أولادهم، ويقال أن عبد الملك بن مروان أهمل تأديب ابنه الوليد، فجرى اللحن على لسانه، ومما يروون من لحنه أنه نطق يوماً كلمة (لص) بضم اللام، وأنه قال لأبيه حين قتل أبو فديك الخارجي: (يا أمير المؤمنين أقتل أبي فديك) وقال مرة: (يا غلام رُدَّ الفُرسان الصَّادَّان عن الميدان) ^(٣).

وكان خالد القسري ^(٤) مع ما اشتهر به من فصاحته لحناً، ويروى أنه قال يوماً: (إِنْ كُنْتُمْ رَجَبِيُونَ فَأَنَا رَمَضَانِيُونَ) وفيه يقول يحيى بن نوفل ^(٥):

وَالْحَنُّ النَّاسُ كُلُّ النَّاسِ قَاطِبَةً وَكَانَ يُوَلِّعُ بِالتَّشْدِيقِ فِي الْخُطْبِ

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٤ .

(٢) طبقات فحول الشعراء لابن سلام: ١٣ .

(٣) البيان والتبيين للجاحظ: ٢ / ٢٠٤ وما بعدها .

(٤) خالد القسري: هو أحد القواد الأمويين الذي قتله الخليفة الوليد بن يزيد، انظر: تاريخ الامم والملوك للطبري: ٤/٩ .

(٥) البيان والتبيين للجاحظ: ٢ / ٢١٦ .

ويروى الرواة ان عيسى بن عمر النحوي خاصم رجلاً الى بلال بن ابي بردة والي البصرة لخالد القسري (فَجَعَلَ عِيسَى يَتَتَبَعُ الْاَعْرَابَ، وَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ اليه، فَقَالَ بَلَالٌ لِلرَّجُلِ: لَأَنْ يَذْهَبَ بَعْضُ حَقِّ هَذَا أَحَبُّ اليه مِنْ تَرْكِ الْاَعْرَابِ، فَلَا تَتَشَاغَلْ بِهِ وَاقْصِدْ لِحِجَّتِكَ (١).

وكان سليمان بن عبد الملك في دِمَشْقٍ يَقُولُ: (المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث يُفَخِّمُ اللَّحْنَ كَمَا يُفَخِّمُ نَافِعٌ بن جبير الأعراب) (٢).

وانتشار اللحن على هذه الشاكلة هو الذي دفع لظهور اللغويين والنحاة منذ القرن الأول للهجرة فقد اخذت جماعة من العلماء وخاصة في البصرة لتتقية العربية مما دخلها من فساد، وكان بعض هؤلاء العلماء يتعرض لفصحاء الشعر ينقدهم نقداً نحويّاً، حتى لو اضطرتهم الى ذلك القافية، واشتهر في هذا الجانب، عبدالله بن اسحق الحضرمي بمراجعاته للفرزدق، فيما كان يحدثه احياناً من بعض الشواذ النحوية، وما زال يراجعها حتى قال فيه بيته المأثور:

فَلَوْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ مَوْلَى هَجَوْتَهُ وَلَكِنْ عَبْدُ اللَّهِ مَوْلَى مَوَالِيَا

فتعرض له ابن ابي اسحق قائلاً: كان يحسن ان تقول : مولى موال (٣) برد الياء الى الاصل علماً ان الفرزدق لم يعرف بضعف الحس اللغوي لانه نشأ في

(١) البيان والتبيين للجاحظ: ٢ / ٢١٨ .

(٢) نافع بن جبير: هو عبد الله نافع بن جبير بن قطع بن عدي بن نوفل بن مناف النوثلي، كان توفي سنة ٩٩ هـ، ذكر ذلك في البيان والتبيين للجاحظ: ٢ / ٢١٧ .

(٣) طبقات فحول الشعراء لابن سلام : ١ / ١٨ وما بعدها ؛ الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء للمرزباني: ١٢٧ وما بعدها .

البادية أنما الذي عرف بذلك بعض الشعراء الذين نشأوا في المدن مثل الطرماح والكميت، ويسجل الرواة على الطرماح انه كان يستخدم الالفاظ الغريبة في شعره^(١).

يقول الاصمعي: (الكميت تعلم النحو وليس بحجه وكذلك الطرماح، وكانا يقولان ما قد سمعاه ولا يفهمانه)^(٢)، يروى انه قدم ذو الرمة الكوفة فلقبه الكميت، فقال له: اني قد عارضتك بقصيدتك. قال: أي القصائد؟ قال: قولك:

ما بال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كل مقربه سرب

قال: فأي شيء قلته ؟ قال: قلت:

هل أنت عن طلب الايقاع مُنْقَلِب ام هل مُحِبٌّ من ذي الشيب اللعب

فقال له: ما أحسن ما قلت، الا انك اذا شبهت الشيء تجيء به جيداً، كما ينبغي، ولكنك تقع قريباً، فلا يقدر إنسان أن يقول أخطأت ولا أصبت، تقع بين ذلك ولم تصف كما وصفت انا ولا كما نبهت قال: وتدرى لِمَ ذاك قال: لا ، قال: لانك تشبه شيئاً رأيته بعينك، وأنا اشبه ما وصف لي ولم أره بعيني قال: صدقت، هو ذاك^(٣).

وروي انه اجتمع نصيب والكميت وذو الرمة، فانشده نصيب بعض شعر الكميت:

(هَلْ أَنْتَ عَنْ طَلْبِ الْإِيقَاعِ مُنْقَلِب) حتى بلغ الى قوله :

(١) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء للبرمرزباني: ٢٢٨-٢٢٩ ؛ الاغاني للأصفهاني: ١٠ / ١٤٩ وما بعدها .

(٢) ينظر: الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء للبرمرزباني: ٢٢٧.

(٣) المصدر نفسه: ٢٣١.

أَمْ هَلْ ضَعَائِنُ بِالْعُلَيَّاءِ نَافِعَةٌ وَأَنْ تَكَامُلُ فِيهَا الْإِنْسُ وَالشَّنْبُ

فقال الكميت ما هذا؟ قال: احصي خطأك، تباعدت في قولك: (الانس والشنب)^(١).

ومن التهكم ايضاً هناك نوع آخر هو التهكم الشخصي، وذلك ان الدولة الاموية عرفت بتعصبها لعنصر العرب ولكل ما هو عربي، والاستخفاف بهذا الخليط من الاجناس الذين حملتهم سيوف العرب على الخضوع فسكتوا كارهين، ولبس بعضهم الاسلام على فساد ودخل فيه، بينما كان العرب ينظرون الى هذا السيل من الموالي، الذين يتدفق عليهم من الفتوحات، اسرى من الرجال والولدان وسبايا من الجواري والاماء فالعرب لا يرون هذا الخليط من الاسرى والاماء الا عبيداً ارقاء، قد اباحهم السيف لهم ليسخروا في خدمتهم والموالي - ومعظمهم من الفرس- لا يرون العرب الا بدواً جفاة، قد اتاهم الملك عفواً حيث ان بعض شعراء الموالي آثر ان يبتعد عن السياسة ومغامراتها، فكسبوا مكانتهم بالسخرية والتهكم من الناس، وهؤلاء كثير، منهم الحزین الكناني، وفيه يقول ابو الفرج: (كَانَ هَجَاءُ خَبِيثُ اللِّسَانِ، سَاقِطاً يَرْضِيهِ الْيَسِيرُ وَيَتَكَسَّبُ بِالشَّرِّ وَهَجَاءُ النَّاسِ)^(٢). ومنهم ايضاً ابن الخياط (كَانَ مَا جِئْنَا خَلِيعاً هَجَاءُ خَبِيثُ اللِّسَانِ)^(٣).

(١) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء للبمرزباني: ٢٢٩.

(٢) الاغاني للأصفهاني: ٧٤/١٤؛ الحزین الكناني، اسمه عمرو بن عبيد، ويلقب أبو الشعثاء.

(٣) المصدر نفسه: ٩٤/ ١٨، ابن الخياط: هو عبدالسلام بن يونس وقيل يونس بن سالم، وهو مولى لقريس وهو شاعر.

ومنهم ابو العطاء السندي^(١) ومنهم زياد الاعجم^(٢)، ومنهم يزيد بن مفرغ الذي اشتهر بتهكمه وسخريته في آل زياد، وصلابته في احتمال أذاهم وصبره على اضطهادهم^(٣).

وقد كان كثير من هؤلاء الشعراء لا يكتمون تعصبهم لقومهم، وتهكمهم بكل ما هو عربي، حتى لقد غلب عليهم الاستهتار، وروي عن بعضهم ما يصور الاستخفاف بالإسلام.

ومما ورد من الأمثلة في تعصبهم، قول ابن ميادة - وكان ابن أم ولد - ^(٤)

أَنَا ابْنُ أَبِي سَلَمَى وَجَدَي ظَالِمٌ وَأُمِّي حِصَانُ أَخْلَصَتْهَا الْأَعَاجِمُ

أَلَيْسَ غَلَامٌ بَنِي كُسْرَى وَظَالِمٌ بِأَكْرَمٍ مِنْ نَيْطَتْ عَلَيْهِ التَّمَائِمُ

وقوله ^(٥):

لَنَا الْمُلْكُ إِلَّا أَنْ شَيْنَا تَعْدَهُ فُرَيْشٌ وَلَوْ شَيْنَا لِذَاخَتْ رِقَابُهَا

(١) اسمه افلح بن سيار مولى بني أسد من مخضرمي الدولتين، الاغانى للأصفهاني: ٧٨ / ١٦ - ٩١.

(٢) زياد الأعجم: هو زياد بن سليمان ، مولى عبد قيس، الاغانى للأصفهاني: ٩٨ / ١٤.
(٣) الأغاني للأصفهاني: ٥١ / ١٧، ابن مفرغ: هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ، ولقب جده مفرغاً لانه راهن على سقاء لبن فشربه، ويكنى أبا عثمان .

(٤) المصدر نفسه: ٨٥ / ٢ - ١١٢ وما بعدها، وابن أم ولد، أي ان امه كانت جارية أبيه العربي ، وميادة أم الشاعر التي ينسب إليها هي فارسية، وأبوه عربي من غطفان، واسمه: الرماح بن ابرد بن ثوبان بن حرملة بن سراقه بن ظالم.

(٥) المصدر نفسه: ٨٥/٢-١١٣.

ومن أمثلة هذا التعصب، ما يروى أن زياداً الأعجم كان يخرج وعليه قباء ديباج تشبهاً بالأعاجم، حتى لقد (مرَّ به يزيدُ بنُ المهلبِ ذاتَ يومٍ وهو على حاله تلكَ، فأمرَ به ففُنعَ أسواطاً ومزقَ ثيابه قائلاً: والترك تتشبه لا أم لك؟) فقال زياد^(١):

مَا الدِّيبَاجُ خَرَقْتَ وَحْدَهُ وَلَكِنَّمَا خَرَقْتَ جُلْدَ الْمَهْلَبِ

أما استهتارهم ومجافاتهم للإسلام، فالأمثلة عليه كثيرة، كان زياد الأعجم، عند عمر بن عبدالله بن معمر بفارس، وقدم عليه غزال بن محمد الفقيه من مصر، فكان غزال يحدثه بحديث الفقهاء فقال زياد^(٢):

يُحَدِّثُنَا إِنَّ الْقِيَامَةَ قَدْ أَتَتْ وَجَاءَ غَزَالٌ يَبْتَغِي الْمَالَ مِنْ مِصْرٍ
فَكَمْ بَيْنَ بَابِ التَّركِ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا وَ أَيْوَانِ كُسْرَى مِنْ فَلَاةٍ وَمِنْ قَصْرِ

ويروى ان يزيد بن حبناء الضبي قد مرَّ به، وهو ينشد متهمكاً ساخرأً من الناس، فقال له ألم يأن لك أن ترعوي، وتترك تمزيق أعراض الناس؟ ويحك حتى متى تتمادى في الضلال؟ كأنك بالموت قد صبحك أو مساك فتهمك وسخر منه بقوله^(٣):

يُحَذِّرُنِي الْمَوْتُ ابْنَ حَبْنَاءَ وَالْفَتَى إِلَى الْمَوْتِ يَغْدُو جَاهِدًا وَيَرَوْحُ
فَقُلْ لِيَزِيدَ يَا ابْنَ حَبْنَاءَ لَا تَغْظِ أَخَاكَ وَعَظْ نَفْسًا فَأَنْتَ جَنُوحُ

(١) الأغاني للأصفهاني: ١٤ / ١٠٠ - ١٠١ .

(٢) المصدر نفسه: ١٤ / ١٠٠ - ١٠١ .

(٣) المصدر نفسه: ١٤ / ٩٨ - ١٠٤ .

وروى الزبير بن بكار أن أباه وليّ الحجاز، فالزم ابن الخياط حضور الصلاة مع الجماعة، فجاء ابن الخياط وانشد ساخراً من الصلاة^(١):

قُلْ لِلْأَمِيرِ يَا كَرِيمُ الْجَنَسِ يَا خَيْرَ مَنْ بِالْغَوْرِ أَوْ بِالْجَلَسِ
وَعِدَّتِي لَوْلَايَ وَنَفْسِي شَغَلَّتْنِي بِالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ

فقال له ويحك، أتريد أن استعفيه لك من الصلاة؟ والله ما يعفيك وإن ذلك ليبعثه على اللجاج في أمرك، فمضى وقال: فصبراً اذن حتى يفرج الله تعالى، وقد حد ابن الخياط في الخمر حتى جلده مالك بن أنس، فلما ولي ابن سعيد في المدينة قال فيه^(٢):

بَكْتَنِي النَّاسُ لَأَنْ جُلِدْتُ وَسَطَ الرَّحْبَةِ
وَأَنْتِي أَزْنِي وَقَدْ غَنِيْتُ فِي الْمُحْتَسَبَةِ
أَعْرِفُ فِيهِمْ بَعْصاً أَبْـ نَ مَالِكِ الْمُقْتَضَبَةِ
فَقُلْتُ لَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيَّ فِيمَ الْجَلْبَةِ
ذَا ابْنُ سَعِيدٍ قَدْ قَضَى وَحَالِنَا مُقْتَرِبَهُ
لَا بَلَّ لَهُ التَّفْضِيلُ فَيَمَّا لَمْ أَنْلُ وَ الْغَلْبَةِ
بِحَسَنِ صَوْتٍ مُطْرِبٍ وَرَوْجَةٍ مُعْتَصَبَةِ

(١) الاغاني للأصفهاني: ١٨ / ٩٨ .

(٢) المصدر نفسه: ١٨ / ٩٩ .

وكان هؤلاء الشعراء، على مكانتهم في الشعر لا يفصحون ولا يحسنون النطق بالعربية حيث ان أبا العطاء السندي كان يجمع بين لثغة ولكنة، فلا يكاد يفهم كلامه.

ويروى أنه أتى سليمان بن سليم فانشده^(١):

أَعُوذُ نَتْنِي الرَّوَاةُ يَا أَبْنَ سَلِيمَ	وَأَبَى أَنْ يُقَيِّمَ شَعْرِي لِسَانِي
وَعَلَا بِالذِّي أَجْمَعُ صَدْرِي	وَجَفَانِي لِعَجْمَتِي لِسَانِي
وَأَزْدَرْتَنِي الْغَيُّونُ إِذْ كَانَ لَوْنِي	حَالِكًا يَحْتَوِي مِنَ الْأَلْوَانِ؟
فَضَرَبْتُ الْأُمُورَ ظَهْرًا لِبَطْنِ	كَيْفَ إِخْتَالَ حِيلَةَ لِبَيَانِي
وَتَمَنَيْتُ أَنِّي كُنْتُ بِالشَّعْرِ	فَصِيحًا وَبَانَ بَعْضَ بَيَانِي
فَاكْغَفَنِي مَا يَضِيقُ عَنْهُ لِسَانِي	بِفَصِيحٍ مِنْ صَالِحِ الْغُلَمَانِ
يَفْهَمُ النَّاسُ مَا أَقُولُ مِنَ الشَّعْرِ	فَأَنَّ الْبَيَانَ قَدْ أَعْيَانِي

فأمر له سليمان بوصيف بربري فصيح، فسماه عطا، وتكنى به، ورواه الشعر، فكان إذا اراد اشاد شعراً أمره بإنشاد ما قاله.

وقد حقق التهكم والسخرية لهذه الطائفة ما طمحوا اليه من مكانة، فكان سلاحاً مرهوباً يخشاه الناس، يتقونه بإكرامهم ومداراتهم، وقد روي رجل أنه كان جالساً عند المهلب، فاقبل عليه رجل طويل مضطرب، فلما رآه المهلب قال: اللهم أني اعوذ بك

(١) الاغانى للأصفهاني: ١٦ / ٧٩ .

من شره، فجاءه فقال: أصلح الله الأمير: أني قد مدحتك ببيت صفده مائة ألف درهم، فسكت المهلب فأعاد عليه القول ، فقال : أنشدنياه ، فأنشده^(١) :

فَتَى زَادَهُ السُّلْطَانُ فِي الْخَيْرِ رَغْبَةً إِذَا غَيَّرَ السُّلْطَانُ كُلَّ خَلِيلٍ

فقال له المهلب: يا أبا أمامة، مائة ألف؟! فوالله ما هي عندنا، ولكن ثلاثون الفا" فيها عروض، فالمهلب لم يدفع الثلاثين الفا لهذا البيت التافه من الشعر، فهو لا يساوي شيئاً وانما دفعها اتقاء لسخريته وتهكمه له، ويبدو لنا ان التهكم والسخرية اصبح سلاحاً بيد بعض الشعراء يحاولون من خلاله الحصول على الاموال من الامراء، مخافة السخرية بهم في ذلك العصر.

ولقد بلغ من رهبة هؤلاء الموالي عند الناس، وجرأتهم عليهم، ان زياداً هذا شرب يوماً مع حبيب بن المهلب فسجعت حمامة على شجرة، فقال لها زياد^(٢):

تَغْنِي أَنْتِ فِي ذِمَّتِي وَعَهْدِي وَذِمَّةِ وَالِدِي إِنْ لَمْ تَطَّارِي

فإِمَّا يَفْتُلُوكِ طَلَبْتُ ثَأْراً لَهُ نَبَأُ لَانِكَ فِي جَوَارِي

فتحده ابن المهلب فأصاب الحمامة بسهم تهكماً به، فانطلق زياد الى المهلب ابن ابي صفرة شاكياً فألزم ابنه دية الحمامة الف دينار لانها جارته وانما فعل ذلك اتقاء شره وتهكمه به .

وحج عبدالله بن عبدالملك بن مروان ، فقال أبوه، سيأتيك الحزين الكناني الشاعر بالمدينة وهو ذرب اللسان شديد السخرية والتهكم، فإياك أن تحتجب عنه،

(١) الاغاني للأصفهاني: ١٤ / ١٠٣.

(٢) المصدر نفسه: ١٤ / ١٠٠.

وأرضه، ووصفه له فقال انه، ذو بطن عظيم الانف فلما قدم عبدالله وصفه لحاجبه، وقال له أيّاك أن ترده^(١)، بل لقد بلغ من جرأة الحزين الكناني، انه كان يفرض الضرائب على اشراف الناس وعلى بعض القرشيين .

وقد روى صاحب الاغانى انه فرض على كل رجل من قرش درهمين في كل شهر، منهم ابن ابي عتيق، فجاءه يوماً لأخذ درهميه، وهو على حمار أعجف، وكان الشاعر (كثير) جالساً مع ابن ابي عتيق، وقد دعا ابن ابي العتيق للحزين بدرهمين... فقال له الحزين: (من هذا الذي معك؟ قال: هو ابو صخر كثير،... وكان قصيراً دميماً، فقال له الحزين: أتأذن لي ان اتهمك منه)، قال: لا لعمرى لا آذن أن تسخر من جليسي، ولكن أشتري عرضه منك بدرهمين... ودعا له ثم قال: لا بد من السخرية والتهكم منه ببيت، قال: أو أشتري ذلك منك بدرهمين آخرين، ودعا له بهما فأخذهما وقال: ما أنا بتاركه حتى اسخر منه، أو أشتري ذلك بدرهمين آخرين، فقال له كثير (أذن له وما عسى أن يقول في؟) فأذن له بن ابي عتيق فقال:

قَصِيرُ الْقَمِيصِ فَاحِشٌ عِنْدَ بَيْتِهِ يَعْضُ الْقَرَادَ بَاسْتِهِ وَهُوَ قَائِمٌ

فوثب كثير اليه فوكزه فسقط هو والحمار، وخلص ابن أبي عتيق بينهما^(٢) وقد كان معظم تهكم هذه الطبقة كما نرى غثاً تافهاً اذا وزن بموازين الشعر، وكان شطر كبير مرتجلاً ينشئه الشاعر لساعته، وهؤلاء الشعراء كانوا اكثر ما يتعرضون للسادة والوجهاء، ولم يكونوا يتعرضون للذين لا يبالون ان يجيبوهم، ويظهرون لهم عدم الاكتراث بشعرهم، حيث ان ابن الخياط سخر وتهكم من موسى بن طلحة بن بلال التيمي فقال^(٣):

(١) الأغاني للأصفهاني: ١٤ / ٧٨.

(٢) المصدر نفسه: ١٤ / ٧٨.

(٣) المصدر نفسه: ١٨ / ٩٥.

عَجَبَ النَّاسُ لِلْعَجِيبِ الْمُحَالِ حَاضَ مُوسَى بْنُ طُلْحَةَ بْنِ بِلَالٍ
زَعَمُوهُ يَحِيضُ فِي كُلِّ شَهْرٍ وَيَرَى صُفْرَةَ لِكُلِّ هَالِلٍ

فلقيه موسى فقال: يا هذا، وأي شيء عليك؟ نعم حضت وحملت وولدت وارضعت فقال ابن الخياط: أنشدك الله أن لا يسمع هذا منك احد فيجتري على شعري الناس فلا يكون شيئاً، ولن يبلغك مني ما تكره بعد الآن.

وقد غلب على تهكم وسخرية هذه الطبقة الاقتضاب والقصر، فكان ذلك ادعى لذيوعه وخفته على الألسن، وأشد للذعة ونكايته.

وكان زياد يقول: ما هجيت بشيء اشد عليّ من قول ابن مفرغ^(١):

فَكَّرَ فَفِي ذَاكَ إِنْ فَكَرْتَ مُعْتَبِرٌ هَلْ نِلْتَ مَكْرَمَةً إِلَّا بِتَأْمِيرِ
عَاشَتْ سُمَيَّةٌ مَا تَدْرِي وَقَدْ عَمَرَتْ إِنْ ابْنَهَا مِنْ قُرَيْشٍ فِي الْجَمَاهِيرِ

وقال ايضاً في التهكم والسخرية من زياد بن سمية^(٢):

فَأَقْسَمَ مَا زِيَادَ مِنْ قُرَيْشٍ وَلَا كَانَتْ سُمَيَّةٌ مِنْ تَمِيمِ
وَلَكِنْ نَسْلُ عَبْدٍ مِنْ بَغْيٍ عَرِيقُ الْأَصْلِ فِي النَّسَبِ اللَّئِيمِ

(١) هو زياد بن ابيه والي العراق الذي اراد معاوية ان يلحقه بابيه ابي سفيان، انظر: الأغاني للأصفهاني: ٦٧ / ١٧.

(٢) الأغاني للأصفهاني: ٦٧ / ١٧.

وقال فيه^(١) :

إِنَّ زِيَاداً وَنَافِعاً وَأَبَا بَكْرَةَ عُنْدِي مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ
إِنَّ رَجَالاً ثَلَاثَةً خُلِقُوا فِي رَحِمِ أَنْثَى مَا كُلُّهُمْ لَأَبٍ
ذَا قَرَيْشِي كَمَا يَقُولُ، وَذَا مَوْلَى، وَهَذَا بَزْعَمِهِ عَرَبِي

أما في العصر العباسي الاول فقد كان لطبيعة العصر، وغلبة المدنية عليها وما يلحق ذلك من ارتقاء في سبل العيش من مأكّل وملبس ومسكن، للمستوى الثقافي الذي تمتع به ابناء الحواضر الناتج عن الاندماج بثقافات مختلفة.

أن اصبحت بعض عادات الاعراب وتصرفاتهم عرضة للضحك ومادة للتندر، فهم بما يملكونه من غلظة في الطباع وخشونة في المظهر وسداجة في التصرف كل ذلك قد جعل منهم ذوي امزجة حادة لا يتقبلون الجديد بسهولة فكانت حياة الفقر مدعاة لهم لاقتناء أي شيء يسد رمقهم، مما دبّ ودرج على الارض من غير تحرج، مما سبب ضحك أهل المدينة عليهم، يقول صاحب الحيوان، سأل مدني أعرابياً قائلاً (أتأكلون الضب؟ قال نعم. قال: فاليربوع؟ قال: نعم. قال: فالورل؟ قال: نعم. قال: أفتأكلون أم حبين؟ قال: لا. قال فليهن أم حبين العافية)^(٢).

فهم على الصد من أهل المدن الذين كثرت في مدنهم الوان الاطعمة من بارد وحرار وحلو وحامض وكثرت تبعاً لذلك مسمياتها، في حين نجد طعام الاعراب لا

(١) الأغاني للأصفهاني: ١٧ / ٦٠.

(٢) الحيوان للجاحظ: ٦ / ١٤٣.

يتعدى اصنافاً قليلة، قيل لأعرابي: (مَا اسْمُ الْمَرْقِ عِنْدَكُمْ؟ قَالَ: السَّخِين. قَالَ: فَادًا بَرَدًا. قَالَ: لَا نَدَعُهُ حَتَّى يَبْرُدَ)^(١).

وقد ظهر اللحن في العصر العباسي الاول كما هو الحال في العصر الاموي، وذلك في بعض الطبقات، وبخاصة العامة مما دفع الاعرابي عند مروره في بعض الاسواق وسماعه اللحن في اللغة وشيوعه الى القول: (سبحان الله! يَلْحُونُ وَيَرْبَحُونَ وَنَحْنُ لَا نَلْحُنُ وَلَا نَرْبِحُ)^(٢)، ويبدو ان هذه الظاهرة قد تسربت الى بعض المتعلمين مثل أئمة الصلاة، حيث يروي صاحب عيون الاخبار أن أعرابياً سمع أماماً يقرأ ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾^(٣) بفتح تاء (تنكحوا). فقال: والقراءة وَلَا تُنْكِحُوا. فقال: (قَبَّحَهُ اللَّهُ لَا تَجْعَلُوهُ إِمَامًا بَعْدَهَا فَإِنَّهُ يَحِلُّ مَا حَرَّمَ اللَّهُ)^(٤).

ومن صور هذا اللحن: ابدال صوت حرف بصوت حرف آخر يقاربه في المخرج، كما روى ابن المقفع ان رجلاً بصرياً كانت له جارية تسمى ظمياء (فَكَانَ إِذَا دَعَاَهَا قَالَ: يَا ضَمِّيَاءَ. بِالضَّادِ، فَقَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ: قُلْ: يَا ظَمِّيَاءَ. فَنَادَاهَا: يَا ضَمِّيَاءَ، فَلَمَّا حَثَّ عَلَيْهِ ابْنُ الْمُقَفَّعِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا قَالَ لَهُ: هِيَ جَارِيَّتِي أَوْ جَارِيَّتُكَ)^(٥).

وهكذا ظهرت نصوص تحمل في طياتها فكاهاة ترمي الى التقليل من ظاهرة اللحن في اللغة ، هذا ما شهدته بغداد حينئذٍ لكونها حاضرة الخلافة العباسية .

أما البصرة والكوفة، فقد استقطبت تلك القوميات الوافدة اليها، وذلك باحتواء لغتهم على ما فيها من لكنات من ذلك ما رواه الجاحظ عن حادثة وقعت له فيقول:

(١) البيان والتبيين للجاحظ : ٩ / ٤ .

(٢) عيون الاخبار لابن قتيبة: ١٥٩ / ٥

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢١

(٤) عيون الاخبار لابن قتيبة: ١٦٠ / ٥

(٥) البيان والتبيين للجاحظ : ٢١١ / ٢ .

(أتيت منزل صديق لي فطرقت الباب، فخرجت لي جارية سندية. فقلت لها: قولي لسيدك، الجاحظ بالباب. قالت: أقول الجاحد بالباب؟ قلت: لا، بل قولي الجاحظ في الباب. فقالت: اقول الحلقي بالباب؟ فَقُلْتُ لَهَا لَا تَقُولِي شَيْئاً وَانصَرَفْتُ^(١)).

وقد شاع في زمن الامين الجواري الغلاميات وهذه ترتبط بالحادثة المشهورة التي تذهب الى (أن زبيدة حين رآته يستكثر من المخنثين والخصيان قدمت اليه الجواري وألبستهن ملابس الغلمان فوقعن في قلبه واستحسنهن)^(٢) وكان هذا الوضع مدعاة لسخرية الشعراء منه ، قال ابو نواس^(٣) :

أَحْمِدُوا اللَّهَ كَثِيرًا	يَا جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ
ثُمَّ قُولُوا لَا تَمَلُّوا	رَبَّنَا أَبْقِ الْأَمِينَا
صَيِّرْ الْخَصِيَانَ حَتَّى	جَعَلَ التَّصْيِيرَ دِينَنَا
فَاقْتَدَى النَّاسُ جَمِيعًا	بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

(١) سرح العيون في شرح ابن زيدون: ٢٥٠.

(٢) ينظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر: ٢٩٥/٤.

(٣) ديوان ابي نواس: ٧٠٤.

المبحث الثالث

البواعث الاقتصادية

البواعث الاقتصادية

بعد أن هاجر العرب من الجزيرة، ومصرفوا الأمصار، ونزلوا في بلدان الأمم المفتوحة، أخذوا يتأثرون تأثراً واسعاً بالحضارات، إذ كانت تحت أعينهم، وكانت حجورهم تمتلئ بأموال الغنائم، وما رُسم لهم في دواوين الدولة من رواتب، وسرعان ما تحضروا بل سرعان ما أترفوا، إذ ابتنوا القصور وأطعموا في أواني الذهب، ومختلف الأطعمة، ولبسوا الثياب الحريرية المزركشة وتعطروا بالمسك وغيره من أنواع العطور.

ويروى أن الحجاج كتب إلى عامله على فارس فقال: (أُبْعَثْ إِلَيَّ بِعَسَلٍ مِنْ عَسَلِ خَلَّارٍ^(١) مِنَ النحل الإِبْكَارِ مِنَ الاسْتَفْشَارِ^(٢) الَّذِي لَمْ تَمْسُهُ النَّارُ)^(٣)، مما يصور هذه الرقة في العيش والتنعيم ما يروون من أَنَّ عُبيدَ اللَّهِ بن زياد هَيَّأَ لِأَبِيهِ حين توفى ستين ثوباً ليكفنه فيها^(٤) فلم يعد الثوب ولا الثياب القليلة تكفي الكفن الواحد.

وتظهر ضريبة هذا الترف عند يزيد بن عبد الملك الذي وصفه أبو حمزة الاباضي^(٥) فقال^(٦): (أَنَّهُ يَشْرَبُ الْخَمْرَ وَيَلْبَسُ الْخُلَّةَ، قَوْمَتْ بِأَلْفِ دِينَارٍ... وَحَبَابَةٌ عَنْ يَمِينِهِ وَسَلَامَةٌ عَنْ يَسَارِهِ تَغْنِيَانِهِ حَتَّى إِذَا أَخَذَ الشَّرَابَ مِنْهُ كُلَّ مَا خَذَ قَدْ ثَوْبَهُ ثُمَّ التَفَتَ إِلَى أَحَدَاهُمَا، فَقَالَ (أَلَا أَطِيرُ)، وَقَدْ أُرْسِلَ فِي طَلَبِ مَغْنَى الْحِجَازِ، فَجَاءَهُ مِنْهُمْ كَثِيرُونَ.

(١) خَلَّارٌ: موضع بفارس مشهور بعسل النحل، انظر: البيان والتبيين للجاحظ: ١٠٣/٢.

(٢) الاستفشار: كلمة فارسية معناها العصور، انظر: المصدر نفسه: ١٠٣/٢.

(٣) المصدر نفسه: ١٠٣/٢.

(٤) تاريخ الامم والملوك للطبري، ١٦٢/٦ إحداث سنة ٥٣.

(٥) أبو حمزة الاباضي: هو أحد النساك الاباضية وخطبائهم وأسمه يحيى بن المختار؛ انظر في

البيان والتبيين للجاحظ: ١٢٢/٢.

(٦) مصدر نفسه، ١٢٣/٢، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ١٦٤/٣.

ولم تكن حمول الذهب والفضة تحملُ وحدها إلى بني أمية من الآفاق، فقد كانت تحملُ معها حمول الجواهر واللآلي، كما يحدثنا الجهشيارى^(١).

ويروى وقد تنافسوا جميعاً العرب والموالي في بناء القصور، ويروى في نصوص كثيرة أنهم كانوا يحيطون قصورهم بالحدائق والبساتين^(٢).

أما في خراسان فقد نعم العرب بكثرة ما أصابوا من الأموال، ويروى ان مصعب بن الزبير في ولايته على العراق جاءه من هناك نخلة مصنوعة من الذهب عثاكيلها من لؤلؤ وجوهر وياقوت احمر واخضر، وقد قومت بألفي ألف دينار^(٣).

ويقال أن الجراح الحكمي واليها لعهد عمر بن عبد العزيز كان يتخذ تحت بساطه نقراً يملؤها ذهباً وفضة، ويوزعها على من يدخل عليه من أصحابه^(٤).

ومما يصور سخط الناس وسخريتهم لعدم توافر الكفايات في العمل، وقد كثرت شكوى شعراء العراق، من ظلم العمال في جباية الأموال ويبدو لي أن هذه الشكوى تصور جفاء الإعراب ونفورهم من الزكاة، ومن الخضوع للسلطان بأكثر مما تصور ظلم الجباة، وأن كان وقوع الظلم غير مستبعد في كل زمان ومكان، ولاسيما في دولة واسعة الأطراف كالدولة الإسلامية وقتذاك مع ما هو معروف من أن العمال الذين كانوا يختارون للعراق كانوا من أهل الشدة والصرامة لكثرة ما ظهر فيه من فتن واضطرابات.

وانظر إلى هذه الصورة التي يقدمها يحيى بن نوفل الحميري^(٥) وكان شاعراً كثير السخرية والتهكم كان يسخر من أبان بن الوليد البجلي وأخاه بلالاً حين ولاهما

(١) انظر: كتاب الوزراء والكتاب للجهشيارى ، ٢٧ ، ٣٤ ، ٣٥ .

(٢) البيان والتبيين للجاحظ ، ٨٢/٢ .

(٣) كتاب الوزراء والكتاب للجهشيارى : ٤٤ .

(٤) انساب الاشراف للبلاذري : ٤١٥/١ .

(٥) هو يحيى بن نوفل اليماني من حمير؛ الشعر والشعراء لابن قتيبة : ٧٢٩/٢ .

خالد القسري بعض الأعمال، كيف يصور ما ينغمس فيه العمال من ترف، وما يحيطون به أنفسهم من مظاهر الجاه بعد عيش خشن، ورزق ضيق صنين^(١):

تَقُولُ هُشِيمَةً فِيمَا تَقُولُ	مَلَلْتُ الْحَيَاةَ أَبَا مَعْمَرٍ؟
وَمَا لِي إِلَّا أَمَلُ الْحَيَاةِ	وَهَذَا بِلَالٌ عَلَى الْمُنْبَرِ!
وَهَذَا أَخُوهُ يَقُودُ الْجِيُوشَ	عَظِيمَ السَّرَادِقُ وَالْعَسْكَرُ!
وَأَمَّا ابْنُ سَلْمَى فَشِبْهُ الْفَتَاةِ	بَكُورٌ عَلَى الْكُحْلِ الْمَجْمَرِ
دَبُوبُ الْعِشَاءِ إِذَا أَطْمَعَتْ	حَلِيلَةً كُلِّ فَتَى مُعَوَّرِ
وَأَمَّا ابْنُ أَشْعَثَ ذُو التَّرَهَاتِ	وَذُو الْكَذِبِ وَالزُّورِ وَالْمُنْكَرِ
فَلَوْ قِيلَ عَبْدٌ شَرَّتْهُ التَّجَارُ	سَبِيٌّ مِنَ الرُّومِ لَمْ يُنْكَرِ
وَأَمَّا ابْنُ مَا هَانَ بَعْدَ الشَّقَاءِ	وَبَعْدَ الْخِيَاطَةِ فِي كَسَاكَرِ
يَرُوحُ يُسَامِي مُلُوكَ الْعِرَاقِ	وَقَدْ عَاشَ دَهُورًا وَلَمْ يُذْكَرِ
وَهَذَا ابْنُ زَيْدٍ لَهُ جُبَّةٌ	تَفُوحُ مِنَ الْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ
وَهَذَا أَبَانُ بَنِي الْوَلِيدِ	خَطِيبٌ إِذَا قَامَ لَمْ يَحْضُرِ

وانظر قوله في بلال بن أبي بردة، فيزعم أنه منافق يظهر النسك والورع وبخذه الناس بتلاوة القرآن، وبهذه العلامة التي اتخذها في جبهته، كأنها من السجود وإيمان الصلاة^(٢):

أَبِلَالُ إِنِّي رَابِي مِنْ شَائِكُمْ قَوْلُ تَرْيِنَهُ وَقَعْلٌ مُنْكَرُ

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة: ٧٢٩/٢.

(٢) المصدر نفسه: ٧٣١/٢.

مَالِي أَرَاكَ إِذَا أَرَدْتَ خِيَانَةً جَعَلَ السَّجُودُ بَحْرَ وَجْهِكَ يَظْهَرُ
مُتَحَشِّعًا طِينًا لِكُلِّ عَظِيمَةٍ تَتْلُو الْقُرْآنَ وَأَنْتَ ذَنْبٌ أَغْبَرُ

ثم انظر ما يقول هذا الشاعر الكثير التهكم والسخرية، بسعيد بن راشد، الذي ارتقى للأماراة ولم يكن أهلاً، فلبس الخز وركب البغال في المواكب واتخذ الحجاب^(١):

بَكَى الْخَزُّ مِنْ إِبْطِي سَعِيدٍ بِنُ رَاشِدٍ وَمِنْ إِسْنَتِهِ تَبْكِي بَغَالُ الْمَوَاكِبِ
فَوَا عَجَبًا حَتَّى سَعِيدُ بِنُ رَاشِدٍ لَهُ حَاجِبٌ بِالْبَابِ مِنْ دُونِ حَاجِبِ

ومن شعر عبد الله بن همام السَّلُولِي الذي يتهكم ويسخر من النعمان بن بشير والي الكوفة، وكان معاوية قد أمر لأهلها بزيادة عشرة دنانير في اعطياتهم، فحبسها النعمان عنهم ولم ينفذها، لسابق إخلاصهم لعلي^(٢):

زِيَادَتِنَا نَعْمَانُ لَا تَحَرَمْنَا خَفَ اللَّهُ فِيْنَا وَالْكِتَابُ الَّذِي تَتْلُو
فَاتَّكَ قَدْ حُمِلَتْ مِنَّا أَمَانَةٌ بِمَا عَجَزْتَ عَنْهُ الصَّلَاحِمَةُ الْبُزْلُ
وَإِنْ يَكُ الشَّرُّ تَحْسُنْ فَتَحَهُ فَلَا يَكُ بَابُ الْخَيْرِ لَيْسَ لَهُ قَفْلُ
فَقَدْ نَلْتِ سُلْطَانًا عَظِيمًا فَلَا يَكُنْ لِعَيْرِكَ جَمَاتُ النَّدَى وَلَكَ الْبُخْلُ
وَأَنْتَ أَمْرٌ حَلَوِ اللِّسَانِ بَلِيغُهُ فَمَا بَالُهُ عِنْدَ الزِّيَادَةِ لَا يَخْلُو
وَقَبْلَكَ قَدْ كَانُوا عَلَيْنَا أُنْمَةً يَهْمُهُمْ تَقْوِيمُنَا وَهُمْ عُضْلُ
إِذَا أَنْصَتُوا لِلْقَوْلِ قَالُوا فَأَحْسَنُوا وَلَكِنْ حُسْنَ الْقَوْلِ خَالَفَهُ الْفِعْلُ
يَذْمُونَ دُنْيَانَا وَهُمْ يَرْضَعُونَهَا أَفَلَاوِيْقَ حَتَّى مَا يُدْرُ لَهَا تَمْلُ

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة : ٧٣٣ / ٢.

(٢) الأغاني للأصفهاني: ١١٤ / ١١٥-١١٦.

وكذلك شعر انس بن أبي زنم في عبد الله بن الزبير حين تزوج أخوه مصعب ابن الزبير عائشة بنت طلحة ووضع صداقها الف الف درهم حيث يقول^(١) :

أَبْلُغْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رِسَالَةً مِنْ نَاصِحٍ لَكَ لَا يُرِيدُ خِدَاعًا
بُضْعُ الْفَتَاةِ بِأَلْفٍ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَتَبَيَّتْ سَادَاتُ الْجُنُودِ جِيَاعًا
لَوْ لِأَبِي حَفْصٍ أَقُولُ مَقَالَتِي وَأَقْصُ شَأْنَ حَدِيثِكُمْ لَأَرْتَاعَا

ولعل أطرف قصيدة وصلت إلينا من شعر الشاعر عبد الله بن همام السلولي في هذا الجانب الاقتصادي تلك اللامية الطويلة التي بَعَثَ بها الى عبد الله بن الزبير يشكو فيها عماله وأصحاب الخراج والصدقات في المنطقة الشرقية من دولته.

فالشعر الذي بين أيدينا يتهم فيه ويسخر من أولئك الجبابة، ويلقي التهم جزافاً ما يكاد يغادر واحداً وهو صورة صحيحة لواقع فاسد يكون منه حيث يقول: عبد الله بن همام السلولي^(٢):

يَا ابْنَ الزُّبَيْرِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَلَمْ يُبْلِغَكَ مَا فَعَلَ الْعُمَالُ بِالْعَمَلِ؟
بَاعُوا التَّجَارَ طَعَامَ الْأَرْضِ وَاقْتَسَمُوا صُلْبَ الْخَرَاجِ شَحَاحاً قِسْمَةَ النَّقْلِ؟^(٣)
وَقَدَّمُوا لَكَ شَيْخاً كَاذِباً خَذِلاً مَهْمَا يَقُلْ لَكَ كَاذِبٌ يَقُلْ^(٤)
وَفِيكَ طَالِبٌ حَقٌّ ذُو مَرَانِيَّةٍ جَلَدُ الْقَوَى لَيْسَ بِالْوَانِي وَلَا الْوَكِلِ

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة: ٧٢٦-٧٢٧ .

(٢) انظر: انساب الاشراف للبلاذري ، ١٩١/٥ وما بعدها.

(٣) النقل: الغنيمة، انظر: انساب الاشراف: ١٩١/٥ .

(٤) يقصد مرتد بن شراحيل، كان اميناً على التجار في بيع الطعام، انظر: المصدر نفسه: ١٩١/٥ .

وهذه القصيدة في حقيقة امرها صحيفة سوداء، يسجل فيها الشاعر اولئك الولاة والعمال الذين خانوا الامانة التي حملوها، ويذكرهم لولي الامر الشرعي، واحداً واحداً مبيناً وجوه شكواه منهم، وتهمكه بهم وتنكره لهم لعبثهم بأموال الدولة. وهذا هو الشاعر الراعي النميري، يشكو الجباة الى الخليفة عبد الملك بن مروان، حيث يقول الراعي^(١):

قَالَتْ خُلَيْدَةُ مَا أَعْرَاكَ؟ وَلَمْ تَكُنْ	قَبْلَ الرُّقَادِ عَنِ الشُّوْنِ سُؤُولَا
أَخْلَيْدُ إِنَّ أَبَاكَ ضَافَ وَسَادَهُ	هَمَانِ بَاتَا جَنْبَةً وَدَخِيلَا
أُولِيَّ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّا مَعَشَرُ	حُنَفَاءٍ نَسْجُدُ بُكْرَةً وَأَصِيلَا
عَرَبُ نَرَى لِلَّهِ فِي أَمْوَالِنَا	حَقُّ الزَّكَاةِ مُنْزَلًا تَنْزِيلَا
إِنَّ السُّعَاةَ عَصَوْكَ حِينَ بَعَثْتَهُمْ	وَأُتُوا دَوَاعِي لَوْ عَلِمْتَ وَغُولَا
إِنَّ الدِّينَ أَمْرُهُمْ أَنْ يَعْدِلُوا	لَمْ يَفْعَلُوا مِمَّا أَمَرْتَ فَتَيْلَا

وهذا هو الفرزدق، يشكو الى سليمان بن عبد الملك من هذا الامر نفسه فيقول إن الناس قد نذروا ان يحجوا حفاة، وان يصوموا لله، ان انقذتهم بولايتك الخلافة، وهاهم اولاء يوفون نذرهم، بعد أن أهلكهم ظلم من قبلك فلم يبق منهم إلا السنا وعظاماً فكان الجباة يحاسبون الناس على ما ذهب من مالهم، وما هلك من اهلهم، حتى أصبح أهل العراق يحسدون الميت، لنجاته من عذاب الظالمين، ويقول الفرزدق

(١) ديوان الراعي النميري (٥٦-٦٥) هو عبيد بن حُصين بن نمير من قيس غيلان، غلب عليه لقب الراعي لكثرة وصفه الابل ؛ وجمهرة اشعار العرب: ٣٣١.

إن الناس قد انقذوا من هذا العالم بولاية سليمان للخلافة، ويعجب من أمره في ظلم أرامل ليس لهن جريرة، وقد حبس عنهن ما يستحقن من عطاء اذ يقول^(١):

يَوْمًا نَوَاصِينَا مَنْ النَّذْرُ	كَمْ فِيكَ إِنْ مَلَكَتْ يَدَاكَ لَنَا
سَنْتَيْنِ أَمْ أَفِيرُخُ زُغَرٍ	مِنْ حَجِّ حَافِيَةٍ وَصَانِمَةٍ
وَأَعِظْمُ وَحَوَاصِلِ حُمْرٍ	لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ غَيْرُ أَلْسِنَةٍ
فِي الْبَرِّ مَنْ يَعْتُوُوا فِي الْبَحْرِ	وَيُجْمَرُونَ بِغَيْرِ أُعْطِيَةٍ
جِيفًا بَلَيْنَ تَقَادُمِ الْعَصْرِ	وَيُكَلَّفُونَ أَبَاعِرًا ذَهَبَتْ
يَمْشِي بِأَعْظَمَةٍ إِلَى الْقَبْرِ	حَتَّى غِبْطَنَا كُلَّ مُتَحَمِّلٍ
تَحْتَ التَّرَابِ وَجِيءَ بِالْحَشْرِ	وَتَمَنَّتْ الْأَحْيَاءُ أَنَّهُمْ

ويصور الفرزدق بأسلوب تهكمي ساخر ظلم الولاة في موضع آخر من شعره يشكوهم منهم الى الوليد بن عبد الملك، إنهم يشقون على الناس، ويجلدونهم بالسياط حتى يلجئوهم الى الربا الذي يدخلهم جهنم إرضاء لجشعهم حيث يقول^(٢):

بِعَدْلٍ يَدِينُكَ أَدْوَاءِ الصَّدُورِ	أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْتَ تَشْفِي
يُكَلِّفُنَا الدَّرَاهِمَ فِي الْبُدُورِ	فَكَيْفَ بِعَامِلٍ يَسْعَى عَلَيْنَا
كَرَافِعِ رَاحَتِيهِ إِلَى الْعُبُورِ	وَأَنْتَى بِالْأَدْرَاهِمِ وَهِيَ مَنَا
وَصَدَّ عَنْ الشُّوَيْهَةِ وَالْبَعِيرِ	إِذَا سُقْنَا الْفَرَائِضَ لَمْ يَرُدْهَا

(١) ديوان الفرزدق ٣٧٩/١-٣٨٤ يقول كم فيك من نذر نذرناه إن ملكت يداك نواصينا في يوم من الايام، والناصية الرأس.

(٢) المصدر نفسه: ٣٦٥-٣٦٦.

لقد تعرض الشعراء ومنهم الاخطل للظلم الذي كان يطيل الناس فالشاعر
الاخطل يصور لنا الصورة البشعة لامرأة من نساء قيس قد اثختنها الجراح، فخرجت
صريعة على الارض، وقد تدلى منها جنينها، ملفقاً لهذه اللفائف التي تكونت على
الجنين في البطن، والطير تحوم من حولها تضرب عينيها، وتعبث بأحشائها، وهي
تلفظ آخر انفاسها حيث يقول^(١):

وَكَمْ مِنْ جَنِينٍ بَاتَ يَنْزَعُ نَفْسَهُ لِقَيْسِيَّةَ قَدْ هَكَّهَا السَّيْفُ بِالْخُصْرِ
سَلِيمِيَّةٍ سَوْدَاءٍ أَوْ عَامِرِيَّةٍ تَجُرُّ سَلاَهَا حَيْنُ تَنْهَضُ بِالصَّدْرِ
بِهَا رَمَقٌ فَالطَّيْرُ سَفَرٌ بَطْنُهَا وَتَضْرِبُ عَيْنِيهَا قَوَادِمُ مِنْ نَسْرِ

ويظل الناس متحملين من هذا العسف والظلم ما يطاق وما لا يطاق الى ان
ولي الخلافة عمر بن عبد العزيز، فأمر برفع المظالم عنهم والغاء كل لون من اللون
الضرائب الاستثنائية، كما امر بحط الجزية عمن اسلموا من الموالي.

وبعث الى العراق وخراسان عمالاً جدداً ينفذون سياسته العادلة، ومع ذلك
ظلت الشكوى قائمة، فقد قام اليه رجل وهو على المنبر فقال^(٢)

إِنَّ الَّذِينَ بَعَثَ فِي أَقْطَارِهَا نَذَرُوا كِتَابَكَ وَاسْتَحْلَ الْمُحْرَمُ
طَلَسُ الثِّيَابِ عَلَى مَنَابِرِ أَرْضِنَا كُلِّ يَجُوزَ وَكُلُّهُمْ يَتَظَلَّمُ^(٣)

(١) شرح ديوان الأخطل: ١/ ١٨٢.

(٢) البيان والتبيين للجاحظ: ٣/ ٣٥٩.

(٣) طلس: جمع اطلس، والطلسة: غير الى سواد، يعني قذارة الثياب، انظر: البيان والتبيين
للجاحظ: ٣/ ٣٥٩.

ويناديه كعب الاشقري من خراسان^(١)

إِنْ كُنْتَ تَحْفَظُ مَا يَلِيكَ فَإِنَّمَا
عُمَالُ أَرْضِكَ بِالْبِلَادِ ذُنَابُ
لَنْ يَسْتَجِيبُوا لِلَّذِي تَدْعُوا لَهُ
حَتَّى تَجَلَّدَ بِالسَّيُوفِ رِقَابُ

وسرعان ما يموت عمر، فيعود الظلم والجور. ويثور الحارث بن سريج بخراسان في العقد الثاني من القرن الثاني مطالباً برفع الجزية عن اسلموا من الموالي.

ويتولى هناك نصر بن سيار في العقد الثالث، ويرفع الجزية عن الموالي مثبتاً للخراج على الارض.

اما في العصر العباسي فان هناك تطرفاً في الترف والبذخ في ابشع صورة، مقابل الفقر المدقع الذي يعم ابناء الطبقات من الشعب التي لا تتمتع بأبسط متطلبات العيش، من مأكّل وملبس ومأوى فتري البذخ انما كان يتمتع به الخلفاء، وحواشيهم من البيت العباسي من الوزراء والقواد، وكبار رجال الدولة، ومن اتصل بهم من الفنانين والشعراء والمغنين ومن العلماء والمثقفين، فقد ذكر في كتب التاريخ بعض الأمثلة على البذخ والترف في العصر العباسي، حيث جاء ذكر وصف قصر الخلد الذي بناه أبو جعفر المنصور حيث وصف صاحب معجم البلدان: (كان فيه قباب بديعة الشكل وبأبوابه مسامير من الذهب والفضة، كما تخللته العمدة الكثيرة الفخمة، والتي عنى المنصور بتزيينها بالصور والرسوم ففيه قاعة تدعى مجلس الامير، فُوشَتْ بالرخام، يتوسطه قضبان مذهبة مفروشة بالديباج والبسط التي نُفِشَتْ عليها أبيات من الشعر في مدح أمير المؤمنين وفي صدر القاعة سرير الخليفة المنصور

(١) البيان والتبيين للجاحظ: ٣٥٨/٣.

المرصع بالذهب، وحوله الكراسي المرصعة باللؤلؤ الثمين لجلوس كبار رجال الدولة^(١).

وهذا يدل على أن الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي قد بلغت من الثراء ما لم تبلغه في أي عصر آخر، فقد ترك المنصور أربعة عشر ألفاً من الدنانير، وستمئة من الدراهم.

وقد فرض لكل شخص من أهل بيته ألف درهم في كل عام^(٢).

ومما يروي الأصمعي من انه دخل على الفضل بن يحيى البرمكي، في فصل الشتاء (فإذا هو في لهوٍ قد فُرشَ (ضرب من الفراء)، أشهب مبطنٍ بخز، وبين يديه كانون فضة فوقه اثغيه ذهب في وسطها تمثال أسد رابض في عينيهِ ياقوتتان تتوقدان)^(٣).

وفي هذا الجو المشحون بالثراء كانت الإماء والجواري والغلمان لهم النصيب الأوفر، في التمتع بالرفاهية في قصور الخلفاء (فكن يلبسن الثياب الحريرية، ويتخذن الحلّي والجواهر تيجاناً وأقراطاً وخلائيل وعقوداً، توضع على شعرهن أو يزينن بها عصائبهن)^(٤).

وان دنانير جارية البرامكة (كانت تتزين بعقد من الجواهر بلغت قيمته ثلاثين ألف دينار وكان هديّة من الرشيد)^(٥).

(١) معجم البلدان: ٣٥٥/٤.

(٢) ينظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٣١٢/٣.

(٣) طبقات الشعراء لابن المعتز: ٢١٤.

(٤) مروج الذهب ومعادن الجوهر: ٣١٢/٣.

(٥) الاغانى للأصفهاني: ١٣٢/١٦.

وكان (بيت مال المسلمين دخله سنوياً لعهد الرشيد سبعين ألفاً من الدنانير)^(١)
وكان الخلفاء (يغطون جذوع أشجار النخيل في حدائقهم من الخشب المذهب)^(٢).

واشتهر الرشيد بصلاته مع الشعراء والمغنين، فقد وصل سلم الخاسر وحده فيه بعشرين ألف دينار، أما إبراهيم الموصلي فقد تجاوزت عطاياه مائتي ألف دينار، أما الأمين، فقد أعطى ابنه اسحق الموصلي ألف الف درهم^(٣).

ولقد وصف المسعودي زواج المأمون من بوران بنت الحسن بن السهل وزيره بقوله (نثر الحسن في ذلك الأملاك من الأموال ما لم ينثره ولم يفعله ملك قط في جاهلية ولا في الإسلام، ونثر على سائر الناس الدنانير والدراهم)^(٤).

ومن شظف العيش في المجتمع في القرنين الاول والثاني الهجريين الذي وصل الى حد المشاركة في الطعام فقد روى الجاحظ (من اعاجب اهل مرو انهم ترافقوا وتزاملوا، فاشتركوا في شراء اللحم واخذ كل انسان منهم نصيبه فشكله بخوصه او بخيط، ثم ارسله في خل القدر والتوابل، فاذا طبخوا تناول كل انسان خيطه، وقد علمه بعلامة، ثم اقتسموا المرق، لايزال احدهم يَسَلُّ من الخيط القطعة، حتى يبقى الحبل لا شيء فيه، ثم يجمعون خيوطهم، فأن اعدوا المشاركة اعدوا تلك الخيوط، لانها قد تشربت الدسم وَرَوِيَتْ، وليس اشتراكهم من طريق الرغبة في المشاركة، ولكن لان قطعة كل واحد منهم لا تبلغ المقدار الذي يحتمل ان يطبخ وحده، لان المؤونة تخف ايضاً في الحطب والخل والثوم والتوابل، ولان القِدار الواحدة امكن من ان يقدر كل واحد منهم على قدر)^(٥).

(١) مقدمة ابن خلدون: ١٢٧

(٢) الحضارة العربية: ١٢٩

(٣) مروج الذهب ومعادن الجوهر: ٢٥٧/٢

(٤) المصدر نفسه: ٣٠/٤

(٥) البخلاء للجاحظ: ١٩.

كما يروي الجاحظ ان الحالة الاقتصادية المتدنية ادت الى ان يتشارك الناس في خراسان في كل شيء فيقول الجاحظ (ان جماعة من خراسان ترافقوا في منزل وصبروا لانتفاع بالمصباح من امكن، ثم انهم اشتركوا في شراء زيت المصباح فيما بينهم على التساوي، وأبى واحد منهم ان يعينهم، فكانوا اذا جاء الليل ووقفوا المصباح شَدُّوا عينيه بمنديل، ولا يزال ولا يزالون كذلك الى ان يناموا ، ويطفئوا المصباح، فاذا اطفئوه اطلقوا عينيه)^(١).

ويقول الجاحظ أيضاً أن المروزي يقول للزائر إذا اتاه وللجليس إذا طال جلوسه (هل تغذيت اليوم؟ فان قال: نعم ، قال لو تغذيت لغذيتك بغذاء طيب ، وان قال لا : قال : لو كنت تغذيت لسقيتك خمسة اقداح ، فلا يصير في يديه على الوجهين قليل ولا كثير)^(٢).

(١) البخلاء للجاحظ: ٢٣.

(٢) المصدر نفسه: ١٧.

الفصل الثاني

موضوعات الفكاهة والنهكم في

الشعر والنثر

المبحث الأول:

التهكم والسخرية في الشعر العربي في
القرنين الأول والثاني الهجريين

المبحث الثاني:

التهكم والسخرية في النثر العربي وفنون
الكتابة في القرنين الأول والثاني الهجريين

المبحث الأول

التهكم والسخرية في الشعر
العربي في القرنين الأول
والثاني الهجريين

التهكم والسخرية في الشعر العربي في القرنين الأول والثاني الهجريين

عاش العرب في جزيرتهم الأولى على شكل ابتدائي فيما يبدو، فقد عرض الباحثون لطبيعة حياة النهب والسلب وركوب الاخطار، وصوّروا العربي في صفات لا تليق إلا بالقساة والمتوحشين^(١)، ورأوا انهم كانوا يتنافسون على الرياسة، وأنه قلما يُسلم واحدٌ منهم لغيره ولو كان أباه أو أخاه أو كبير عشيرته. ولقد استعرضتُ الشعر العربي فرأيتُ انه على انواع منه: التهكم الشخصي الذي يتناول المتهم في عرضه ونسبه، وخلفه، والتهكم السياسي وهو يتناول القبيلة والسلطان والسياسة، والتهكم الديني وهو يَعرِضُ للعقيدة والمذهب والدين، والتهكم الاجتماعي وهو يصف الاخلاق العامة وطبقات الامة ويرسم انحلالها.

١ - التهكم الشخصي (السخرية من الاعراض والانساب)

ان في كتب الادب كثير من الشعر في التهكم الذي يتناول المرأة بالسخرية على صور شتى يذكر منها ما يذكر ويصف منها مالا يوصف، في خيال جامع، وسنخرج على بعض هذه الصور ففي الحماسة لابي تمام أن عبد الله بن اوفى الخزرجي تهكم بامرأته فقال نمامة بين الناس مثل كلب الهراش يهيج الشر، وتسعى بين جيرانها بالوقية والدس فتدعي رؤية مالم تر، وتسرف على ذلك في الاكل والشراب فلا تعرف القناعة والصحة فيقول^(٢):

وإن تَأْكُلُ الشاةَ لا تَشْبَعِ

فإن تشربَ الزَّقَ لا يَرْوِها

وَلَوْ حُفَّ بِالاسلِ الشَّرْعَ

وليسَتْ بَتاركةٍ مُحَرَّمًا

(١) يُنظر: فجر الاسلام: ٤٦ وما يليها.

(٢) ديوان الحماسة لابي تمام: ٤٨٨.

أما جرير فقد كان أشدهم شراً على الإطلاق، نال من خصومه فلم يتورع، وبسط لسانه فلم يُقَفِّه رادعاً أو وازع، فقد كان بدوياً جافاً غليظ الطبع يتناول السوء باسمها فيقول في التهكم بنساء تميم ولقد عرّى المتهكمات منهن في شعره، وخاصة حيث تهكم بهذه التيمية فرأى جسدها ووصف موقع العفة منها ثم قال فيها^(١):

وَكأنْ عُرِّيَتْهَا إِذَا واجَّهَتْهَا جُغْلانٍ مَكْتَنِفانِ فَرْخُ غُرَابٍ

ثم خاض فيما بينها وبين بعلها فوصف ما تعافه النفس وتاباه الكرامة وتردّه العاطفة النبيلة، ويستنطقه الشعور السليم، ولن نروى أسفً فيه ولكننا سنورد ما قاله في نساء بني عقال^(٢):

وَجَدْنَا نِسْوَةً لِبَنِي عِقَالٍ بِدَارِ الدَّلِّ اغْرَاضَ الرُّمَةِ
عَوَانِ هُنَّ أَخْبَتْ مِنْ حَمِيرٍ وَأَمْجَنُ مِنْ نِسَاءِ مُشْرَكَاتِ
وَسَوْدَاءِ الْمَجْرَدِ مِنْ عِقَالٍ تُبَايِعُ مَنْ دَنَا خُذَهَا وَهَاتِ

ومعینُ جریر لا ینضب فی هذا الباب، فهو يُرْسِلُ الصورَ القبيحة متتالية في ديوانه، يرمي بها خصومه فلا يرحم النساء ولا يُشْفِقُ على شرفهن ولا يُبالي حين يُذمى العرض ويخدش الكرامة والعفة، فهو يريد أن يعرض المتهكم به في صورة تُضحك الناس منه وتُذري بمقامه، من الحسب والنسب والشرف وكثيراً ما يشبّه المرأة بالخنازير أو بالحمير أو يصفها ضخمة البطن كريهة الرائحة بشعة الصوت لها خوار كخوار الثور، ويزيد على ذلك في رسمها وقد خرجت للريب في الليالي

(١) شرح ديوان جرير: ٥٥/١.

(٢) المصدر نفسه: ٨٦/١؛ تاريخ النقائض في الشعر العربي، ٣٦٦.

السود، فهو يعتمدُ على الإقذاع فينزع عن المرأة حلاها من جمال ونسب وشرف، فيقولُ في نساء بني تغلب قبيلة الاخل(١):

نسوان تغلب لا حلم ولا حسب
ولا جمال ولا دين ولا خفر

وهنا يجردهن من العقل والدين والجمال والحياء، وتهكم من التغلبيين فيرمي نساءهم بمهام الشك والريب، فيقول حين يتناول البعيث(٢):

المُعْرَسِينَ إِذَا أَنْتَشَوْا بِنَاتِهِمْ
وَالدَّائِبِينَ إِجَارَةً وَسُؤَالاً

فهل ترى أقذع من هذه الصورة، تُنعم النظر والدقة فنرى الآباء يصيبون بناتهم بعد أن تعمل الخمرة في الرؤوس فلا يدرون ما يأتون وما يجنون وجريير يفيض فيتناول "تغلب" قائلاً(٣):

تَنْبَيْتُ تَغْلَبَ يَنْكِحُونَ رِجَالَهُمْ
وَتَرَى نَسَاؤُهُمُ الْحَرَامَ حَلَالاً

وبذلك يرى للرجال هنا الشين المعيب، والنساء هذا الفعل المريب، فلا يسلم منه أبناء القبيلة كلها، وكأنه يرسم أشنع مكان للعبث والمجون مما لا يقع في خيال ولا يتصوره ذهن سليم.

والفرزدق لم يكن أقل سلاطة من جريير حين يصفُ النساء في تهكمه وسخريته فيصور قوم جريير وقد استسلمت النسوة لكل شغب، وسكنت لكل مغير فضاع الشرف وتاه الحسب، واستيقظت الشكوك والريب، وذلك إذ يقول(٤):

(١) شرح ديوان جريير: ٢٦٣/١.

(٢) المصدر نفسه: ٤٥٠/١؛ نقائض جريير والاخل لابي تمام: ٨٧.

(٣) المصدر نفسه، ٤٥٣/١؛ المصدر نفسه: ٨٧.

(٤) تاريخ النقائض في الشعر العربي: ٣٦٦.

وَنُمَسِّي نَسْوَةَ لِبْنِي "كَلِيبَ"
بِأَفْوَاهِ الْأَزْقَةِ مُقْبَعَاتِ

يَبِغْنَ فُرُوجَهُنَّ بِكُلِّ فِلَسٍ
كَبِيعِ السُّوقِ خُذْ مِنِّي وَهَاتِ

ويلح الفرزدق على (بني كليب) فيصف نساءهن بما يرسل لسانه السليط
فيقول^(١):

نِسَاءً بِالْمَضَائِقِ مَا يَوَارِي
مَجَازِيَهُنَّ مُنْتَقِبُ الْخِمَارِ

وَلَوْ لَيْسَ النَّهَارَ بَنُو كَلِيبِ
لَدَنَسَ لَوْمُهُمْ وَضَحَ النَّهَارِ

فلما كان العصر العباسي وسرت لوثة الأعاجم وفسد الذوق العربي ظهر
الفحش في التهكم والسخرية.

فقد قال ابي نواس في هذا الباب حيث انه لا يكاد ان يقصر في تناول الام
والاخذ فيقول^(٢):

نِيلَتْ بِأَدْنَى الْمَهْوَرِ أَخْطُهُمْ
قَسْرًا وَلَمْ يَدْمِ أَنْفُ خَاطِبِهَا

ويصور هذه الاخت رخيصة قد بيعت بمهر بخس ودراهم معدودات.

ولقد اختلفت دوافع الشعراء من وراء هذه السخرية، فبعضهم كانت سخريته
بدوافع شخصية نتيجة بعض المواقف المؤذية، وبعضهم استغلها للتعبير عن موقف
عدائي، ومن ذلك سخرية بشار من خلف بن ابي عمرو، وكان قد مازحه وذكره انه
مولى، فغضب، وقال فيه^(٣):

ارْفِقْ بِعَمْرٍو إِذَا حِينَ تَنْسِبُهُ
فَإِنَّهُ عَرَبِيٌّ مِنْ قَوَارِيرِ

(١) ديوان الفرزدق: ٣٧٤.

(٢) ديوان ابي نواس: ١٣٧.

(٣) ديوان بشار بن برد: ١٢٣.

وبعضهم سخر من النسب، لدفع حصول مصاهرة، فهذا مروان بن ابي حفصة يعرّض بمصاهرة بني مطر، ولذلك بعث كتاباً إلى أخ العروس وهي من قومه، يقول فيه (١):

لو كُنْتُ أَشْبَهْتَ يَحْيَى فِي مَنَاحِهِ لَمَا تَنَقَّيْتَ فَحلاً جَدُّهُ مَطَرُ
لِلَّهِ دَرٌّ جِيَادٍ كُنْتُ سَائِسَـهَا ضَيَّعْتُهَا وَبِهَا التَّحْجِيلُ وَالْعُرُ
نَبِئْتُ خَوْلَةَ قَالَتْ يَوْمَ انْكَحَاهَا قَدْ طَالَمَا كُنْتُ مِنْكَ الْعَارُ أَنْتَظَرُ

فالشاعر يتهم أخو العروس بأنه لم يكن على قدر المسؤولية التي تكفل بها فأضاع أخته التي طالما خافت من هذا اليوم، وهي لم تكن تترقب منه إلا الخزي والعار.

واستسخر ابي نواس بنسب الفضل الرقاشي، ونفي عنه اصالته العربية، وذكر انها مزيفة وليست بخلق خالق، وكل ما يصطنعه من مظاهر ليلحق بالإعراب ادعاء كاذب، لانه لا يصلح حتى لحمل سقاء اللبن واقداح الحليب، ويصلح لعمل الابريق فحسب اذ يقول (٢):

يَا عَرَبِيًّا مِنْ صَنَعَةِ السُّوقِ! وَصَنَعَةِ السُّوقِ ذَاتَ تَشْقِيقِ
مَا رَأَيْكُمْ يَا نَزَارُ فِي رَجُلٍ يَدْخُلُ فِيكُمْ مِنْ خَلْقٍ مَخْلُوقِ؟
وَيَحْمِلُ الْوُطْبَ وَالْغَلَابَ وَلَا يَصْنَحُ إِلَّا لِحْمَلِ أَبْرِيْقِ

(١) الاغاني للأصفهاني: ٤٤/٩، وينسب هذه الابيات السابقة الى رجل يقال له الفلاح العنبري قالها في مروان بن حفصة عندما تزوج خولة بنت مقاتل بنت طلحة بن قيس بن عاصم سيد اهل الوير، مع اختلاف بسيط في الابيات؛ انظر: طبقات الشعر لابي المعتز، ٤٤. ونسبها الى الفلاح قالها في يحيى بن ابي حفصة عندما تزوج بنت مقاتل ومهرها ثياباً.

(٢) ديوان ابي نواس: ٥٠٤ ؛ ابي نواس في تاريخه وشعره ومبازله وعبثه ومجونه لابن منظور المصري: ٤٤ .

وَلَمْ يَكْتَفِ ابِي نَوَاسَ بِهَذَا الْحَدِّ، بَلْ أَرَادَ أَنْ يَخْبِرَ كُلَّ النَّاسِ بِأَصْلِ الرَّقَاشِيِّ الْمَزِيْفِ وَلِهَذَا ضَرَبَ عَلَى الطَّبْلِ لِلتَّشْهِيرِ بِهِ، حَيْثُ يَقُولُ^(١):

لَقَدْ ضَرَبْنَا بِالطَّبْلِ أَنَّكَ فِي الْـ قَوْمِ صَحِيحٌ وَ صَحِيحٌ بِالْبُوقِ

ويوجه ابى نواس سخريه لاذعة للهيثم بن عدي^(٢) ويشكك في أصله، ويروى أن الهيثم بن عدي كان يتعرض لمثالب الناس، ولذلك كرهه الناس وحبسه الرشيد سنتين^(٣) ومن سخريه أبى نواس من الهيثم قوله^(٤):

الْحَمْدُ لِلَّهِ هَذَا أَعْجَبُ الْعَجَبِ الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ صَارَ فِي الْعَرَبِ!
يَا هَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ لَسْتَ لِلْعَرَبِ وَ لَسْتَ مِنْ طِيءٍ إِلَّا عَلَى شَغَبِ

ومرَّ أبى نواس بمجلس الهيثم دون أن يعرفه الهيثم، فلم يعره اهتماماً، فأنصرف ابى نواس مغضباً، وتهكم بجملة من التهكم والسخرية، تدور كلها على السخرية من ادعائه العربية والتهكم به، متهماً إياه بالتلون وقد أقسم ابى نواس ألاّ يسخر من دعياً، لأنه لا يستحق شرف التهكم به، فيقول^(٥):

(١) ديوان ابى نواس: ٥٠٤ ؛ ابى نواس في تاريخه وشعره ومبازله وعيشه ومجونه لابن منظور المصري: ٤٤.

(٢) الهيثم بن عدي: هو ابو عبد الرحمن بن عدي بن زيد بن ليبيد بن جابر الطائي الكوفي، كان أخبارياً، راوية للأشعار، نقل من كلام العرب وأخبارها وأشعارها ولغاتها شيئاً كثيراً حيث كان أبوه نازلاً بواسط، وكان يرى رأي الخوارج، واستعمل على صدقات بني فزارة، أدرك المهدي والرشيد والأمين، ومات في ايام المأمون سنة (٢٠٧هـ) وله تأليف كثيرة في اللغة والاعبار تزيد على الخمسين؛ انظر: ابى نواس في تاريخه وشعره ومبازله وعيشه ومجونه لابن منظور المصري: ١٤٤-١٤٥.

(٣) ابى نواس في تاريخه وشعره ومبازله وعيشه ومجونه لابن منظور المصري: ١٤٤-١٤٥.

(٤) ديوان ابى نواس: ١٤٢ ؛ ابى نواس في تاريخه وشعره ومبازله وعيشه ومجونه لابن منظور المصري: ١٤٦.

(٥) ديوان ابى نواس: ٧١ ؛ ابى نواس في تاريخه وشعره ومبازله وعيشه ومجونه لابن منظور المصري: ١٤٥، ١٤٦، ١٤٨.

مَرَرْتُ بِهَيْثُمَ بْنِ عُدِي يَوْمًا وَقَدَّمَا كُنْتُ أَمْنَحُهُ الصَّفَاءَ
فَأَعْرَضُ مِنْ هَيْثُمٍ لَمَّا رَأَيْتُ كَأَنِّي قَدْ هَجَوْتُ الْأَدْعِيَاءَ
وَقَدْ آلَيْتُ لَا أَهْجُو دَعِيًّا وَلَوْ بَلَغَتْ مُرُوعَتُهُ السَّمَاءَ

وتهكم دعبل الخزاعي من رجل طائي، فجعله خامل الذكر، وسخر من قبيلته، فربط ذكرها بالسواد والتشاؤم، فلو ذكر أسمها من مسافة بعيدة لانطفأ الضوء، وسادت العتمة حيث يقول^(١):

أَنْظِرْ إِلَيْهِ وَإِلَى ظَرْفِهِ كَيْفَ تُطَايَا وَهُوَ مَنْشُورُ
وَيْلَكَ مِنْ دَلَاكَ فِي نَسْبَةٍ قَلْبُكَ مِنْهَا الدَّهْرُ مُذْعُورُ
لَوْ ذَكَرْتُ طِيًّا عَلَى فَرْسِيخٍ أَظْلَمَ فِي نَاطِرِكَ النُّورُ

٢- التهكم والسخرية من أعضاء الجسم، والغباء والثقل والجبن (العيوب والمثالب):

لقد ولد التهكم عند العربي منذ نشأته، في الجاهلية، وسار في الاسلام كذلك، ومشى على العصور فتأثر بالبيئة والاقليم والوسط والثقافة والوعي والمفاهيم: وسأعرض لألوانه على التسلسل، في مختلف المعايير الاخلاقية كما كانوا ينظرون إليها من خلال مبادئهم.

نظر طرفة بن العبد إلى خصمه، فصور اخلاقه من وشاية ونميمة فقال فيه يتشفى وينتقم:

(١) ديوان دعبل الخزاعي: ٣٣٢.

فَرَّقَ عَنْ بَيْتِكَ سَعْدَ بْنَ مَالِكٍ وَعَوْفًا وَعَمْرًا مَا تَشِي وَتَقُولُ
فَأَنْتَ عَلَى الْأَدْنَى شَمَالٌ عَرَبٌ شَامِيَةٌ تَزُوي الْوُجُوهَ بَلِيلٌ^(١)

فقص علينا كيف فرَّق بين بيتي اهله وذويه ما كان يأتيه من أقوال يتقولها ونمائم يسعى بها ويمشي بين العشيرتين حتى فرَّق الجمع وأوقع الشر، وهو على أقاربه كالريح الشمالية الباردة تحرق الوجوه إذا هبطت في الشتاء، ويصحبها بللٌ من المطر، وندى يقبضُ الجلد ويجفف المفصل والوجه.

وقال مساور بن قيس^(٢) في التهكم في بني أسد يصفهم بالذل والهوان^(٣):

رَعَمْتُمْ أَنْ إِخْوَتِكُمْ قَرِيشٌ لَهُمْ إلفٌ وَلَيْسَ لَكُمْ إلفٌ
أُولَئِكَ أَوْمَنُوا جَوْعًا وَخَوْفًا وَقَدْ جَاعَتْ بَنُو أَسَدٍ وَخَافُوا

يُخاطب بني أسد، ويكذب دعواهم في انتمائهم إلى قريش، وتنسبهم بالقربي منهم والواقع أن لقريش إيلافاً في رحلتي الشتاء والصيف وليس لبني أسد مثلهم، فأولئك آمنهم الله من الجوع والخوف، وهؤلاء جائعون خائفون: وفي كتاب الحماسة لأبي تمام شعر يشبه هذا الذي أوردته، يندد بالجبين والقعود عن القتال، والسكوت على الضيم، ويصف الساخرين بالنعام تتسابق في الهرب، وتطلب النجاء لنفسها، مغلوبة، ذليلة حين تُجرّد السيوف عليهم من اغمادها، فيقول شاعرهم في خصمه^(٤):

(١) ديوان طرفة بن العبد: ٨٠؛ وديوان الحماسة لأبي تمام: ٤٥٧؛ شرح ديوان علقمة، طرفه،

عنتره: ١١٢؛ اشعار الشعراء الستة الجاهليين: ٧٨/٢.

(٢) هو قيس بن جروة بن سيف بن وائلة الطائي، نسبته إلى أجأ، أحد جبلي طي، شاعر جاهلي؛ انظر: خزنة الأدب: ٣٣٠/٣.

(٣) ديوان الحماسة لأبي تمام: ٤٦٠.

(٤) المصدر نفسه: ٤٦٨.

غَدَرْتَ بِأَمْرٍ كُنْتَ أَنْتَ أَجْتَذِبْتَنَا إِلَيْهِ وَبَسَّ الشِّيمَةَ الْغَدْرُ بِالْعَهْدِ
وَقَدْ يَتْرُكُ الْغَدْرُ الْفَتَى وَطَعَامَهُ إِذَا هُوَ أَمْسَى حَلْبَهُ مِنْ دَمِ الْقَصْدِ

فهو يُشير إلى أمر خطير يحتقره العرب وهو الغدر ونكث العهد، والفتى يؤثر الإقامة على الوفاء مع شدة الفاقة، ويطلبُ اكتسابَ المحمدة وإن كان مسكيناً ذا متربة حتى إذا أمسى كان جل طعامه فصيد الدم والساخرون ينددون بالغدر أبداً، وسوء الجوار، فيقول شاعرهم حُرَيْثُ بْنُ عَتَابٍ^(١):

لَا يَرْتَجِي الْجَارُ خَيْراً فِي بَيوتِهِمْ وَلَا مَحَالَةً مِنْ شَتْمٍ وَالْقَابِ

فجارهم مبتذلٌ فيهم، يائسٌ من خيرهم ما دام في حيههم، يُلقى بالاستخفاف ويُرمي بالألقاب ويشتم.

وسار زهير بن أبي سلمى على هذا، فذمَّ مَنْ لَا يَحْفِظُ الْجَارَ فَقَالَ^(٢):

وَجَارٍ سَارَ مُعْتَمِداً إِلَيْكُمْ أَجَاءَتْهُ الْمَخَافَةُ وَالرَّجَاءُ

كما سار الحطيئة في السبيل نفسها فتناول من لا يجير ولا يكرم فقال^(٣):

جَاراً لِقَوْمٍ أَطَالُوا هَوْنَ مَنْزِلِهِ وَغَادَرُوهُ مُقِيمَا بَيْنِ أَرْمَاسٍ
مَلَّوْا قَرَاهُ وَهَرَّتْهُ كِلَابُهُمْ وَجَرَّحُوهُ بِأَنْيَابٍ وَأَضْرَاسٍ^(٤)
دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبَغْيَتِهَا وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي

(١) ديوان الحماسة لأبي تمام: ٤٧٤.

(٢) ديوان زهير بن أبي سلمى: ١١؛ وأشعار الشعراء الستة الجاهليين: ٣٣٢.

(٣) ديوان الحطيئة: ٩٨؛ الاغانى للأصفهاني: ٥٢/٢؛ الشعر والشعراء لابن قتيبة: ٣١٥/١.

(٤) هرتة: نبخته، انظر: شرح ديوان الحطيئة: ٩٨.

وهذا كلام لا تدخله بذاءة لفظ أو تعبير، فليس فيه إفحاش ولا إقذاع، ولكنه فنٌ جميل في إذلال المتهم منه ورميه بالانصراف عن الكرم والنبل، في صور حسيه عربية جاهلية، تجد في نسيان مذلة وفي الوقوف عن الضيافة معرةً، فالكلاب تدفع الناس عن البيت والرجل يقيم مكسواً مطعماً ليس له همٌّ من دنياه إلا أن يأكل وأن يلبس، وفي هذا تهكمٌ عظيم بليغ، والشاعر يسخر ويتهم من أمه لأنها لا تحفظ السرَّ حين يقول^(١):

تَنَحَّى فَأَجْلَسِي مِنِّي بَعِيداً	أَرَا حَ اللَّهِ مِنْكَ أَلْعَالَمِينَ
أَعْرَبَالاً إِذَا اسْتَوْدَعْتَ سَرّاً	وَكُنُونَا عَلَى الْمُتَحَدِّثِينَ
حَيَاتِكَ مَا عَلِمْتُ حَيَاةَ سَوْءٍ	وَمَوْتُكَ قَدْ يَسِرُّ الصَّالِحِينَ

وقد عكف الشعراء الامويون على أخلاق الجاهلية في أكثر تهكمهم، فرموا مَنْ كان يحترف الصناعة والمهن المحترقة، فكان جرير يتهم ويسخر من الفرزدق زاعماً أن اجداده كانوا يعيشون بالحدادة ويقضون أيامهم قرب النار والحديد والشرر والدخان والكير، فكانوا كالرقيق والعبيد ولذلك قال جرير^(٢):

مَا بَالُ أُمِّكَ إِذْ تَسْرِبِلُ دِرْعَهَا	وَمِنْ الْحَدِيدِ مُفَاضَّةٌ سِرْبَالِي
حَمَمْتَ وَجْهَكَ فَوْقَ كِيرِكَ قَائِماً	وَسَقَيْتَ أُمِّكَ فَضْلَةَ الْجُرْيَالِ
فَأَنْفَحْ بِكِيرِكَ يَا فَرْزَدَقُ وَأَنْتَظِرُ	فِي كَرْنَبَاءَ هَدِيَّةٍ أَلْفَقَالِ

فرسم أم الفرزدق في ثياب الصناع تعمل مع ابنها على مقربة من هذا الجحيم خلال الحر. وأبنها يقوم على العمل، يسقيها فضلة الخمر جزاء ما تقوم به، فهو نافخ

(١) انظر: ديوان الحطيئة: ١٥٧؛ والاعاني للأصفهاني: ٤٣/٢؛ الشعر والشعراء لابن قتيبة: ٣١١/١.

(٢) نقائض جرير والفرزدق: ٢٣٢/١-٢٣٣-٣٣٥؛ شرح ديوان جرير: ٤٧٠/١-٤٧١.

الكير ينتظر ثوابه على الزبائن، وليس الفرزدق أقل منه تعلقاً بهذه الصور فهو يسخر منه بأن قوم جرير فقراء كذلك يصطنعون الخمر في تنقلهم، فيقول^(١):

يَا أَبْنُ الْمُرَاغَةِ كَيْفَ تَطْلُبُ دَارِمًا وَ أَبُوكَ بَيْنَ حِمَارَةٍ وَ حِمَارِ
قَبَحَ إِلَالَهُ بَنِي كُلَيْبٍ إِنَّهُمْ لَا يَغْدِرُونَ وَلَا يَفُونُ لِحَارِ
يَسْتَيْقِظُونَ إِلَى نُهَاقِ حِمَارِهِمْ وَتَنَامُ أَعْيُنُهُمْ عَنِ الْأَوْتَارِ

وحين أشتدّ التهكم في العصر الاموي اختلط بالحماسة والفخر، وتناول القبيلة والعشيرة كلها، ودخل في الدين فتهكم بالشرك والكفر، ولكنه رجع إلى البخل، والجبن، وحماية الجار فلام الذين خرجوا على المثل العربية العليا المعروفة فتعلقوا بالصناعة والمهنة، أو كانوا على ذلّ ومهانة في العيش المأجور، فقال الفرزدق في جرير^(٢):

كَمْ خَالَةٍ لَكَ يَا جَرِيرُ وَعَمَّةٍ فِدَاءً قَدْ حَلَبْتُ عَلَى عِشَارِي
شُعَارَةٍ تَقْدُ الْفَصِيلَ بِرَجْلِهَا فُطَارَةٍ لِقَوَائِمِ الْأَبْكَارِ^(٣)
كَانَتْ تُرَاوِحَ عَاتِقَيْهَا عُلبَةً خَلْفَ اللَّقَاحِ سَرِيعَةِ الْأَدْرَارِ

فجعله من اسرة ذليلة اكثر أهلها يقومون بحرف تافهة، بل إنّ النّساء فيها رَعَيْنَ وَحَلَبْنَ وَاشْتَغَلْنَ وذلك للرجال فلا يجب أن تمسه النساء.

وفي البخل يتناول الاخطل متهميه فيقول^(٤):

(١) ديوان الفرزدق: ٣٩٥-٣٩٧.

(٢) المصدر نفسه: ٣٩٨/١؛ نقائض جرير والفرزدق: ٢٤١/١.

(٣) الشُعَارَةُ: التي تشجر الفصيل برجلها إذا دنا من امه ليرضع، انظر: ديوان الفرزدق: ٣٩٨/١.

(٤) شرح ديوان الاخطل: ٦٣٦/٢؛ نقائض جرير والاطل: ١٣٥.

قَوْمٌ إِذَا اسْتَنْبَحَ الْأَضْيَافَ كُلُّهُمْ قَالُوا لِأَمِهِمْ بُولِي عَلَى النَّارِ
فَتَمَسَّكَ الْبُولُ ضَنْناً أَنْ تَجُودَ بِهِ وَمَا تَبُولُ لَهُمْ إِلَّا بِمَقْدَارٍ

فهو يجمع عليهم نبح الكلاب للأضياف ونظرهم إلى الأم تبول أمامهم، وبخلها حتى بالبول، وذلك منتهى الاقذاع في رمي الناس بإطفاء النار والبعد عن القرى وقال أحد أبناء المهلب يسخر ويتهكم من قوم لبخلهم^(١):

قَوْمٌ إِذَا أَكَلُوا أَحْفُوا كَلَامَهُمْ وَأُسْتَوْثَقُوا مِنْ رِتَاجِ الْبَابِ وَالذَّارِ
لَا يَقْسُ الْجَارُ مِنْهُمْ فَضْلَ نَارِهِمْ وَلَا تَكْفُ يَدٌ عَنْ حُرْمَةِ الْجَارِ

وهذه صورة نادرة للبخل ورد الأضياف وإقفال الباب دونهم، فلا يفيد جار من نارهم، ولا يدفعون عن مجاوريهم جوعاً أو عاراً بل إنهم يسطون على حرمة من حولهم.

وقصد شاعرٌ قوماً متهمكماً في تأخرهم عن تلبية النداء والاندفاع إلى الحرب فقال^(٢):

إِذَا بَكْرِيَةٌ وَلَدَتْ غُلَاماً فَيَا لَوْ مَا لَدَكَ مِنْ غُلَامِ
يُزَاحِمُ فِي الْمَادِبِ كُلَّ عَبْدٍ وَلَيْسَ لَدَى الْحِفَاطِ بِذِي زِحَامِ

فهم كثرة عند المآدب والولائم، قلة عند الاستنفار في حماية الحياض والأعراض. يتخلفون عند الشجاعة ويتقدمون عند المآكل، وكم يتهكم الشعراء من خصومهم بالجنب والهرب من المعركة فيقول أحدهم^(٣):

(١) ديوان الحماسة لابي تمام: ٤٩٠.

(٢) المصدر نفسه: ٤٩٥.

(٣) المصدر نفسه: ٥٠٢.

إِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَطْلُبُوا بِأَخِيكُمْ — فَذَرُوا السَّلَاحَ وَوَحِّشُوا بِالْأَبْرِقِ
وَحَذُوا الْمَكَاحِلَ وَالْمَجَاسِدَ وَالْيَسَا نِقَبَ النِّسَاءِ فَبُنْسَ رَهْطَ الْمَرْهَقِ^(١)
يريد أنكم إن لم تتأروا لصاحبكم فتزيناوا بزي النساء لأنكم أقرب الى صفاتهن
في القعود عن الثأر والشجاعة ونجدة الضعيف.

اما الشاعر دعبل الخزاعي فقد قال يذم بخيلاً^(٢):

أَتَقْفُلُ مَطْبَخاً لَا شَيْءَ فِيهِ مِنْ الدُّنْيَا تَخَافُ عَلَيْهِ أَكْلُ
فَهَذَا الْمَطْبَخُ أَسْتَوْثَقْتُ مِنْهُ فَمَا بَالُ الْكَنِيفِ عَلَيْهِ قَفْلُ
وَلَكِنْ قَدْ بَخَلْتُ بِكُلِّ شَيْءٍ فَحَتَّى السِّلْحَ مِنْكَ عَلَيْهِ بَخْلُ
وكان أبو العتاهية يذم الحرص، ويرى أنه يعز بصاحبه ويذله ويجد ان
الشهوات قاتلة. ورب ساعة شهوة أورثت صاحبها حزناً طويلاً حيث يقول^(٣):

الْحَرِصُ لَوْمْ وَمِثْلُهُ الطَّمَعُ مَا اجْتَمَعَ الْحَرِصُ قَطُّ وَالْوَرَعُ
لَوْ قَنَعَ النَّاسُ بِالْكَفَافِ إِذَا لَا تَسْعُوا فِي الَّذِي بِهِ قَنَعُوا
لِلْمَرْءِ فِيمَا يَقِيمُهُ سَاعَةٌ لَكِنَّهُ مَا يَرِيدُ مَا يَسْعُ

وقال^(٤):

شِدَّةُ الْحَرِصِ مَا عَلِمَتْ وَضَاعَةٌ وَعَنَاءٌ وَفَاقَةٌ وَضَرَاعَةٌ

(١) المجاسد: جمع المجسد، وهو الثوب المشيع صبغاً، المرهق: المضيق عليه، انظر: ديوان الحماسة لابي تمام: ٥٠٢.

(٢) ديوان دعبل الخزاعي: ٢٦٠.

(٣) ديوان ابو العتاهية: ١٢٧.

(٤) المصدر نفسه: ١٣٨.

إِنَّمَا الرَّاخَةُ الْمُرِيحَةُ فِي الْيَبْرِ — أَسِ مِنَ النَّاسِ وَالْغِنَى فِي الْقَتَاعَةِ

وأبو العتاهية الذي يقول هذا الشعر بخيل أشد البخل على نفسه وعياله وخدمه والمحتاجين عامة، وكان لا يخرج زكاة ماله ويعتبر ما ينفقه على اولاده زكاة تجريء عنه، (فقل له ذلك: أن الزكاة لا تكون الا للفقراء والمساكين، فقال: لو انقطعت عن عيالي زكاة مالي لم يكن في أفقر منهم)^(١).

فهو يرسم منه طباعه رسماً بارعاً فيه سخرية لاذعة، يضحك منها الناس فابي نواس يتهكم في البخل اذ يقول في التهكم من العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث الخزاعي^(٢):

أَلَوْمُ "عَبَّاسٍ" عَلَى بُخْلِهِ كَأَنَّ عَبَّاساً مِنَ النَّاسِ
وَإِنَّمَا الْعَبَّاسُ فِي قَوْمِهِ كَالثُّومِ بَيْنَ الْوَرْدِ وَالْأَسِ

فهو يتناول الرجل كما تناول القدماء، فيكر عليه ويجعله كالثوم بين الورد والاس، فهو كرية الرائحة لشدة ضنه وإمساكه في الانفاق، ويقول كذلك في الفضل الرقاشي اذ يقول^(٣):

أَمَاتَ اللَّهُ مِنْ جُوعٍ رِقَاشاً فَلَوْلَا الْجُوعُ مَا مَاتَتْ رِقَاشُ
وَلَوْ أَشْمَمَتْ مَوْتَاهُمْ رَغِيفاً وَقَدْ سَكُنُوا الْقُبُورَ إِذَا لَعَّاشُوا!

وهذه الصورة مضحكة تهين الرجل وتجعله لشدة بخله يموت من الجوع، فلو شَمَّ الرغيف بعد موته لعاش.

(١) ابي العتاهية، لجنة البيان العربي: ٦٧.

(٢) ديوان ابي نواس: ٤٣٥.

(٣) المصدر نفسه: ٤٤٥.

وسخروا أيضاً من الثقل والسماجة، في صور مختلفة، تترد بالإنسان إلى واقع الحياة. ليتمثل مشاعر الرفض التي يعيشها من يعاشر أمثال هؤلاء ممن لا يمتلكون الذوق السليم في التعامل مع الناس، فهذا مطيع بن أبياس.

ويسخر من حماد الراوية، ويستثقل لقاءه، إذ يروى أن حماداً كتب إليه^(١):

هَلْ لِيْ حَاجَةٌ إِلَيْكَ سَبِيلُ لَا يُطِيلُ الْجُلُوسَ فِيمَنْ يَطِيلُ

فلما قرأ البيت كتب إليه^(٢):

أَنْتَ يَا صَاحِبَ الْكِتَابِ ثَقِيلُ وَكَثِيرٌ مِنَ الثَّقِيلِ الْقَلِيلُ

وسخر أبو الشمقمق^(٣) من بعض الثقلاء، وجعله ذباباً يسقط في مرقه، إذ يقول^(٤):

أَسْمَحُ النَّاسَ جَمِيعاً كُلَّهُمْ كَذَبَابٍ سَاقِطٍ فِي مَرَقِهِ

وأما ثقل أبي نواس فقد خاف أن تميد الأرض به، فجمع في ذاته ثقل المخلوقات كلها وفي هذا إشارة إلى قوله تعالى^(٥) ﴿وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾.

(١) شعراء عباسيون، غوستاف فون غريناوم: ٦٤.

(٢) المصدر نفسه: ٦٤.

(٣) أبو الشمقمق: هو مروان بن محمد ويكنى أبا محمد، وأبو الشمقمق لقب، والشمقمق: الطويل وهو مولى بني أمية، كان عظيم الأنف منكر المنظر، غير جيد الشعر على أكثره فيه، ساخرأ كثيراً من متقدمي زمانه ومنهم، بشار وأبي العتاهية ومروان بن أبي حفصة وأبي نواس؛ معجم الشعراء للمرزباني: ٣١٩.

(٤) شعراء عباسيون، غوستاف فون غريناوم: ١٥٧؛ الحيوان للجاحظ: ٣/٣٨٥.

(٥) سورة النحل، الآية: ١٥.

ويذكر أنه إذا رأى هذا الثقيل فانه يغص، ويقول^(١):

خَافَ مِنْ الْأَرْضِ أَنْ تَمِيدَ بِهِ فَأَوْسَعَ النَّاسَ كُلَّهُمْ ثِقَالًا
أَشْرَقَ بِالْكَأْسِ حِينَ أَنْظَرَهُ وَلَوْ شَرِبْتُ الزَّلَالَ وَالْعَسَلَا

ويستثقل رجلاً آخر فيجعل لقاءه أشد من وقع السكين على الاحشاء حيث يقول^(٢):

أَقُولُ لَهُ إِذْ أَتَى: لَا أَتَى وَلَا نَقَلْتُهُ إِلَيْنَا قَدَمٌ
فَقَدَّتْ خَيَالِكَ لَا مِنْ عَمَى وَصَوْتُ كَلَامِكَ لَا مِنْ صَمَمٍ
تَغَطَّ بِمَا شِئْتَ عَنْ نَاطِرِي وَلَوْ بِالرِّدَاءِ بِهِ تَلْتَثِمُ

حيث يبلغ الشاعر عمقاً ودقة في البيتين الآخرين، فيصل بتهكمه إلى العدم ويصرح بلغة الاستهزاء والاستهتار أن متهمه لم يَزَقْ إلى مستوى البشر حتى يخاطبه ويجالسه لذلك يأمره بالاختفاء عن وجهه.

ويصف ابي نواس ثقيلاً آخر، يروى أنه أثقل من جبل أحد، لانه عابس متجهم وعلامة البغض ظاهرة على وجهه مذ كان في المهد، وهو لشدة برودته لو أدخل النار لأطفأ حرها ومات من فيها من البرد، اذ يقول^(٣):

لِي صَاحِبٍ أَثْقَلَ مِنْ أَحَدٍ قَرِينِهِ مَا عَاشَ فِي جُهْدٍ
عَلَامَةُ الْبُغْضِ عَلَى وَجْهِهِ بَيِّنَةٌ مُذْ حَلَّ فِي الْمَهْدِ
لَوْ دَخَلَ النَّارَ طَفَى حَرُّهَا فَمَاتَ مِنْ فِيهَا مِنَ الْبَرْدِ

(١) ديوان ابي نواس: ٥٧١.

(٢) المصدر نفسه: ٦٤٩.

(٣) المصدر نفسه: ٢٠٧.

ومن العيوب النفسية التي سخرها منها الجبن، فهنا دعبل يسخر من جبن أبي سعد المخزومي، فهو يتردد في الاقبال على المعركة، وكأنه وضع على نفسه حارساً يحميها من نفسه إذا فكرت بالأقدام، فيقول^(١):

كَأَنَّمَا نَفْسُهُ مِنْ طُولِ حَيْرَتِهَا مِنْهَا عَلَى نَفْسِهِ يَوْمَ الْوَعَى رَصْدُ

وسخر دعبل من جبن اسماعيل^(٢) بن جعفر الذي هرب من زيد بن موسى وخلي حريمه^(٣):

لَقَدْ خَلَّفَ الْأَهْوَا زَ مِنْ خَلْفِ ظَهْرِهِ وَزَيْدٌ وَرَاءَ الزَّابِ مِنْ أَرْضِ كَسْرِ
يُهَوِّلُ أَسْمَاعِيلُ بِالْبَيْضِ وَالْقَنَّا وَقَدْ فَرَّ مِنْ زَيْدِ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ
وَعَايَنْتُهُ فِي يَوْمِ خَلَى حَرِيمَهُ فَيَا قُبْحَهَا مِنْهُ، وَيَا حُسْنَ مَنَظَرِ

وكشف في سخريته عن جبن أمير مصر المطلب بن عبد الله الخزاعي، الذي جعل حظ جنوده القتل بسبب امارته عليهم، والذي هرب من المعركة حيث تهكم منه وقال^(٤):

إِذَا الْحَرْبُ كُنْتَ أَمِيرًا لَهَا فَحَظُّهُمْ مِنْكَ أَنْ يُقْتَلُوا

(١) ديوان دعبل الخزاعي: ١٧١.

(٢) اسماعيل بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، من امراء بني العباس، ولي الاحواز في عهد المأمون، وكان ممن شملهم أمان المأمون، وقد تهكم دعبل به وعيره بهربه من زيد بن موسى بن جعفر بن محمد لما ظهر في البصرة، وهو اخ الامام علي بن موسى الرضا. ولقب بزيد النار لأحرقه دور بن العباس بالبصرة، الاغاني للأصفهاني: ٢٩/١٨؛ وتاريخ بغداد: ٢٦٠/٦.

(٣) ديوان دعبل الخزاعي: ٢٠٥-٢٠٦.

(٤) المصدر نفسه: ٢٥٣-٢٥٥؛ الاغاني للأصفهاني: ٤٩/١٨.

فَمِنْكَ الرُّؤُوسُ عِدَاةَ اللِّقَا
وَمَمَّنْ يُحَارِبُكَ الْمِنْصِلُ^(١)
شِعَارُكَ فِي الْحَرْبِ يَوْمَ الْوَعَى
إِذَا أَنْهَزَمُوا عَجَلُوا عَجَلُوا
فَأَنْتَ لِأَوَّلِهِمْ آخِرُ
وَأَنْتَ لِآخِرِهِمْ أَوَّلُ

ولقد صور بشار بن برد صورة ابن قزعة البخيل، إذا ما طرق بابه محتاجاً، فهو يتجههم ويحزن، ولكنه يتحاشى هذا الموقف فيبقى بابه مغلقاً، ولا يستطيع صاحب الحاجة لقاءه إلا إذا تربص به، وكمن له يقول^(٢):

وَلَا تَبْخَلَا بُخْلَ ابْنِ قُزْعَةَ إِنَّهُ
مَخَافَةٌ أَنْ يُرْجَى نِدَاهُ حَزِينُ
إِذَا جَنَّتْهُ فِي الْخُلُقِ أَغْلَقَ بَابَهُ
فَلَمْ تَلْقَهُ إِلَّا وَ أَنْتَ كَمِينُ

ويكثر أبو الشمقمق من ملاحقة البخلاء وتصوير ما يظهر من تصرفاتهم، وما تخفيه نفوسهم من مشاعر واحاسيس، فمن صورهِ اللطيفة انه جعل من كفي المتهم به قفلاً، ولتأكيد شدة بخله، أضاع المفتاح، وأوصل الحداد إلى حالة اليأس في اصلاح الامر، ليؤكد أنه لا أمل يُرْجَى من هذا البخيل، فيقول^(٣):

كَفَاهُ قُفْلٌ ضَاعَ مِفْتَاحُهُ
قَدْ يَيْسَ الْحَدَّادُ مِنْ فَتْحِهِ

ويسخر أبو الشمقمق من بخل سعيد بن سلم^(٤) فمن يطلب عطاءه مثل من يطرق في حديد بارد، ويؤكد معنى العبث والاستحالة في تفصيله، فهذا المتهم به لو

(١) المنصل: السيف ونحوه، انظر: ديوان دعبل الخزاعي: ٢٥٤.

(٢) ديوان بشار بن برد: ٢١.

(٣) شعراء عباسيون: غوستاف فون: ١٥٤.

(٤) هو سعيد بن سلم بن قتيبة بن مسلم أبو أمامة الباهلي البصري، معجم الشعراء للمرزباني:

٤٠٧.

ملك كل البحار وطلب منه مقدار شربة للطهور، لرفض واقترح التيمم بالصعيد، يقول^(١):

هَيْهَاتَ تَضْرِبُ فِي حَدِيدٍ بَارِدٍ إِنَّ كُنْتَ تَطْمَعُ فِي نَوَالِ سَعِيدٍ
والله لو ملكَ الْبَحَارَ بِأَسْرِهَا وَأَتَاهُ سَلَمٌ فِي زَمَانِ مُدُودٍ
يَبْغِيهِ مِنْهَا شَرْبَةً لِطَهْوَرِهِ لِأَبِي وَقَالَ: تَيَمَّمَنْ بِصَعِيدٍ

ويصور أبو الشمقمق بخل جعفر بن أبي زهير، فيجعل الماء عنده سراباً، وخبزه عزيزاً لاتصل إليه الايدي وكأنه معلق في السحاب، يقول^(٢):

شَرَابُكَ فِي السَّرَابِ إِذَا عَطِشْنَا وَخُبْرُكَ عِنْدَ مُنْقَطِعِ الثَّرَابِ
رَأَيْتُ الْخُبْرَ عَزَّ لَدَيْكَ حَتَّى حَسِبْتُ الْخُبْرَ فِي جَوِّ السَّحَابِ
وَمَا رَوْحَتَنَا لِتَذْبَ عَنَّا وَلَكِنْ خَفَّتْ مُرْزَنَةُ الدَّبَابِ

ومن الشعراء من كان بخيلاً، فوقع تحت السنة غيره، فهذا مروان بن أبي حفصة^(٣) يهرب من ضيفه، حتى لا يكون ملزماً بإطعامه، ويروى أنَّ مروان كان ابخل الناس وأشدَّهم حرصاً، وقد دفع موقف مروان بضيفه أنَّ ذهب واشترى كل ما يحتاجه، ثم رجع، وكتب الى مروان^(٤).

يَا تَارِكَ الْبَيْتِ عَلَى الضَّيْفِ وَهَارِباً مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ

(١) شعراء عباسيون، غوستاف فون: ١٣٤.

(٢) المصدر نفسه: ١٣١.

(٣) مروان بن أبي حفصة، ويكنى أبا السُّمَط: هو مولى مروان بن الحكم وكان أعتق أباه، انظر: طبقات الشعراء لابن المعتز: ٤٢.

(٤) المحاسن والاضداد للجاحظ: ٥٧.

ضَيْفَكَ قَدْ جَاءَ بِخَبْرٍ لَهُ فَارْجَعْ وَكُنْ ضَيْفًا عَلَى الضَيْفِ
إِذَا أَشْتَهَى الضَيْفُ طَبِيخَ الشَّتَا أَتَاهُ بِالشَّهْوَةِ فِي الصَّيْفِ
وَإِنْ دَنَا الْمُسْكِينُ مِنْ بَابِهِ شَدَّ عَلَى الْمُسْكِينِ بِالسَّيْفِ

ومما روي عن مروان أيضاً انه اشترى لحماً بنصف درهم، فلما وضعه في القدر، وقبل أن ينضج دعاه صديق له فردّه على القصاب بنقصان دانق، فشكاه القصاب، وجعل ينادي، هذا لحم مروان، وظن انه يأنف لذلك فبلغ الرشيد ذلك، فقال، ويلك ما هذا ! قال: اكره الاسراف، وانشد لرجل من بني بكر بن وائل في مروان قوله^(١):

وَلَيْسَتْ لِمَرْوَانَ عَلَى الْعَرَضِ غَيْرَةٌ وَلَكِنْ مَرْوَانًا يُعَارِ عَلَى الْقَدْرِ

ومن الشعراء الذين أمعنوا في وصف البخل والبخلاء ابي نواس وقد جاءت صورته متنوعة غنية، ومنها قوله^(٢):

عَلَى خُبْرٍ إِسْمَاعِيلَ وَاقِيَةَ الْبُخْلِ فَقَدْ حَلَّ فِي دَارِ الْأَمَانِ مِنَ الْأَكْلِ
وَمَا خُبْرَةُ إِلَّا كَأَوِي يَرَى ابْنَهُ وَلَمْ يَرِ آوِي فِي حُزُونٍ وَلَا سَهْلٍ
وَمَا خُبْرَةُ إِلَّا كَعَنْقَاءٍ مُغْرَبٍ تُصَوِّرُ فِي بُسْطِ الْمُلُوكِ، وَفِي الْمُثَلِ
يُحَدِّثُ عَنْهَا النَّاسُ مِنْ غَيْرِ رُويَةٍ سِوَى صُورَةٍ، مَا أَنْ تُمْرَ وَلَا تُجْلِي
وَمَا خُبْرُهُ إِلَّا كَلَيْبُ بْنُ وَائِلٍ وَمَنْ كَانَ يَحْمِي عِزَّهُ مِنْبَتَ الْبَقْلِ

(١) الاغاني للأصفهاني: ٤٥/٩.

(٢) ديوان ابي نواس: ٥٦٨-٥٦٩.

لقد نجح ابي نواس في خلق حركة داخلية بأسلوب سلس، والفاظ بسيطة، وربما كانت هذه إحدى سمات السخرية عند أبي نواس، وفي مشهد آخر لنفسية البخيل، يظهر لنا كيف تمنعه مراقبته لضيوفه أثناء تناولهم الطعام من الشبع، وأما هو فإنَّ غَيْظَهُ واستيائه يمنعه من الشبع، يقول^(١):

يُلاحِظُهُمْ وَهُمْ يَأْكُلُو نَ طَوْرًا فَرَادَى وَطَوْرًا مَعَا
فَيَمْنَعُهُمْ ذَاكَ أَنْ يَشْبَعُوا وَيَمْتَعُهُ الْغَيْظُ أَنْ يَشْبَعَا

وتجاوز الشعراء شخص المتهم منه الى أدوات الطبخ ومواعينها، فضلاً عن مادة الغذاء نفسها، ليستنبطوا صوراً طريفة تثير السخرية من التهمك منه، فيقول ابي نواس^(٢):

رَأَيْتُ قَدُورَ النَّاسِ سُودًا مِنْ الصَّلَى وَقَدِرُ الرِّقَاشِيِّينَ زَهْرَاءَ كَالْبَذْرِ
تَبَيَّنَ فِي مَخْرَاشِهَا أَنَّ عُدَّهَا سَلِيمٌ صَحِيحٌ، لَمْ يُصِبْهُ أَدَى الْجَمْرِ
يُبَيِّنُهَا لِلْمُعْتَفِي بِفَنَائِهِمْ ثَلَاثًا كَنَقْطِ الثَّاءِ مِنْ نُقْطِ الْحَبْرِ
وَلَوْ جُنَّتْهَا مَلَأَى عَبِيْطًا مَجْزَلًا لِأَخْرَجْتُ مَا فِيهَا عَلَى طَرْفِ الظَّفَرِ
تَرْوُحٌ عَلَى حَيِّ الرَّبَابِ وَدَارِمٍ وَعَمْرُو، وَتَعْرُوها قَرَاضِبَةُ النَّمْرِ

ويقول في موطن آخر: إِنَّ قَدْرَ الرِّقَاشِيِّينَ معروفَةٌ، يُضْرَبُ بِهَا المثل في كل شيء إلا أن تمسها النار وهي تشكو إلى قدور الجيران أَنَّها منذ عام وهي جافة لم يدخلها ماء للطبخ يقول^(٣):

(١) ابي نواس في تاريخه وشعره ومبازله وعيشه ومجونه لابن منظور المصري: ١١٢.

(٢) ديوان ابي نواس: ٣٨١-٣٨٢.

(٣) المصدر نفسه: ٥٦٤.

قَدْرُ الرِّقَاشِي مَضْرُوبٌ بِهَا الْمَثَلُ فِي كُلِّ شَيْءٍ خِلا النِّيرَانِ تُبْتَدَلُ
تَشْكُو إِلَى قَدْرِ جَارَاتٍ، إِذِ التَّقَاتَا الْيَوْمَ لِي سَنَةٌ مَا مَسَّنِي بَلَلُ

لقد أراد ابي نواس أن يجرد المتهكم منه صفاته العربية المتمثلة في العز والجو والنسب الرفيع، فالح على ضالة قدره وقدر قومه، حتى إنها لتضيق عن صدر الجرادة.

وتتنضحها نار الفتيلة الضئيلة، وإذا ذكرت عندها النار فأنها تغلي ولا يحتاج الطاهي الى خرقة لا نزالها عن النار، وإذا ملأتها لحماً أخرجته كله بعود صغير فيقول^(١):

وَدَهْمَاءُ تُثْفِيهَا رِقَاشٌ إِذَا شُتَّتْ مُرْكَبَةُ الْأَذَانِ أُمَّ عِيَالٍ^(٢)
يَعَصُّ بِحِزْوَمِ الْجَرَادَةِ صَدْرُهَا وَيَنْضِجُ مَا فِيهَا أَنْقَادُ ذُبَالٍ^(٣)
وَتُغْلِي بِذِكْرِ النَّارِ مِنْ غَيْرِ حَرِّهَا وَيَنْزِلُهَا الطَّاهِي بَعُودِ جَعَالٍ^(٤)
وَلَوْ جَنَّتْهَا مَلَأَى عَيْبِطًا وَجَدَلَا لِأَخْرَجَتْ مَا فِيهَا بَعُودِ خِلَالٍ^(٥)
هِيَ الْقَدْرُ قَدْرُ الشَّيْخِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ رَبِيعِ الْيَتَامَى عَامَ كُلِّ هُزَالٍ

١ () ديوان ابي نواس: ٥٧٠ .

٢ () الدهماء: اراد القدر لسوادها، انظر: ديوان ابي نواس: ٥٧٠ .

٣ () ذبال: جمع ذباله بالعلم وهي الضئيلة، انظر: المصدر نفسه: ٥٧٠ .

٤ () الجعال: الخرقة ينزل بها القدر، انظر: المصدر نفسه: ٥٧٠ .

٥ () عود الخلال: عود يجعل في لسان الفصيل كي لا يضع، انظر: المصدر نفسه: ٥٧٠ .

وأما دعبل الخزاعي فلم يسلم من سخريته بعض الخلفاء، ومنهم ابراهيم بن المهدي^(١) الذي بويغ ببغداد وكان قد لجأ اليه اعراب السواد فأحتبس عنهم العطاء، وجعل يسوفهم إلى أن خرج اليهم رسوله يوماً وقد اجتمعوا وصرح لهم أنه لا مال عنده فقال قوم من غوغاء اهل بغداد، أخرجوا علينا خليفتنا ليغني لأهل هذا الجانب ثلاثة أصوات ولأهل هذا الجانب ثلاثة أخرى، فأنشد دعبل الخزاعي بعد ذلك بأيام قوله^(٢):

يَا مَعْشَرَ الْأَجْنَادِ لَا تَقْنَطُوا	وَأَرْتَضُوا بِمَا كَانُ، وَلَا تَسْخَطُوا ^(٣)
فَسَوْفَ تُعْطَوْنَ حُنَيْنِيَّةً	يَلْتَذُّهَا الْأَمْرَدُ وَالْأَشْمَطُ ^(٤)
وَالْمَعْبَدِيَّاتُ لِقَوَادِكُمْ	لَا تَدْخُلُ الْكَيْسَ وَلَا تُرَبِّطُ ^(٥)
وَهَكَذَا يَرْزُقُ أَصْحَابَهُ	خَلِيفَةُ مُصْحَفُهُ الْبُرْبَطُ ^(٦)

فقد بشرهم بأنهم سيعطون غناء بدل المال، يُسرَّ به الشاب والاشيب، كذلك سخر من الخليفة الذي اصبحت الموسيقى مصحفه، ومركز اهتمامه الأول، وتشير ابیات دعبل الى مفارقة واضحة في حياة الناس، فمنهم من يطرق الابواب ليوفر لقمة العيش لأطفاله، ومنهم من يعيش حياة اللهو والترف، ولا يعرف شيئاً عن غيرهم،

(١) ابراهيم بن المهدي العباسي أخو الرشيد وعم المأمون، ولد سنة ١٦٢ هـ وأمه تدعى (شكلة) وكان أسود عظيم الجثة يلقب بالتنين، واشتهر بصناعة الغناء، ويعد مغنياً موسيقاراً شاعراً. بايعه اهل بغداد بعد قتل الامين ومبايعة المأمون الامام الرضا علي بن موسى بولاية العهد؛ الاغانى للأصفهاني: ٤٣/١٨.

(٢) ديوان دعبل الخزاعي: ٢١٩، اختلف المؤرخون في اسمه، فذكر أن له ثلاث اسماء، الحق وعبد الرحمن ومحمد، عرف بلقبه دعبل بن رزين بن عثمان بن بديل بن ورقاء الخزاعي: انظر: ديوانه،: ١٧.

(٣) قنط: يؤس، انظر: ديوان دعبل الخزاعي: ٢١٩.

(٤) حنينيه: نسبة الى حنين الحيري، المغني، والشمط: الشيب، انظر: المصدر نفسه: ٢١٩.

(٥) المعبدیات: نسبه الى معبد المغني، انظر: المصدر نفسه: ٢١٩.

(٦) البربط: من الملاهي، عود العراب، انظر: المصدر نفسه: ٢١٩.

وتميزت سخرية دعبل من البخل بصورها المتنوعة، وكاد ينفرد في بعضها ومنها تصويره حرص بخيل قاده بخله ليحفظ رغيته في مكان لا يمكن أن تصل إليه العين بحال من الاحوال، ولهذا أختار مكاناً لا نتوقعه فهذا البخيل أختار أن يضع رغيته في وعائين من آدم الطائف ثم في سلتين، ثم في منديل وختم كل سلة بحديد، وحتى يتأكد من إغلاقها ربطها بمسدّد مصنوع من جلد الفيل ثم وضعها في جراب يحميها، وأخيراً القاهها في جوف تابوت، واختار أن يكون هذا التابوت هو تابوت موسى عليه السلام، والمحفوظ بعناية إلهية، وجعل مفاتيحه عند الملك إسرافيل عليه السلام وبعد هذه الوسائل، فليس من المعقول أن تصل إليه عينُ بشر، فيقول^(١):

إِنَّ هَذَا الْفَتَى يَصُونُ رَغِيفاً مَا إِلَيْهِ لِنَظَرٍ مِنْ سَبِيلِ
هُوَ فِي سُفْرَتَيْنِ أَدَمِ الطَّا نِفٍ، فِي سَلَّتَيْنِ، فِي مَنْدِيلِ
خُتِمَتْ كُلُّ سَلَّةٍ بِحَدِيدِ وَسُيُورٍ قُدْدَنْ مِنْ جُلْدِ فِيلِ
فِي جَرَابٍ، فِي جَوْفِ تَابُوتِ مُوسَى وَالْمَفَاتِيحُ عِنْدَ إِسْرَافِيلِ

وقد نجح دعبل الخزاعي في بناء علاقات بين أشياء مختلفة ومتباعدة، مثيراً في النفس الضحك والاستخفاف بالمتهم فيه، حيث يقول^(٢):

أَسْتَبِقُ وَدَّ أَبِي الْمُقَا تِلْ حِينَ تَأْكُلُ مِنْ طَعَامِهِ
الْمَوْتُ أَيْسَرُ عِنْدَهُ مِنْ مَضْغِ ضَيْفٍ وَالتَّقَامِهِ
وَتَرَاهُ مِنْ خَوْفِ النَّزْ يَلِ بِهِ، يُرَوِّعُ فِي مَنَامِهِ
سَيَّانٍ كَسُرَ رَغِيفِهِ أَوْ كَسُرَ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهِ

(١) ديوان دعبل الخزاعي: ٢٦٨-٢٦٩.

(٢) المصدر نفسه: ٣٥٤.

وَإِذَا مَرَرْتَ بِبَابِهِ فَأَحْفَظْ رَغِيفَكَ مِنْ غُلَامِهِ

فكسر الرغيف عنده مثل كسر عظامه, ولا حديث معه ما دمنا نرغب في مؤاكلته وعلينا الحذر عند المرور امام بيته, لأن غلامه سوف يخطف ما عندنا من طعام بسبب جوعه.

ويتهكم بأسلوب طريف من لام صاحبه الذي ارسل اليه أضحيه مهزولة, مريضة, وكأنه كان يطعمها نبات الحرمل, فأفسد لحمها, فيقول^(١):

بَعَثَ إِلَيَّ بِأُضْحِيَّةٍ وَكُنْتُ حَرِيًّا بِأَنْ تَفْعَلَا

وَلَكِنَّهَا خَرَجَتْ غَثَّةً كَأَنَّكَ أَرْعَيْتَهَا حَرَمَلًا^(٢)

فَإِنْ قَبِلَ اللَّهُ قُرْبَانَهَا فَسُبْحَانَ رَبِّكَ مَا أَعْدَلَا

وكثر السخرية والبخل عند الحمدوني^(٣), وذلك بسبب فقره, وعلى الرغم من أنه كان ينتظر الصدقات وأحوج ما يكون على علاقة ودية مع مجتمعه, إلا أن لسانه كان ناقدًا لمن يقصر في عطائه, أو يقدم له عطيه ليست ذات قيمه, ومن ذلك قوله في شاة سعيد^(٤):

أَسَعِيدٌ قَدْ أُعْطِيتَنِي أُضْحِيَّةً مَكَثَتْ زَمَانًا عِنْدَكُمْ مَا تَطْعَمُ

نَضَوًا تَغَامَزَتِ الْكِلَابُ بِهَا وَقَدْ شَدَّوْا عَلَيْهَا كَيْ تَمُوتَ فَيُؤَلَّمُوا

١ () ديوان دعبل الخزاعي: ٢٦١.

٢ () الحرمل: حب كالسمسم لا يؤكل يستعمل للتداوي, ولا ترعاه الماشية, انظر: ديوان دعبل الخزاعي: ٢٦١.

٣ () إسماعيل بن حمدوية, أبو علي الحمدوني, وجده حمدوية صاحب الزنادقة على عهد الرشيد؛ فوات الوفيات للكتبي: ١٧٣/١.

٤ () فوات الوفيات والذيل عليها للكتبي: ١٧٤/١.

فَإِذَا أَلْمَلَا ضَحَكُوا بِهَا قَالَتْ لَهُمْ لَا تَهْزُوا بِي وَأَرْحَمُونِي تَرْحَمُوا
مَرَّتْ عَلَى عَلفٍ فَقَامَتْ لَمْ تَرَمْ عَنْهُ وَغَنَّتْ أَلْمَدَامُغُ تُسْجِمُ

واستطرد في سخريته من بخل سعيد بن أحمد، فأتى على طعام التي أهداها له، وذكر أنه ضوء الشمس والقمر، وفي هذا توبيخ شديد لصاحبها لامتناعه عن اطعامها، فهي لم تر العلف منذ زمن طويل، ولو شاهدته لغنت وبكت فرحاً حيث، يقول^(١):

أيا سعيد لنا في شاتك العبرُ جاءت وما أن لها بول ولا بعُرُ
وكيف تبعر شاة عندكم مكنت طعامها الأبيضان الماء والقمرُ
لو إنها أبصرت في نومها علفاً غنت له ودموع العين تنحدرُ
وقال ايضاً^(٢):

لسعيد شويهة سَلَّهَا الْأَضْرَ وَالْتَأَفَ
قَدْ تَغَنَّتْ وَأَبْصَرَتْ رَجُلًا حَامِلًا عَلفَ:
بأبي مَنْ بكفه برء دائي مِنَ الدَّنَفِ
فأتاهما مَطْمَعًا فَأَتَتْهُ لِتَغْتَلِفَ
فتولَّى فأقْبَلَتْ تَتَغْنَى مِنَ الْإِسْفِ
لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ وَقَفَ عَذَابُ الْقَلْبِ وَأَنْصَرَفَ

١ () فوات الوفيات والذيل عليها للكتبي: ١٧٤/١.

٢ () المصدر نفسه: ١٧٤ / ١.

وكان احمد بن حرب من المنعمين على الحمدوني، فوهب له طيلساناً أخضر
لم يرضه فقال فيه (١):

يَا أَبْنُ حَرْبٍ كَسَوْتَنِي طَيْلَسَانًا أَنْحَلْتَهُ الْإِزْمَانُ فَهُوَ سَقِيمٌ
فَإِذَا مَا رُفُوتَهُ قَالَ سَبْحًا نَكَ مُخِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ

فقد عاب الحمدوني على ابن حرب رثالة الثوب الذي أهدها وذكر أنه بال
واوهى من بين العنكبوت، وقال أيضاً إنَّ هذا اللباس أصبح وطنه وعنوانه، وقد مله
الناس عليه حيث قال (٢):

يَا طَيْلَسَانَ أَبْنِ حَرْبٍ قَدْ هَمَمْتَ بَأَنْ تَوَدَّى بِجَسَمِي كَمَا أَوْدَى بِكَ الزَّمَنُ
مَا فِيكَ مِنْ مَلْبَسٍ يُغْنِي وَلَا تَمَنَّ قَدْ أَوْهَنْتَ حَيْلِي إِنْ كَانَكَ الْوَهْنُ
فَلَوْ تَرَانِي لَدَى الرِّقَاءِ مُرْتَبِطًا كَأَنِّي فِي يَدَيْهِ الدَّهْرُ مَرْتَهَنُ
أَقُولُ حِينَ رَأَيْتِ النَّاسَ الزَّمْمَهُ كَأَنَّمَا لِي فِي حَانَوْتِهِ وَطَنُ

كما إن شعراءنا قد تناولوا في اوصافهم المرأة والرجل على حدٍ سواء،
فصوروهما تصويراً مقذعاً، وقد تلفت الشاعر أبو تمام إلى هذا فخص في حماسته
باباً بالتهكم من النساء ومذمتهن، كما حمل الشعراء منذ القديم على الحليلة والخليلة
حملةً قاسيةً وصوروا بشاعتهما تصويراً دفعهم إلى أن يقسموا بالأيمان المغلظة أن
لا يجتمعوا بهنّ بعد ذلك، عزوفاً عن المناظر البشعة وبعداً عن الدمامة المؤذية،

١) فوات الوفيات والذيل عليها للكتبي: ١٧٥/١.

٢) المصدر نفسه: ١٧٥/١.

ويحسن بنا أن نقف عند هؤلاء وقفة قصيرة, فقد قال احد الشعراء يتهم بأحدى النساء, واسمها جوهر. حيث يقول^(١):

أَلُمِّمْ بِوَطْبَاءٍ فِي أَشْدَاقِهَا سَاعَةً فِي صُورَةِ الْكَلْبِ إِلَّا أَنَّهَا بَشَرٌ^(٢)
حَدْبَاءٌ وَقِصَاءٌ صِيغَتْ صِيغَةً عَجَبًا وَفِي تَرَائِبِهَا عَنْ صَدْرِهَا زَوْرٌ^(٣)

فهي عظيمة الثديين, واسعة الاشداق تشبه الكلب في صورتها, وإن كانت من البشر حدباء قصيرة العنق, غريبة الخلق, عجيبة الصنع في هزالها, قد أزور صدرها.

فباتت على أبشع صورة , وذلك لأن العرب فيما يبدو كانوا يحبون الثديين الصغيرين والفم الضيق والقامة المستقيمة, لذلك جمع لها الشاعر كل القبايح وحرمها من المزايا وقال شاعر آخر يصف وجه أمراه أخرى^(٤):

بَدَا فَبَدَتْ لِي شِفَّةٌ مِنْ جَهَنَّمَ فَقَمْتُ وَمَا لِي بِالْجَحِيمِ يَدَانِ
وَعَادَرْتُ أَصْحَابِي الَّذِينَ تَخَلَّفُوا بِمَا شِئْتُ مِنْ خِزْيٍ وَطُولِ هَوَانِ
وَمَا كُنْتُ أَدْرِي قَبْلَهَا أَنَّ فِي النِّسَاءِ جَحِيمًا أَرَاهَا جَهْرَةً وَتَرَائِي

فلم يجد صورة لها قريبة من وجهها إلا صورة الجحيم, على ما كان العرب يتخيلونه من عذاب تمشي بين الناس تحمل البشاعة والقبايح والعذاب, لذلك هرب

(١) ديوان الحماسة لابي تمام: ٦٣٩.

(٢) الوطباء: العظيمة الثديين, انظر: ديوان الحماسة لابي تمام: ٦٣٩.

(٣) الوقصاء: القصيرة العنق, الترائب: موضع القلادة, انظر: ديوان الحماسة لابي تمام: ٦٣٩.

(٤) ديوان الحماسة لابي تمام: ٦٤١.

منها نجياً، فلا صبر له على النظر إليها والبقاء بقربها، وهرب زميلٌ له من امرأة أخرى قد سلخت في العمر سنين عدة فقال فيها^(١):

وإن أتوك وقالوا إنها تصف فإن أمثل نصفها الذي ذهباً^(٢)

وهكذا تولى أحسن نصفها من العمر والجمال، وبقي القبح والشر ومثله شاعر آخر وصف أمراًه حوتٌ من الصفات ما لا نجده إلا في متحف الدمامة، فقال^(٣):

حَذْبَاءُ وَقَضَاءُ يَبْدِي الْكِبَدَ مَضْحَكُهَا قَنَوَاءُ بِالْعَرَضِ وَالْعَيْنَانِ بِالطُّوْلِ
لَهَا فَمَّ مُلْتَقَى شَذَقِيَّةٍ نَقَرَتْهَا كَأَنَّ مَشْفَرَهَا قَدْ طَرَمَ مِنْ قَيْلٍ^(٤)
أَسْنَانُهَا أَضْعَفَتْ فِي خَلْقِهَا عَدَدًا مُظْهِرَاتٍ جَمِيعًا بِالرَّوَاوِيلِ^(٥)

ويبدو بذلك أن العرب كانوا يولون الوجه اكبر عناية، لانه وحده يستقبل الناظر فيجذب أو يدفع، ويرسل السخرة ولذلك اكثروا من وصف الفم والانف والجبين والذقن، فقال شاعرهم يرسم لوحة كرهها في وجه أمراه^(٦):

دَقْنٌ نَاقِصٌ وَأَنْفٌ غَلِيظٌ وَجَبِينٌ كَسَاجَةِ الْقُسْطَارِ
قَامَةُ الْقَصْعُلِ الضَّعِيفِ وَكَفٌّ خَنْصَرَاهَا كَذَيْنَقَا قَصَّارٍ^(٧)

١ () ديوان الحماسة لابي تمام: ٦٤٠.

٢ () النصف: المرأة الوسط بين الحدثة والمسنة، وقيل التي بلغت خمساً واربعين وقيل خمسين سنة، انظر: المصدر نفسه: ٦٤٠.

٣ () ديوان الحماسة لابي تمام: ٦٤١.

٤ () طر: قطع، انظر: ديوان الحماسة لابي تمام: ٦٤١.

٥ () مظهرات: جعل لها ظهارة كما يجعل للفرش ظهارة، الراوول: اسنان زوائد: تكون خلف الاسنان، انظر: المصدر نفسه: ٦٤١.

٦ () ديوان الحماسة لابي تمام: ٦٤٢.

٧ () القصعل: العقاب الصغير. كذينقا: مدق الصقار الذي يدق عليه الثوب، انظر: المصدر نفسه: ٦٤٢.

حيث نلاحظ ان الحطيئة كان بارعاً في التهكم للخلقة, فقد حشد في ديوانه صوراً كثيرة ولكل ما رأى وصادف, حتى إنه رسم وجهه وخلقه وقاله^(١):

أَبَتْ شَفَتَايَ الْيَوْمَ إِلَّا تَكَلُّماً بِسُوءٍ فَمَا أَدْرِي لِمَنْ أَنَا قَائِلُهُ
أَرَى وَجْهًا شَوَّهَ اللَّهُ خَلْقَهُ فَفُجِّحَ مِنْ وَجْهِهِ وَفُجِّحَ حَامِلُهُ

وذهب هذا البيت مثلاً في تهكم الشاعر وسخريته من وجهه الذي يحمله ويكره أن يقابل به الناس لشذوذه وتنافر الاعضاء فيه، وقال جرير يتهكم من ام الاخلل ويصور منخريها^(٢):

عَلِيْظَةً جِلْدِ الْمَنْخَرَيْنِ مُصَنَّةً عَلَى أَنْفِ خَنْزِيرٍ يُشَدُّ نِقَابُهَا

فيرسم جلد المنخرين في غلظه, ويرى فيها انفاً كالخنزير قد شُدَّتْ عليه النقاب فليس في النظر إليها جمال أو دلال أو نشوة, وانما بشاعة تفوق الخنزير بعد أن عرفنا ما للخنزير من قدر وحرمة!

وجرير يتهكم من النساء التغليات في صورة تُبعدهن عن كل حس فيقول^(٣):

إِذَا مَا رَأَيْتَ اللَّيْتَ مِنْ تَغْلِيَّةٍ فَفُجِّحَ ذَاكَ اللَّيْتُ وَالْمَتَوَشَّحُ
تَرَى مُحَجَّرًا مِنْهَا إِذَا مَا تَقَبَّبْتُ قَبِيحًا وَمَا تَحْتَ النِّقَابَيْنِ أَقْبَحُ

فيخيل إليك أن كل تغليبه بشعة وأن عِنَقَهَا قصير, وأن عينيها من القباحة بحيث لا يحملها نقاب, ما تحت النقاين أقبح وأشدَّ شراً ودمامة, وهو يلح على جمال

١) شرح ديوان الحطيئة: ١٤٤؛ والشعر والشعراء لابي قتيبة: ٣١٢/١.

٢) شرح ديوان جرير: ٥٣/١.

٣) المصدر نفسه: ١١٣/١.

المنخرين فيرى عند الرجال التغليبين اهل الاخل شعرأ كثيراً في مناخيرهم وكان العرب يتقززون، وينظر الى ام الاخل فيقول^(١):

لَمْ يَجِرْ مُذْ خُلِفَتْ عَلَى أَنْيَابِهَا مَاءُ السَّوَاكِ وَلَمْ تَمْسُ طَهُورًا

فأعجب لشاعر بهذه المساوي فيثيرها ويلصقها بالتهكم ويخرجها إخراجاً حسناً في صورة بارعة تُضحك الناس من هذه الام، حين يتصورون اسنانها السوداء لم يمر بها ماء السواك، وهي امرأة علمها الاسلام نظافة وطهارة وطيباً فلم تلتزم أمراً منها. وغدت بغير طهارة أو دين، وغريب أن يلح في ذلك، فيتهكم بالقبيح في كل شيء حين يقول^(٢):

وَكَأَنَّهَا بَصَقَ الْجَرَادُ بَصْقَ بَلَيْتِهَا فَالْوَجْهَ لَا حَسَنًا وَلَا مَنْضُورًا

وابي نواس الحسن بن هاني، يتهكم من البشاعة والقبح في صور بارعة لذلك تستدعي الأعجاب بريشه هذا الرسام المتقن الذي بلغ قمة الشعر في كثير من أبوابه، فقد حلق في فن الوصف والرسم - وليس غريباً أن يجلي في وصف الجسد والجسم الدميم، فقد عشق الجمال على لوانه كذلك، وكلف به على ضروبه فلم يغادر في انواعه وصوره ميدان الابداع والابتكار، لقد رأينا أنه برع في التهكم بالمرأة وتصويرها، فرسم اعضاءها رسماً واقعياً يسخر منه ليضحك السامعين، فانظر إليه حين عرض للفم والثنايا فقال^(٣):

وَالْفَمُ مِنْ ضَيْقِهِ إِذَا أُبْتَسِمَتْ كَأَنَّهُ قُصْعَةُ الْمَسَاكِينِ

لَهَا ثَنَايَا تُحْكِي بِبَهْجَتِهَا وَحَسَنَهَا أَلْسُنُ الْمَوَازِينِ

١ () شرح ديوان جرير: ٢٩٣/١؛ نقائض جرير والاخل: ١٢٧

٢ () المصدر نفسه: ٢٩٣/١؛ نقائض جرير والاخل: ١٢٦

٣ () ديوان ابي نواس: ٧٠١.

وَالْجَيْدُ زَيْنَ لِمَنْ تَأَمَّلَهُ أَشْبَهُ بِشَيْءٍ بَجِيدٍ تَتَيْنَ

وهذا جديد في التهكم لم نعرفه لشاعر قبله، ذلك لأنه عَرَضَ للقبايح فجعلها في موضع السخرية كأنه يمدح فإذا به ينقلب، يشبه بما حوله من أشياء لا نخطر على بال ولا تمر بخيال، فالقم كقصعة المساكين، والثنايا كالسن الميزان، والجيد كجيد تنين، فكيف تكون صورة هذا الوجه في عالم الجمال والجلال، اللهم إنه مسخها وعرضها كأبشع ما دار في لسان وقام في بيان، وقد زاد في مكان آخر فعرض للجسم كله، وقال في أمراته^(١):

شَخَصُهَا شَخْصٌ قَبِيحٌ وَلَهَا وَجْهٌ مَوْلَى
وَلَهَا ثَغْرٌ كَأَنَّ اللَّـ هَ غَشَّاهُ بِخُلِ
تَصَفَّ النُّكْهَةُ مِنْهَا جِيْفَةً فِي يَوْمٍ طَلِ
رَدْفُهَا طَسَّتْ وَلَكِنْ بَطْنُهَا رَكْزَةٌ خَلِ^(٢)

فانه يصور الوجه مولياً، والشعر مغشى بكحل، وريح الفم كالجيفة اذا أصابها طل فنشر الكراهية، وردفها كالطست، وبطنها كالوعاء فيه خل. فأى رسام تهكم ساخر كان ذلك الشاعر العباسي في اختياره الوان التشبيه المقذعة وصور الجسد المفزعة، يغط ريشته في ميدان الخل بدلاً من الخمر والجيفة في يوم طلّ بدلاً من زقّ خمر في يوم غائم، ولا شك في أن الناس يهربون من هذه النكهة، ويستبشعون هذا الردف، حين يعرف النواصي هذا العرض المضحك الموجه في قوالب تخالها للمديح،

(١) ديوان ابي نواس: ٥٧١.

(٢) ركزة: وعاء الخمر والخل، انظر: ديوان ابي نواس: ٥٧١.

فإذا هي للتشنيع, وهو حين يصف المغنيات يرسمهن كالخنافس خلف العيدان,
وغناؤهن يهيج الزمهرير فيقول^(١):

إِذَا مَا كُنْتُ عِنْدَ قَيَّانِ مُوسَى فَعِنْدَ اللَّهِ فَأَحْتَسِبُ أَلْسُرُورًا
خَنَافِسُ خَلْفَ عِيدَانٍ قَعُودٌ يُطَوِّلُ قَرَبَهَا أَلْيَوْمَ الْقَصِيرَا
إِذَا غَنَيْنَ صَوْتًا كَانَ مَوْتًا وَهَجَنَ بِهِ عَلَيْكَ الزَّمْهَرِيرَا

وابن سكرة الهاشمي, انشد كثيراً في هذا الباب, وقد قال في متحدث يتهكم
به^(٢):

وَإِذَا تَحَدَّثَ أَحَدُنْتُ لِهَوَاتِهِ فَتَرَى الْأَنُوفَ تَلُودُ بِالْأَرْدَانِ
وَتَرَى أَخَادِعَهُ تَعْطُ كَأَرْنبٍ عَكَفَتْ عَلَيْهِ مَنَاسِرُ الْعُقْبَانِ

وربما كانت اكثر الفكاهات الساخرة تأثيراً في النفس, تلك التي يسخر فيها
الشاعر من عيوبه او عيوب مخاطبيه الجسمية أو النفسية, أو من عيوب اهل بيته
وربما تجعله هدفاً للتسلية, فيظهر أمام الناس في مواقف الاحراج والضعف ويدفع
الشاعر الى ذلك اسباب عدة منها سبب نفسي, إذ يسخر الشاعر من نفسه تأثراً من
الذات وقصاصاً لها او وسيلة من وسائل التخفيف عن النفس, فقد تكون سخريته من
نفسه سخرية من المجتمع واحداث الحياة ومن ذلك قول ابي دلالة^(٣):

١) ديوان ابي نواس: ٣٨٣-٣٨٤.

٢) يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر: ١٤/٣.

٣) ابي دلالة: هو زند بن الجون, كوفي أسود مولى بن اسد, وكان ابوه عبداً لرجل منهم
فاعتقه وادرك آخر ايام بني امية ولم يكن له في ايامهم نباهة, نبع في ايام بني العباس,
وانقطع الى ابي العباس وابي جعفر المنصور والمهدي, فكانوا يقدمونه ويصلونه, ويحبون
مجالسته ونوادره وكان فاسد الدين, رديء المذهب مرتكباً للمحارم مضيعاً للفروض
ومجاهراً بذلك, الاغاني للأصفهاني: ١١٥/٩.

هَاتِيكَ وَالِدَتِي عَجُوزٌ هَمَّةٌ مِثْلُ الْبَلْيَةِ دِرْعُهَا فِي الْمَشْجَبِ
مُهْزُولَةٌ اللَّحْيَيْنِ مَنْ بَرَّهَا يَقل أَبْصَرْتُ غَوْلًا أَوْ خِيَالَ الْقُطْرَبِ
مَا إِنْ تَرَكْتُ لَهَا وَلَا لَابِنٍ لَهَا مَا لَا يُؤَمِّلُ غَيْرَ بَكْرٍ أَجْرَبِ^(١)

وأما مطيع بن اياس^(٢) فانه يسخر من والده متناسياً قوة الرابطة لخلاف بينهما فحاول أن يقلل من شأن والده، لذلك جعله أضحوكة بين الناس، وأتى على صورته فمسخها، وشوهها ليجزم انه لم ير أسوأ من خلقته، حيث يقول^(٣):

هَذَا إِيَّاسٌ مُقْيِلًا جَاءَتْ بِهِ إِحْدَى الْهَنَاتِ
هَوَزٌ فَوُه، وَانْقُفُهُ كَلِمَنْ فِي إِحْدَى الصِّفَاتِ
وَكَأَنَّ سَعْفَصَ بَطْنُهُ وَالشَّغَرَ شَيْنٌ قُرَيْشَاتِ
لَمَّا رَأَيْتُكَ آتِيًا أُيَقِّنْتُ أَنَّكَ شَرُّ آتِ

وتجاوز الشعراء كُلَّ ما منطقي، فتشبعوا أوصافهم وتباينت، وخرجوا على المألوف وغيروا حقيقة الجسم، فحاول بعض الشعراء استقصاء ما يمكن استقصاؤه من العيوب والصاقها بالمتهم منه، فأصبح خالياً من أية صفة إيجابية.

١) ديوان ابي دلامة الاسدي: ٣٥.

٢) مطيع بن اياس: هو شاعر من مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية، وليس من فحول الشعراء في تلك ولكنه كان ظريفاً خليعاً، حلو العشرة، مليح النادرة، ماجناً متهماً في دينه بالزندقة ويكنى أبا سلمى، ومولده ومنشؤه الكوفة، وكان ابوه من اهل فلسطين، اقام في الكوفة وتزوج بها فولد له مطيع، انظر الاغاني للأصفهاني: ٩٩/١٢؛ شعراء عباسيون، غوستاف فون: ٣٨.

٣) الاغاني للأصفهاني: ٩٩/١٢؛ شعراء عباسيون، غوستاف فون: ٣٨.

أما أبان بن عبد الحميد اللاحقي^(١) فحينما مرض جاره أرجف أبان بموته، ثم صَحَّ من علته، وخرج فجلس على باب بيته، وكان يكنى أبا الطول، فقال فيه أبان^(٢):

أبا الأطول طَوَّلْتَ	وما ينجيك تطوِّيلُ
بكَّ السِّلُّ ولا واللَّـ	ه ما يبرأ مسلولُ
فَلَا يَغْرُرُكَ مِنْ ظَنِّـ	كَ أَقْوَالُ أَبَاطِيلُ
أَرَى فِيكَ عَلامَاتِـ	وللأسبابِ تأويلُ
هَذَا قَدْ بَرَى جِسْمَـ	كَ وَالْمَسْلُوكُ مَهْزُولُ

ومن سخرية ابي نواس الجسمية قوله^(٣)

قُلْ لَا سَمَاعِيلَ ذِي الْخَا	لِ عَلَى الْخَدِّ السُّبَاعِي
وَلِذِي الْهَامَةِ قَدْ نُصِّـ	تُ عَلَى مِثْلِ الْكُرَاعِ
وَلِذِي الثَّغْرِ الَّذِي يُطـ	بِقُ بِالشَّدَقِ التِّسَاعِي

أما دعبل الخزاعي^(٤) فقد اعتمد على السخرية الداخلية التي تتولد من اختلال الاحوال في النفس، ولقد كان ناجحاً في استثارة التهكم والاستخفاف والتأرجح في سخريته بين اللعنة والنقمة، يقول في ابي نصير^(٥) :

(١) أبان بن عبد الحميد: هو أبان بن لاحق بن عفير، مولى بني رقاش، قال ابو عبيد، بنو رقاش ثلاثة نفر ينسبون الى أمهم، واسمها رقاش، وهم مالك، وزيد، وعامر، بنو شيبان من ذهل بن عكابة بن صعب علي بن بكر من وائل. انظر: الاغاني للأصفهاني: ٧٣/٢٠.

(٢) الاغاني للأصفهاني: ٧٨/٢٠؛ اخبار الشعراء المحدثين من كتاب الاوراق للصولي: ٢٨-٢٩.

(٣) ديوان ابي نواس: ٤٦٤.

(٤) هو دعبل بن علي بن خزاعة، ويكنى أبا علي، عرف بتهكمه من الخلفاء وخاصة المعتصم، انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة: ٨٣٨/٢؛ الاغاني للأصفهاني: ٢٩/١٨.

(٥) ديوان دعبل الخزاعي: ٢١٥-٢١٦.

أبا نصيرٍ تَحَلَّلْ عَنْ مَجَالِسِنَا فإِنَّ فِيكَ لِمَنْ جَارَكَ مُنْتَقَصَا^(١)
أَنْتَ الْحَمَارُ حَرُونَا إِنْ رَفَقْتَ بِهِ وَإِنْ قَصَدْتَ إِلَى مَعْرُوفَةٍ قَمَصَا
إِنِّي هَزَزْتُكَ لَا أَلُوكَ مُجْتَهِداً لَوْ كُنْتُ سَيْفًا وَلَكِنِّي هَزَزْتُ عَصَا

وسخر دعبل في موطن آخر من لون بني طوق واستغرب من اختلاف لونهم
(الاشقر) عن ابيهم (الاسمر) وفي هذا تعرض ساخر وقذف بهم وكأنه يتهمهم في
اصلهم حيث يقول^(٢):

إِنَّ بَنِي طَوَّقٍ لَأَعْجُوبَةٌ تَحَارُّ فِي وَصْفِهِمُ الْفَكْرَةُ
أَبُوهُمْ أَسْمَرٌ فِي لَوْنِهِ وَالْقَوْمُ فِي أَلْوَانِهِمْ شُقْرُهُ
أُظْنُّهُ - حِينَ أَتَى أُمَّهُمْ صَيْرَ فِي نُطْفَتِهِ مَعْرَهُ

ومن الشعراء الذين سخروا في مجلس الخليفة المهدي آدم بن عبد العزيز^(٣).
فقد سخر من سليمان بن المختار وكان ذا لحيه عظيمة واصر حكماً قاسياً على لحيته
فنادى بقصّها أو جرّها أو تحريقها في قوله^(٤):

قَدْ اسْتَوْجَبَ فِي الْحُكْمِ سُلَيْمَانُ بْنُ مُخْتَارٍ
بِمَا طَوَّلَ مِنْ لِحْيِهِ تَهْ جَزاً بِمَنْشَارٍ

١) اسمه الفضل بن عبد الملك وقيل عمر بن عبد الملك شاعر من شعراء البصرة صالح
المذهب مولى لبني جمح، كان يغني في البصرة على جوار له مولدات، ويظهر الخلاعة
والمجون والفسق، وكان أبان اللاحقي يعاشره، ثم انقطع ابو نصير الى البرامكة فأغنوه الى
ان مات. الاغاني للأصفهاني: ٣٣/١٨.

٢) ديوان دعبل الخزاعي: ١٩٣.

٣) ادم: هو عبد العزيز بن عمر بن مروان بن الحكم، كان في اول أيامه خليعاً متهمكاً في
الشراب ثم نسك، ومات على طريق محمودة، الاغاني للأصفهاني: ٥٨/١٤.

٤) الاغاني للأصفهاني: ٦٠/١٤.

أَوِ السِّيفِ أَوِ الْحُلُقِ أَوِ التَّحْرِيقِ بِالنَّارِ
فَقَدْ صَارَ أَشْهَرُ رَ مِنْ رَايَةِ بَيْطَارِ

وقد دفع موقف الشاعر هذا، أصحاب اللحي الطويلة الى الاحتجاج لدى الخليفة ليكف آدم بن عبد العزيز عنهم، فهذا أسيد بن اسيد -وكان وافر اللحية- يقول للخليفة، ينبغي لأمير المؤمنين أن يكف هذا الماجن عن الناس، فلمّا علم آدم بذلك قال فيه^(١)

لِحْيَهُ تَمَّتْ وَطَالَتْ لِأُسَيْدِ بْنِ أُسَيْدِ
يَعْجَبُ النَّازِرُ مِنْهَا مِنْ قَرِيبٍ وَبَعِيدِ
هِيَ إِنْ زَادَتْ قَلِيلًا قَطَعْتَ حَبْلَ الْوَرِيدِ

ومن الشعراء من استغل اللحية ليعبر عن ضيقه بصاحبها، فهذا مروان بن ابي حفصة يبالغ في عرض اللحية، ويجعل المجالس الفسيحة تضج من صاحبها لأن لحيته موزعة في كلّ الاتجاهات، حيث يقول^(٢)

لَقَدْ كَانَتْ مَجَالِسَنَا فَسَاحًا فَضِيقَهَا بِلَحْيَتِهِ رِيَّاحُ
مُبْعَثَرَةُ الْأَسَافِلِ وَالْأَعَالِي لَهَا فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ جَنَاحُ

ومن الابيات المثيرة للسخرية في هذا الباب قول إسحق بن خُلفٍ يصف رجلاً بالعقر وطول اللحية، حيث يقول^(٣):-

مَا سَرَّنِي أَنَّنِي فِي طُولِ دَاوُدَ وَأَنَّنِي عَلَمٌ فِي الْبَاسِ وَالْجُودِ

(١) المصدر نفسه: ٦٠/١٤ .

(٢) عيون الاخبار: ٥٦/٤ .

(٣) الكامل الادب للمبرد: ١٢٨/٢ .

مَا شَيْتُ دَاوُدَ فَأَسْتَضْحَكْتُ مِنْ عَجَبٍ كَأَنِّي وَالِدٌ يَمْشِي بِمَوْلُودٍ
مَا طُولُ دَاوُدَ إِلَّا طُولُ لِحِيَّتِهِ يَظَلُّ دَاوُدُ فِيهَا غَيْرَ مَوْجُودٍ
تُكْنُهُ خُصْلَةٌ مِنْهَا إِذَا نَفَحَتْ رِيحُ الشَّتَاءِ وَجَفَّ الْمَاءُ فِي الْعُودِ
إِنْ هَبَّتِ الرِّيحُ أَذَتْهُ إِلَى عَدَنٍ إِنْ كَانَ مَا لَفَّ مِنْهَا غَيْرَ مَعْقُودِ

لقد حاول الشاعر أن يُغَيِّبُ شخصية متهمه في لحيته، بل جعلها تتحكم في حركته إذ ما هبَّتْ الرِّيحُ، وكان غرض الشاعر على ما يبدو نقد الفئة التي تتظاهر بتمسكها بالدين، وتطلق لحاها، بينما هي في حقيقة الامر تخدع الناس بهذه المظاهر وتضللهم، ولهذا أراد كسفها والتقليل من شأنها.

٣- السخرية والتهكم من الحال:

اهتم الشعراء وخاصة شعراء الكدية بتصوير مشاعر الطبقات الفقيرة البائسة التي لم تخرج اهتماماتها في الحياة عن توفير لقمة العيش، وما يتصل بها من أمور بسيطة، وخير من يمثل هذه الطبقة أبو فرعون الساسي^(١) حيث إن له غير قطعة يصور فيها بؤسه وبؤس أولاده الذين يعيشون حياة صعبة لا يجدون فيها طعاماً أو لباساً، ويعرض حاله بأسلوب ساخر، ويثير في نفس القارئ الضحك والاشفاق معاً، حيث يقول^(٢):

لَيْسَ أَغْلَاقِي لِبَابِي أَنْ لِي فِيهِ مَا أُخْشَى عَلَيْهِ السَّرَقَا
إِنَّمَا أَغْلَقُهُ كَيْ لَا يَرَى سُوءَ حَالِي مَنْ يُمرُّ الطَّرْقَا

١ () هو عدي بن الدباب من تميم، واسمه شويس وكنيته أبو فرعون، احد شعراء الطبقة الفقيرة، طبقات الشعراء لابن المعتز: ٣٧٦.

٢ () المحاسن والمساوي للبيهقي: ٢٧٨.

مَنْزِلُ أَوْطَنِهِ الْفَقْرُ فَلَوْ دَخَلَ السَّارِقُ فِيهِ سُرِقَا

ومن الشعراء الذين صوروا ضيق الحال وقسوتها أيضاً أبو الشمقمق، فيروى أن إحدى إخوته دخل عليه يوماً فرأى سوء حاله، فأراد أن يخفف عنه ما هو فيه فقال له: أبشر أبا الشمقمق، فإنه رُوى في بعض الحديث أن العارين في الدنيا هم الكاسون يوم القيامة، فقال ساخراً: أن كان والله ما تقول حقاً لا كونن بزازاً يوم القيامة، ثم انشأ يقول^(١):

أَنَا فِي حَالٍ تَعَالَى إِلَه	لَهُ رَبِّي أَيِّ حَالٍ
وَلَقَدْ أَهْزَلْتُ حَتَّى	مَحَتِ الشَّمْسُ خَيَالِي
وَلَقَدْ أَفْلَسْتُ حَتَّى	حَلَّ أَكْلِي لِعِيَالِي
مَنْ رَأَى شَيْئاً مُحَالاً	فَأَنَا عَيْنُ الْمُحَالِ
فِي حَرِيمِ اللَّهِ طُوراً	مِنْ نِسَاءٍ وَرِجَالِ
لَوْ أَرَى فِي النَّاسِ حُرّاً	لَمْ أَكُنْ فِي ذَا الْمَثَالِ

وله اشعار كثيرة يصور فقره واقلاله وانه لا يقتني حتى ما يكسو به السرير الذي ينام عليه، ولا يملك من المتاع الا حصيرة وبعض الاشياء البسيطة، ومنها قوله^(٢):

لَوْ قَدْ رَأَيْتَ سَرِيرِي كُنْتَ تَرْحَمْنِي	اللَّهُ يَعْلَمُ مَا لِي فِيهِ تَلْبِيسَ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا لِي فِيهِ شَائِبَةٌ	الْأُحْصِيرَةُ وَالْأَطْمَارُ الدَّيْسَ

١) شعراء عباسيون غوستاف فون: ١٤٦، كتاب العقد الفريد: ٢١٥/٦.

٢) المصدر نفسه: ١٤١؛ كتاب العقد الفريد: ٢١٥/٦ - ٢١٦.

ويشكو في موطنٍ آخر افتقاره لدابه يركبها، ويقارن حاله بحال غيره، فغيره عند الرحيل يقرب اليه دابته، في حين يقرب اليه نعله، ويبدو إن هذا المطلب من الاماني الصعبة عند هذه الفئة من المجتمع، فيقول^(١):

أَتَرَانِي أَرَى مِنَ الدَّهْرِ يَوْمًا لِي فِيهِ مَطِيَّةٌ غَيْرُ رَجُلِي
كُلَّمَا كُنْتُ فِي جَمِيعٍ فَقَالُوا قَرَّبُوا لِلرَّحِيلِ قَرَّبْتُ نَعْلِي
حَيْثُمَا كُنْتُ لَا أَخْلَفُ رَحْلاً مَنْ رَأَنِي فَقَدْ رَأَنِي وَرَحْلِي

ويشكو أبو الشمقمق الله عز وجل على سوء حاله راجياً من عنده، فيقول^(٢):

الْحَمْدُ لِلَّهِ شُكْرًا أَمْشِي وَيَرْكَبُ غَيْرِي
قَدْ كُنْتُ أَمْلُ طَرْفًا فَصِرْتُ أَرْضَى بَعِير
لَمْ تُرَضْ نَفْسِي بِهَذَا يَا رَبِّ مِنْكَ لَخَيْر

ويقف مراراً ليصور سوء حظه، وحاله العدم التي تلازمه، فكان الارزاق تهرب من امامه، حتى ليجف البحر الذي يخوضه، ويصبح الماء العذب ملحاً لا يسوغ شراباً، وهذه المعاني تدلُّ على حاله نفسيه بانسة حيث يقول^(٣):

لَوْ رَكِبْتُ الْبَحَارَ صَارَتْ فَجَاجًا لَا نَرَى فِي مُتُونِهَا أُمُوجًا
وَلَوْ أَنِّي وَضَعْتُ يَاقُوتَةً حَمًّا رَاءَ فِي رَاحَتِي لَصَارَتْ زُجَاجًا
وَلَوْ أَنِّي وَرَدْتُ عَذْبًا فُرَاتًا عَادَ لَا شَكَّ فِيهِ مُلْحًا أَجَاجًا

١) شعراء عباسيون، غوستاف فون: ١٤٥؛ المحاسن والمساوي للبيهقي: ٢٧٨؛ كتاب العقد الفريد: ٢١٥/٦.

٢) طبقات الشعراء لابن المعتز: ١٢٨؛ شعراء عباسيون، غوستاف فون: ١٣٦؛ كتاب العقد الفريد: ٢١٧/٦.

٣) كتاب العقد الفريد: ٢١٦/٦؛ شعراء عباسيون، غوستاف فون: ١٣٢.

ففي حين لا يملك أبو الشمقمق شيئاً يملك غيره العبيد والقهر مان، وهو إذ يصور حال عياله، انما يصور حال الطبقة العامة في بغداد التي كانت تكدح لتملاً الطبقة المترفة بطونها، حيث يقول^(١):

مَا جَمَعَ النَّاسُ لِدُنْيَاهُمْ	أُنْفَعُ فِي الْبَيْتِ مِنَ الْخُبْزِ
وَالْخُبْزُ بِاللَّحْمِ إِذْ نَلْتَهُ	فَأَنْتَ فِي أَمْنٍ مِنَ التَّرَزِ
وَقَدْ دَنَا الْفَطْرُ وَصَبِيَانُنَا	لَيْسُوا بِذِي تَمَرٍ وَلَا أَرْزِ
كَانَتْ لَهُمْ عَنَزٌ فَأُودِيَ بِهَا	وَأَجْدَبُوا مِنْ لَبَنِ الْعَنَزِ
فَلَوْ رَأَوْا خُبْزاً عَلَى شَاهِقٍ	لَأَسْرَعُوا لِلْخُبْزِ بِالْجَمَزِ
وَلَوْ أَطَاقُوا الْقَفْزَ مَا فَاتَهُمْ	وَكَيْفَ لِلْجَائِعِ بِالْقَفْزِ

ويبالغ أبو الشمقمق في التعبير عن سوء معيشته، فيجعل شراب اولاده بول الحمير، وهذه من المبالغات المؤذية، حيث يقول^(٢):

إِنَّ الْعِيَالَ تَرَكَتْهُمْ	بِالْمَصْرِ خُبْزُهُمُ الْعَصَارَه
وَشِرَائِبُهُمْ بَوْلُ الْحِمَا	رِ مِزَاجُهُ بَوْلُ الْحِمَارَه
ضَجُّوا فَقُلْتُ تَصَبَّرُوا	فَالنَّجْحُ يُقَرَّنُ بِالصَّبَارَه

ويكثر حديثه عن البراغيث ولدغها، وهذا مظهر من مظاهر معاناته، ومما قاله في ذلك^(٣)

يَا طُولَ يَوْمِي وَطُولَ لَيْلَتِي
فَلْيَهْنِ بُرْغُوثُهُ بِجَذَلَتِي

١ () طبقات الشعراء لابن المعتز: ١٢٧-١٢٨؛ المصدر نفسه: ١٤٠.

٢ () المصدر نفسه: ١٢٧؛ شعراء عباسيون، غوستاف فون: ١٤٠.

٣ () شعراء عباسيون، غوستاف فون: ١٣٢.

قَدْ عَقَدْتُ بِنْدَهَا عَلَى جَسَدِي وَاجْتَهَدْتُ فِي اقْتِسَامِ جُمْلَتِهِ

ويصفُ الجرذان التي تعيش في بيته باحثة عن طعام، فتهيم على وجهها، بعد أن تئأس منه ومن طعامه، لتبحث عن غذائها في مكان آخر، ولا يبقى معه سوى السنور أو الهر، فيرتد إلى نفسه حزناً باكياً عندما لا يجد الفأر الذي اعتاد صيده، حيث يقول^(١):

وَلَقَدْ قُلْتُ حِينَ أَحْجَرَنِي الْبَرُّ دُ كَمَا تَحْجِرُ الْكَلَابُ ثُعَالَهُ
فِي مَبِيتٍ مِنَ الْغَضَارَةِ قَفَرٍ لَيْسَ فِيهِ إِلَّا النَّوَى وَالنُّخَالَهُ
عَطَّلَتْهُ الْجُرْدَانُ مِنْ قَلَّةِ الْخَبْرِ رِ وَطَارَ الدُّبَابُ نَحْوَ زُبَالِهِ

٤- السخرية من الزوجات والازواج والبنات والمغنين والمغنيات والخدم:

من الغريب أن نجد بعض الشعراء من لاحق زوجته بسخريته واستهزائه وصورها بأقبح ما عنده، وقد انحسر هذا اللون عند قله من الشعراء، كان كبيرهم أبا دلالة الذي عُرف بمواقفه المبتذلة التي دفعته للسخرية من نفسه ومن أمه وأولاده وزوجته، رغبة في إرضاء الخليفة أو طمعاً في عطائه أو عطاء زوجته، فهذا هو ذا يأتي بصورة مشوهة الملامح رسمها لام عياله، وارسلها إلى زوجة الخليفة، وأخذ ثمنها مبلغاً من المال.

وقد سعى أبو دلالة لاستكمال صورته القبيحة إلى رسمها لزوجته فأتى على علاقتها بأولادها وعبر في عواطفها تجاههم، فجعلها قاسية في تعاملها معهم،

(١) الحيوان للجاحظ: ٥: ٢٦٦-٢٦٧؛ شعراء عباسيون، غوستاف فون: ١٤٩.

وتنزعهم حقهم من الحنان وتأكل نصيبهم ونصيب زوجها من الطعام، وهذا يضاف الى قبح هيئتها اما ابو دلامة فقد هجا زوجته حيث يقول^(١):

لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا مِنْ مُنْبَهَةٍ هَبَّتْ تَلَوْمٌ عِيَالِي بَعْدَمَا هَجَعُوا
وَنَحْنُ مُشْتَبَهُو الْأَلْوَانِ أَوْجُهَنَا سُودٌ قِبَاحٌ وَفِي أَسْمَانِنَا شَنَعٌ
أَذَابَكَ الْجُوعُ مَذْ صَارَتْ عِيَالَتُنَا عَلَى الْخَلِيفَةِ مِنْهُ الرَّيُّ وَالشَّبَعُ
لَا وَالَّذِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَضَى لَكَ الْخِلَافَةَ فِي أَسْبَابِهَا الرِّفْعُ
مَا زِلْتُ أَخْلِصُهَا كَسْبِي فَتَأْكُلُهُ دُونِي وَدُونَ عِيَالِي ثُمَّ تَضْطَجِعُ

وفي مقابل السخرية من الزوجات، وجد من الشعراء من يهزأ من الأزواج ويعمد إلى تشويه صورهم ويدعو إلى إقصائهم ومن ذلك دعوة أبان اللاحقي امرأة من خلال قصيدة ساخرة إلى الهرب من بيت زوجها، بعد أن فتح صورة زوجها في عينيها ورسم لها خطه للفرار، نفذتها، وهربت من بيتها ليلة زفافها، وروى أبو الفرج الأصفهاني انه كان في جوار أبان اللاحقي رجل يقال له محمد بن خالد أراد الزواج بامرأة موسرة تدعى عمارة بنت عبد الوهاب، وكانت كثيرة المال، فقال أبان يسخرُ منه ويحذرُها منه^(٢)

لَمَّا رَأَيْتُ الْبَرْ وَالشَّارَةَ وَالْفُرْشَ قَدْ ضَاقَتْ بِهِ الْحَارَةُ
وَاللُّوزَ وَالسَّكْرَ يُرْمَى بِهِ مِنْ فَوْقَ ذِي الدَّارِ وَذِي الدَّارَةِ

فقد صاغ أبان سخريته في شكل قصه ومهد لها بالحديث عن مظاهر الزفاف، وبالغ في عرضها، فقد غصت الحارة بأنواع الفراش ووزع الحلو ابتهاجاً، واحضر

١ () ديوان ابي دلامة الاسدي: ٧٩.

٢ () الاغاني للأصفهاني: ٧٧/٢٠.

المغنون كل هذه المظاهر دفعته للسؤال عما يجري، وهنا يبدأ الشاعر سخريته، فيعرض إجابة ساخرة على لسان من حضر، فقد نظروا الى زواج محمد بن خالد من هذه المرأة بغرابة ودهشة، إذ لا اتفاق أو تكافؤ بين العروسين، اما العريس فليس فيه ما يجذب عمارة إليه، فهو أسود سخييف يشبه محرك النار الساخن واسرته فقيره معدمة، وأما عمارة الجميلة غنيه، لهذا حذر أبان العروس قبل أن تقع في المصيدة، ورأى أن هذا الرجل يطمع في اموالها فعارض بتهكمه حصول الزواج، فلما سمعت عمارة بشعره هذا هربت منه.

وقد شاع هذا اللون من السخرية في العصر العباسي، ووقف بعض الشعراء مدافعين عن القيم الفنية المتمثلة في الغناء، فجعلوا من انفسهم نقاداً يصدرن الاحكام قام بعضها على التعليل وكان بعضها انطباعياً قائماً على حاستي الذوق والسمع، واستغل بعض الشعراء ثقافتهم ومعارفهم في صورهم.

فهذا ابي نواس يرى في المغني (حسين)، أن غناؤه يصيب السامع بالغثيان ليروده صاحبه فيقول^(١):

قَدْ نَضِجْنَا وَنَحْنُ فِي الْخَيْشِ طَرًّا أَنْضَجْتَنَا كَوَاكِبُ الْجَوَزَاءِ^(٢)
فَأَصِيبُوا لَنَا حُسَيْنًا فَفِيهِ عَوْضٌ مِنْ جَلِيدٍ بَرْدِ الشِّتَاءِ
لَوْ تَغْنَى وَفُوهُ مَلَأَن جَمْرًا لَمْ يَضُرَّهُ لِبَرْدِ ذَاكَ الْغَنَاءِ

ويفهم من ابيات ابي نواس أنه ينقد الغناء الذي يخلو من الحركة والصخب ويوجه صاحبه إلى الاعتناء بتفاعل المستمعين معه.

(١) ديوان ابي نواس: ٧١.

(٢) الخيش: (هنا) مروحة من نسيج كشرع السفينة كانت تعلق آنذاك في سق البيت وهي مبلولة بالماء ويعمل لها حبل تجذب به فيهب منها نسيم عليل يبدد أذى الحر، الجوزاء: من الابراج، انظر: ديوان ابي نواس: ٧١.

وأمّا سخريته من المغنية (قصريه) فانصبت على اخلاقها, إذ اتهمها بالغدر والتفنن بالكذب والخداع, واللعب بقلوب العاشقين ومنهم ابي نواس الذي هجرها بعد أن اكتشف كذبها وخداعها, فيقول^(١):

قُولَا لِمَنْ يَعْشَقُ قَصْرِيَّةً	يَسْتَفْ حُرْقًا قَبْلَ إِفْلَاسِهِ
فَقَدْ ثَوَى فِي كَفِّ سَدَّاجَةٍ	مُسْرَعَةً فِي قَلْعِ أَضْرَاسِهِ
تَوَاصَلَ الْعَاشِقُ حَتَّى إِذَا	مَا أَخَذَ الْفَقْرُ بِأَنْفَاسِهِ
دَلَّتْ بَعْدُ، وَقُرُونُ الْفَتَى	تَهْتَزُّ بِالْكَشْحِ عَلَى رَاسِهِ

وفي موقع آخر، يتوجه ابي نواس بالتهكم الى جارية اخرى، فيصف ملامحها وقبح منظرها, وسوء تصرفها, وفمها الاسود كأنه مغطى بالكسل وردفها الذي يشبه الطست, وبطنها الذي يشبه وعاء الخمر الكبير فيقول^(٢):

أَكْثَرِي أَوْ فَأَقْلَى	قَدْ مَلَأْنَاكَ فَمَلَى
مَا إِلَيَّ حُبُّكَ عَوْدٌ	مَا دَعَا اللَّهَ مُصَلِّي
قَدْ وَهَبْنَاكَ لَعْمَرِي	وَتَصَدَّقْنَا بِجَمَلِ
لَمْ يَكُنْ مِثْلُكَ - لَوْ لَا	سَفَهُ الرَّأْيِ - هَوَى لِي
أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْهَا!	أَسْمَعَ اللَّفْظَ الْمُحَلِّي
شَخْصُهَا شَخْصٌ قَبِيحٌ	وَلَهَا وَجْهٌ مُؤَلِّي

ثم يسخر من قيان النخاس موسى بن جنيد في قوله^(٣):

١ () ديوان ابي نواس: ٤٣٨.

٢ () المصدر نفسه: ٥٧٠ - ٥٧١.

٣ () المصدر نفسه: ٣٨٣ - ٣٨٤.

إِذَا مَا كُنْتَ عِنْدَ مُوسَى فَعِنْدَ اللَّهِ فَاحْتَسِبِ السَّرُورَا
خَنَافِسَ خَلْفَ عِيدَانِ قُعُودٍ يُطَوِّلُ قُرْبُهَا الْيَوْمَ الْقَصِيرَا
إِذَا غَنَيْنَ صَوْتًا كَانَ مَوْتًا وَهَجُنَ بِهِ عَلَيْكَ الرَّمْهَرِيرَا

واستهزأ دعبل بقينة ابن زيات فجعل قبحها يفوق قبح الشيطان, وبالع في وصف سوادها الى حد يتحول فيه الصباح عند ظهورها الى ظلمة الليل, كناية عن الهم والغم الذين تثيرهما, حيث يقول^(١):

إِنَّ ابْنَ زِيَّاتٍ لَهُ قَيْنَةٌ أُوبِتَ عَلَى الشَّيْطَانِ فِي الْقُبْحِ
سَوْدَاءُ شَوْهَاءَ لَهَا شَعْرَةٌ كَانَتْهَا عُلٌّ عَلَى مِسْحِ
فَلَوْ بَدَتْ حَاسِرَةً فِي الضُّحَى لَا سَوْدَ مِنْهَا فَلَقُ الصَّبْحِ

وقد يتولى هذا النوع من التهكم والسخرية تأثيراً عميقاً في نفسية المغنية, فيدفعها الى ترك الغناء, واعتزال الناس, ويؤكد هذا ما جرى في مجالس شراب بين الشاعر الحسين بن الضحاك^(٢), واحدى المغنيات, إذ يروى عن صاحب له انه قال في جاريه له وسخر منها^(٣):

لَهَا فِي وَجْهَهَا عَكْنٌ وَثَلَاثَا وَجْهَهَا ذَقْنٌ
وَأَسْنَانُ كَرِيشِ الْبَبِ طَبَّيْنِ أَصُولَهَا عَفْنٌ

١ () ديوان دعبل الخزاعي: ١٦٤.

٢ () الحسين بن الضحاك، انه باهلي بصري المولد والنشأ من شعراء الدولة العباسية واحد ندماء الخلفاء، ويقال انه اول من جالس منهم محمد الامين، الاغاني للأصفهاني: ١٦٥/٦.

٣ () الاغاني للأصفهاني: ٦ : ٢٠٤.

وهكذا وجدنا قدرات واضحة في السخرية والتهكم في العصر الأموي والعصر العباسي الأول من بعده، ويلاحظ من خلال هذه الأشعار حقيقة التطور في هذا الموضوع الذي أصبح من أهم المواضع التي تتجسد فيها الصور الفنية الجديدة ذات الملامح الحضارية التي أثرت هذا الموضوع خاصة.

المبحث الثاني

التهمك والسخرية في النثر
العربي وفنون الكتابة في
القرنين الاول والثاني
الهجريين

التهكم والسخرية في النثر العربي وفنون الكتابة في القرنين الأول والثاني الهجريين

أولاً: التهكم والسخرية في الخطابة العربية:

الخطابة اصطلاحاً:

فهو فن الكلام الذي يلقيه الخطيب في جمعٍ من الناس بُغية التأثير فيهم، وإقناعهم، واستمالتهم من خلال مخاطبة مشاعرهم في الغالب، ولقد عنى العرب بالخطابة عناية شديدة، ويتجلى لنا هذا من خلال كتاب "البيان والتبيين" الذي ألفه الجاحظ (ت ٢٥٥هـ).

ويُعَدُّ هذا الكتاب أهم المصادر التي تتحدث عن البيان في الخطابة لدى العرب، واسهم في تحديد معالمها، وعَدَّد أسماء أشهر الخطباء والبلغاء، وذكر أنسابهم^(١)، كما أثبتَ نصوصاً كثيرة من خطبهم على اختلاف مذاهبهم السياسية والفكرية والدينية.

(نماذج من الخطب)

١) من الخطابة الراشدية: (خطبة الامام علي بن ابي طالب {عليه السلام} في اهل العراق)^(٢):

قام فيهم خطيباً فقال: (أَيُّهَا النَّاسُ، الْمُجْتَمَعَةُ أَبْدَانِهِمْ، الْمُخْتَلَفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ، كَلَامُهُمْ يُؤْهِى الصُّمَّ الصِّلَابَ، وَفِعْلُهُمْ يُطْمِعُ فِيكُمْ عَدُوَّكُمْ تَقُولُونَ فِي الْمَجَالِسِ كَيْتَ وَكَيْتَ،

١) انظر: البيان والتبيين للجاحظ: ١٦٢/١ .

٢) البيان والتبيين: ٥٥/٢-٥٦؛ كتاب العقد الفريد: ٧١/٤.

فاذا جاء القتال فُلْتُمْ [حيدي]^(١) ما عَزَّتْ دَعْوَةُ مَنْ دَعَاكُمْ، وَلَا أَسْتَرَاخَ قَلْبُ مَنْ قَاسَاكُمْ، أَعَالِيلُ بِأَضَالِيلِ وَسَلْتُمُونِي التَّأْخِيرَ دِفَاعَ ذِي الدَّيْنِ الْمَطُولِ^(٢)، هِيَهَاتَ لَا يَمْنَعُ الضَّيْمُ الدَّلِيلُ، وَلَا يُدْرِكُ الْحَقُّ إِلَّا بِالْجِدِّ، أَيُّ دَارٍ بَعْدَ دَارِكُمْ تَمْنَعُونَ؟

أم مع أَيِّ إِمَامٍ بَعْدِي تُقَاتِلُونَ؟ الْمَغْرُورُ وَاللَّهُ مِنْ غَرَّرَ تَمُوه، وَمَنْ فَازَ بِكُمْ فَازَ بِالسَّهْمِ الْإِخْيَابِ، أَصَبَحْتُ وَاللَّهُ لَا أَصَدِّقُ قَوْلَكُمْ وَلَا أَطْمَعُ فِي نُصْرَتِكُمْ، فَرَّقَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَاعْقَبَنِي بِكُمْ مَنْ هُوَ خَيْرٌ لِي مِنْكُمْ، لَوِدِدْتُ وَاللَّهُ أَنَّ لِي بِكُلِّ عَشْرَةٍ مِنْكُمْ رَجُلًا مِنْ بَنِي فِرَاسٍ بِنِ غَنَمٍ، صَرَفَ الدِّينَارَ بِالْدِّرْهَمِ.

تحليل خطبة الخليفة (علي بن ابي طالب) {عليه السلام}

إن الخليفة (علي بن ابي طالب) {عليه السلام} في خطبته هذه قد تهكم وسخر من اصحابه اهل العراق، وذلك لانهم قد تخاذلوا في نصرة صاحب الحق، فلم يقاتلوا اعداءهم الشاميين بقيادة معاوية بن أبي سفيان فاستطاع العدو ان ينال منهم وذلك لتفريق الكلمة فيما بينهم، فَصَوَّرَ الامام هذا التهكم والسخرية احسن تصوير حين يخاطبهم قائلاً لهم: (إِيَّهَا النَّاسُ الْمُجْتَمِعَةُ اِبْدَأْتُمْ، الْمُخْتَلِفَةُ اِهْوَأْتُمْ)^(٣) فهو في هذه العبارات يبين مدى شعوره بالإحساس والمرارة والألم لهذا التخاذل والتقاعس عن قتال الاعداء، ثم انه يصفهم بانهم عبارة عن مجموعة من الابدان المجتمعة، الجامدة التي لا تستطيع ان تفكر في رد الاعداء، ويسخر من هؤلاء القوم لانهم يسيرون في اهواء شتى، ثم اخذ في خطبته هذه واصفاً اياهم بالجبن عن مواجهة الاعداء ونصرة الحق قائلاً: (كَلَامُكُمْ يُوهِي الصَّمَّ الصَّلَابَ وَفَعْلُكُمْ يُطْمِعُ فَيْكُمُ عَدُوَّكُمْ ... ثم يقول ما

١ () حيدي: ميلي كلمة يقولها الهارب الفار. المطول: التسويف والمدافعة بالوعد، انظر: البيان والتبيين: ٥٦-٥٥/٢.

٢ () المطول: التسويف والمراوغة في الوعد ، انظر: المصدر نفسه: ٥٦-٥٥/٢.

٣ () البيان والتبيين: ٥٦-٥٥/٢؛ كتاب العقد الفريد: ٧١/٤.

عَزَّتْ دَعْوَةٌ مِّنْ دَعَاكُمُ^(١)، فيصفهم بالإبطاء عن نصره الداعي إذا دعاهم، لان الحق لا يرد الا بالسيوف والسواعد القوية.

ثم اخذ يسخر منهم قائلاً: (سَأَلْتُمُونِي التَّأْخِيرَ دِفَاعَ ذِي الدِّينِ الْمَطُولِ، هِيَهَات! لَا يُدْفَعُ الضَّيِّمُ الدَّلِيلُ، وَلَا يُدْرَكَ الْحَقُّ إِلَّا بِالْجِدِّ)^(٢) فهو يصفهم بالمماطلة والتسويق في القتال للهروب من الحرب، وهذه صفة من صفات الازلاء الذين لم يتمكنوا من أن يعيدوا الحق الى اصحابه، بينما العدو يغير عليهم في كل يوم، حيث نلاحظ ان الخليفة كان يائساً عن نصرتهم ساخراً منهم قائلاً: (اصبَحْتُ وَاللَّهِ لَا أَصَدِّقُ قَوْلَكُمْ، وَلَا أَطْمَعُ فِي نُصْرَتِكُمْ، فَارَّقَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَأُعَقِّبَنِي بِكُمْ خَيْرًا)^(٣) حيث ان الامام قال لهم انه لا يطمع في نصرهم لانهم اذلاء عن نصره صاحب الحق، وتمنى على الله ان يفرق ما بينه وبينهم، وان يعوضه الله بقوم من غيرهم أشداء على نصره المظلوم.

٢) نموذج من الخطابة في العصر الاموي (خطب التهكم والسخرية)

خطبة زياد بن أبيه البتراء:

قال أبو الحسن المدائني: قَدِمَ زِيَادٌ وَالِيًّا لِمَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ عَلَى خُرَّسَانَ وَالبَصْرَةِ، فَخَطَبَ خُطْبَةً بَتْرَاءَ لَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ فِيهَا وَلَمْ يَصِلْ عَلَى النَّبِيِّ وَقَالَ غَيْرُهُ بَلْ قَالَ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى أَفْضَالِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَنَسْأَلُهُ الْمَزِيدَ مِنْ نِعَمِهِ وَإِكْرَامِهِ، اللَّهُمَّ كَمَا زِدْتَنَا نِعَمًا فَأَلْهِمْنَا شُكْرًا، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ الْجَهْلَةَ الْجُهْلَاءَ، وَالضَّلَالَةَ الْعَمِيَاءَ، وَالْغِي الْمَوْفِي بِأَهْلِهِ عَلَى النَّارِ، مَا فِيهِ سُفْهَاؤُكُمْ، وَيَشْتَمَلُ عَلَيْهِ خُلَمَاؤُكُمْ، مِنَ الْأُمُورِ الْعِظَامِ يَنْبِثُ فِيهَا الصَّغِيرَ، وَلَا يَنْحَاشُ عَنْهَا الْكَبِيرَ، كَأَنْكُمْ لَمْ تَقْرَأُوا كِتَابَ اللَّهِ، وَلَمْ تَسْمَعُوا مَا أَعَدَّ اللَّهُ مِنَ الثَّوَابِ الْكَرِيمِ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ، وَالْعَذَابِ الْأَلِيمِ لِأَهْلِ مَعْصِيَتِهِ، فِي الزَّمَنِ السَّرْمَدِيِّ الَّذِي لَا يَزُولُ؟ أَتَكُونُونَ كَمَنْ طَرَفَتْ عَيْنُهُ الدُّنْيَا، وَسَدَّتْ مَسَامِعُهُ الشَّهَوَاتِ،

١) البيان والتبيين: ٥٥/٢-٥٦؛ كتاب العقد الفريد: ٧١/٤.

٢) المصدر نفسه: ٥٥/٢-٥٦؛ المصدر نفسه: ٧١/٤.

٣) المصدر نفسه: ٥٥/٢-٥٦؛ المصدر نفسه: ٧١/٤.

وأختار الفانية على الباقية... قرَّبتكم القرابه وباعدتم الدين تعتذرون بغير العذر، وتغضون على المختلس، كل امرئ منكم يذب عن سفيه... ما انتم بالحلماء، وقد اتبعتم السفهاء وإياي ودعوى الجاهلية، فأني لا أجدُ أحداً دعا بها إلا قُطِعَتْ لسانه وقد أحدثتم أحداثاً لم تكن، وقد أحدثنا لكل ذنب عُقُوبَةً فمن غَرَّقَ قوماً غَرَّقناه، ومن أحرق قوماً أحرقناه، ومن نقب بيتاً نقبنا عن قلبه ومن نبش قبراً دفناه فيه حياً، فكفوا عني ألسنتكم وأيديكم، اكفُ عنكم لِسائِي وَيَدِي... فَرُبَّ مَبْتَلِيسٍ بِقُدُومِنَا سَيُسِرُّ، ومسرور بقُدُومِنَا سَيَبْتَلِسُ^(١).

التحليل:

إن ابن زياد أصبح والياً لأخيه معاوية بن أبي سفيان بعد أن ألحقه بنسبه، ولقد عُرف هذا الوالي بالحزم والشدة على السفهاء والمارقين الذين كانوا يتلاعبون بمقدرات العباد ساخراً من أولئك واصفاً إياهم بالجهالة والضلالة، عن طريق الإسلام متهمكاً منبهاً لهم بان السير في طريق الضلالة سيؤدي بهم إلى النار وقد تمثل ذلك في قوله عندما يخاطبهم قائلاً (أمّا بعد، فان الجهالة الجهلاء، والضلالة العمياء، والعمى الموفي بأهله على النار)^(٢).

ثم انه اخذ يخاطب الناس مبيناً لهم إنّ هؤلاء السفهاء ساروا في الطريق غير المستقيم وكأنهم لم يقرءوا كتاب الله، ولم يسمعوا ما أعد لهم متهمكاً منهم ساخراً، لأنهم سوف يعذبون في الدنيا أولاً وفي الآخرة ثانياً وقد تمثل ذلك في قوله: (كأنكم لم تقرأوا كتاب الله، ولم تسمعوا ما أعده الله من ثواب... والعذاب العظيم لأهل معصيته)^(٣).

١ () البيان والتبيين : ٦١/٢-٦٣؛ كتاب العقد الفريد: ١١٠/٤-١١٢.

٢ () المصدر نفسه: ٦١/٢-٦٣؛ المصدر نفسه: ١١٠/٤-١١٢.

٣ () المصدر نفسه: ٦١/٢-٦٣؛ المصدر نفسه: ١١٠/٤-١١٢.

ثم أن ابن زياداً، ذهب محذراً أصحاب الشهوات الذين اختاروا الدنيا الفانية على الآخرة الباقية ساخراً متهمكاً من أولئك أهل المعصية مخاطباً إياهم قائلاً: (ما أنتم بالحكماء وَلَقَدْ أَتَبَعْتُمُ السُّفَهَاءَ)^(١).

ثم انه تهكم ساخراً من أولئك الذين اتخذوا من صلة القرابة في التعامل مع الناس مقياساً وعضوا أعينهم عن المختلس، كأن كل فرد أخذ ينطلق من المصلحة الشخصية التي فضلها على المبادئ الإسلامية في المساواة ومعاقبة السفهاء الذين لا يرجون يوم المعاد وقد تمثل ذلك في قوله: (تكونون كمن طَرَفَتْ عَيْنِيهِ الدُّنْيَا وَسَدَتْ مَسَامِعُهُ الشَّهَوَاتِ، واختار الفانية على الباقية.... قربتم القرابة وباعدتم الدِّينَ تعتذرون بغير العذر، وتغضون على المختلس)^(٢).

ثم خاطبهم ساخراً محذراً لهم من إتباع دعوى الجاهلية، التي بين أن حكمها في الإسلام قطع اللسان، وان من اتبع طريقه أدت إلى تمزيق وحدة المسلمين وأغرقهم أو أحرقهم فان من حق الحاكم بأمر الإسلام الحفاظ على الأمة يقطع لسان الذي كان سبباً في تلك الواقعة التي قد تؤدي إلى تفريق أمر الأمة وقد قال في ذلك (وإياي ودعوى الجاهلية، فأني لا أجِدُ أحداً دعا بها إلا قَطَعْتُ لِسَانَهُ... وقد حدثنا لكل ذنب عقوبة، فمن غَرَّقَ قومًا غَرَّقْنَاهُ، وَمَنْ أَحْرَقَ قومًا أَحْرَقْنَاهُ، ومن نقب بيتاً نقبنا عن قلبه، ومن نبش قبراً دفناه فيه حياً)^(٣).

خطبة الحجاج حين قِيمَ اميراً على العراق^(٤)

خرج الحجاج يريدُ العراق والياً عليها، في اثني عشر راكباً على النجائب، حتى دخل الكوفة فجأةً، فبدأ الحجاج بالمسجد فَدَخَلَهُ، ثم صعد المنبر وهو مُتَلَثِّمٌ بعمامةٍ

١) البيان والتبيين : ٦١/٢-٦٣؛ كتاب العقد الفريد: ١١٠/٤-١١٢.

٢) المصدر نفسه : ٦١/٢-٦٣؛ المصدر نفسه: ١١٠/٤-١١٢.

٣) المصدر نفسه : ٦١/٢-٦٣؛ المصدر نفسه: ١١٠/٤-١١٢.

٤) المصدر نفسه: ٣٠٧/٢؛ الخطبة في الكامل في الادب للمبرد ٣٨٠/١؛ وكتاب العقد الفريد: ١١٩/٤.

خزٍ حمراء فقال: عليّ بالناس! فحسبوه وأصحابه خوارج فهموا به، حتى إذا اجتمع الناس في المسجد قام فكشف عن وجهه، ثم قال^(١):

أنا ابن جَلَا وطلّاعُ النَّايَا متى أضع العمامة تعرّفوني

أما والله إنني لأحتملُ الشرَّ بحملي، وأحدؤه بنعلي، واجزيه بمثلي، وإنني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها، وإنني لصاحبها، وإنني لأنظرُ إلى الدماء تفرق بين العمائم واللحى.

ثم قال:

هذا أوانُ الشّدِّ فأشتدّي زيم قدّ لقاها الليلُ سواقٍ خُطم
ليس براعي إبلٍ ولا غنم ولا بجزارٍ على ظهرٍ وضم

أنّي والله يا أهلَ العراق، والشّقاق والنّفاق، ومساوى الاخلاق، ما أغمرَ تغمارَ الثّين، ولا يققع لي بالشّنان^(٢)، ولقد فُررت عن ذكاء^(٣)، ولقد فُتشت عن تجربة، وجريت من الغاية، إنّ أميرَ المؤمنين كبّ كِنانته تم عجمَ عيدانها فوجدني أمرّها عوداً، وأصلبها عموداً، فوجّهني إليكم، فإنكم طالما أوضعتم في الفتن، واضطجعتُم في مراقِد الضّلال، وسننتم سننَ الغيِّ، أما والله لالحوّنكم لحو العَصا، ولا عصبنكم عصب السّلمة، ولا ضربنكم ضربَ غرائب الابل، فإنكم لكاهل قرية أمنة مطمئنة يأتها رزقها رغداً من كلّ مكانٍ فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباسَ الجوع والخوف بما كانوا يصنعون، إنني والله لا أعدّ إلا وفيت، إلا أنهم إلا أمضيت، ولا أخلق إلا فريت، فيايي وهذه الجماعات، وقال وقيل، وما تقولون، وفيم أنتم وذاك؟

١) من قصيدة السحيم بن وثيل الرياحي، انظر: البيان والتبيين: ٣٠٨/٢ .

٢) الشنان: جمع شن بالفتح وهو القربة البالية، وكان يحركونها إذا استحثوا الابل للسير، انظر: المصدر نفسه: ٣٠٩/٢ .

٣) الذكاء: نهاية الشباب ، انظر: المصدر نفسه: ٣٠٩/٢ .

أما والله لَنَسْتَقِمَّنَّ على طريق الحقِّ أو لا دَعَنَّ لكلِّ رجلٍ مِنْكُمْ شُغْلاً في جَسَدِهِ.

تحليل خطبة الحجاج حين قدم اميراً على العراق

إن قولَ الحجاج: (أنا ابنُ جَلٍّ وَطَلَّاعُ الثَّنايا) هذا القول لسحيم بن وثيل الرياحي وإنما قال الحجاج متمثلاً، وقوله: (وطلاع الثَّنايا) الثنايا: جمع ثَنِيَّةٍ، والثَّنيَّةُ: الطريق في الجبل، والطريق في الرمل، وإنما أراد به أنه جَلْدٌ يَطْلُعُ الثَّنايا في ارتفاعها وصُعوبتها، وقوله: (إني لأرى رؤوساً قدَّ ائْبَعَتْ)، يريد: ادركت، يقال ائْبَعْتُ الثمرة ائْبَاعاً، وقوله: (قدَّ لَفَّهَا الليلُ بسَوَّاقِ حَطَمٍ) أي هو الذي لا يُبْقِي من السيد شيئاً ويقال: رجل حَطَمَ للذي يأتي على اللذاذ لشدة أكله، ويقال للنار التي لا يُبْقِي: حَطَمَته وقوله: (على ظهر وَضَمٍّ) فالْوَضَمُّ: كل ما قُطِعَ عليه اللحم، وقوله: (أني والله ما يُقَعِّعُ لي بالشَّنان) واحدها شَن، وهو الجِلْدُ اليابس، فإذا قُفِّعَ به نَفَرَتِ الأبل منه فضرب ذلك مثلاً لنفسه، وقوله (ولقد فَرَرْتُ عن ذكاء) يعني تمام السن، والذكاء على ضربين: أحدهما السن، والآخر الجِدَّةُ جِدَّةُ الْقَلْبِ، وقوله (فعجم عيدانها) يقول مضجَعُها لينظر أيُّها أصْلَبُ، يقال عجمتُ العود، إذا مضجَعته يتضح لنا من هذه الخطبة إن أهل الكوفة قوم عرفوا بنقض العهود، وعدم الثبات على المبادئ حيث إن الحجاج عندما دخل الكوفة وكانَ مَتَخْفِياً ظنوا أنه من الخوارج فأرادوا أن يسخروا منه، ولكن عندما رفع العمامة، وعرفوا بأنه الحجاج، عرفوا أنه يريد بهم شراً فألقى هذه الخطبة التي أوصاهم فيها بإطاعة أولى الأمر منهم وإلا فإنه سوف يعلمهم درساً لن ينسوه أبداً، حيث أنه شبههم بالفاكهة التي نضجت وحن وقت قطافها، ساخراً منهم وأنه هو القادر على قطافها أي قطع اعناقهم التي حان موعد أزالتها عن اجسادهم لأنهم أناس قد عُرِفُوا بعدم الثقة والثورة على الولاة.

حيث أنّ الحجاج انتهج سياسة السخرية والتهمك منهم والإشارة إلى هذه واضحة في خطبته حيث يقول: (أَنِّي لأرى رؤوساً قَدْ أُيْنَعَتْ وُحَانِ قِطَافُهَا، وَأَنِّي لَأَصَاحِبُهَا وَأَنِّي لَا نُظَرُ إِلَى الدِّمَاءِ تَرَفُّقُ بَيْنَ الْعَمَائِمِ وَاللِّحَى)^(١).

ولذلك فإن الحجاج اخذ يسخر من اهل الكوفة ويتهمك منهم من خلال خطبته هذه ذلك لانهم سخرُوا وتهكمُوا منه حين وصوله الكوفة فقالوا: (قَبَّحَ اللهُ بَنِي أُمَيَّةٍ حِينَ تَسْتَعْمِلُ مِثْلَ هَذَا عَلَى الْعِرَاقِ)، لذلك قال: (وَاللّهِ لَأُعْصِبَنَّكُمْ عَصَبَ السَّلْمَةِ وَلَأُضْرِبَنَّكُمْ ضَرْبَ غَرَائِبِ الْإِبِلِ)^(٢).

ثم ان الحجاج سخر من اهل الكوفة حين شبههم باهل القرية الآمنة فانزل الله غضبه عليها فالبسهم لباس الذل والخوف وذلك في قوله: (فَأَنْكُمْ كَاهِلُ قَرْيَةٍ أَمْنَةٌ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ثُمَّ كَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)^(٣).

٣) الخطبة في العصر العباسي (التهمك والسخرية) نموذج من الخطابة

ذكر صاحب العقد الفريد^(٤) عن بني العباس في خطبهم (اولئك قومٌ بنور الخلافة يشرفون، وبلسان النبوة ينطقون).

١- خطبة ابي العباس السفاح بالشام:

خطب أبو العباس السفاح عبد الله بن محمد بن علي لما قُتِل مروان بن محمد، فقال: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا سَنَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَاحْلَوْا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ، جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَيُبْسِ الْقَرَارَ، نَكَّصَ بِكُمْ يَا أَهْلَ الشَّامِ آلُ حَرْبٍ، وَآلُ مَرْوَانَ يَتَسَكَّعُونَ بِكُمْ الظُّلْمَ

١) البيان والتبيين: ٣٠٧/٢؛ الخطبة في الكامل في الادب للمبرد: ٣٨٠/١؛ وكتاب العقد الفريد: ١١٩/٤.

٢) المصدر نفسه: ٣٠٧/٢؛ المصدر نفسه: ٣٨٠/١؛ المصدر نفسه: ١١٩/٤.

٣) المصدر نفسه: ٣٠٧/٢؛ المصدر نفسه: ٣٨٠/١؛ المصدر نفسه: ١١٩/٤.

٤) كتاب العقد الفريد: ٩٧/٤.

ويتهورون بكم مداحض الزلق، يطؤون بكم حرم الله وحرم رسوله، ماذا يقول زعمائكم غداً؟ يقولون: ربنا هؤلاء أضلونا فآتاهم عذاباً ضِعْفاً مِنْ النَّارِ^(١).

التحليل:

إن ابي العباس السفاح في هذه الخطبة كان قوله فصلٌ ليس فيه هزلٌ، اذ كان يسخر من اولئك الذين بدلوا سنة الاسلام، وحكموا العباد حسب اهوائهم، وجعلوا الخلافة وراثه في بني امية بعد ان انتزعوا الحق من اصحابه آل الرسول (صلى الله عليه وسلم) فمحوها الى آل حربٍ، اذ يقول ان الله جعل مقرهم النار وقد تمثل ذلك في قوله : (ألم ترَ الى الذينَ بدلوا سنةَ الله كُفْراً واحلُّوا قُومَهُمْ دارَ البوارِ، جَهَنَّمَ يَصْلُونَهَا وَيُنْسِ الْقَرَارِ)^(٢).

ثم يخاطب اهل الشام مبيناً لهم كيف ان آل حربٍ وآل مروان قد جعلوا منهم اداة سخرهم لقتل آل الرسول صلى الله عليه وسلم وحرمة والتنكيل بهم وقد تمثل ذلك في قوله (ماذا يقول زعمائكم غداً؟ يقولون: ربنا هؤلاء أضلونا فآتاهم عذاباً ضِعْفاً مِنْ النَّارِ)^(٣).

ولقد سخر ابي العباس من اهل الشام وبني امية لجعلهم الخلافة وراثه فيهم وحكمهم الناس بالنار والحديد، وتبديل قيم الشريعة الاسلامية بقوانين موضوعه من قبل البشر فأفرغوا الدين من فحواه واصوله التي جاء بها الاسلام.

١ () كتاب العقد الفريد: ٩٧/٤ .

٢ () المصدر نفسه: ٩٧/٤ .

٣ () المصدر نفسه: ٩٧/٤ .

٢- خطبه أبو جعفر المنصور حين خروجه الى الشام:

خطب ابو جعفر المنصور, فقال^(١):

شِنْشَنَةُ أَعْرَفُهَا مِنْ أَخْرَمَ مَنْ يَلْقَى أَبْطَالَ الرِّجَالِ يُكَلِّمُ

مَهْلًا مَهْلًا، رَوَايَا الْأَرْجَافِ، وَكُھُوفِ النَّفَاقِ، عَنِ الْخَوْضِ فِيمَا كُفَيْتُمْ،
وَالْتَخْطِي إِلَى مَا حُذِّرْتُمْ، قَبْلَ أَنْ تَتَلَفَ نَفُوسَ، وَيَقُلْ عَدَدٌ، وَيُدَوَّلَ عَزٌّ وَمَا أَنْتُمْ وَذَلِكَ أَلَمْ
تَجِدُوا مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ مِنْ إِبْرَاثِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا حَقًّا
وَالْجَدَّ^(٢) الْجَدِّ، وَلَكِنْ خَبَّ كَامِنٍ، وَحَشْدٌ مُكْمِدٌ، فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ.

التحليل

إنَّ خطبته يمكن فهمها في ضوء خطبة الحجاج في اهل العراق الذين كانوا
اعداء الدولة الاموية وفي العصر العباسي حصل العكس, حيث أصبح اهل الشام
متذمرين من حكم العباسيين وهذا الامر واضح من خلال خطبة ابو جعفر المنصور,
حيث انه أشار الى تذرهم والى طبيعتهم او شنشنتهم, أي الصخب والشكوى, لذلك
فإنَّ ابا جعفر المنصور أخذ في تفريقهم والتهكم منهم, وهذا واضح من خلال قوله:
(مَهْلًا، مَهْلًا رَوَايَا الْأَرْجَافِ، وَكُھُوفِ النَّفَاقِ)^(٣) ثم ازداد سخريةً منهم عندما بين لهم
ان الله وَعَدَ عِبَادَهُ الْمُسْتَضْعَفِينَ بِأَنَّهُمْ سِيرَتُونَهَا، وذلك في قوله: (أَلَمْ تَجِدُوا مَا وَعَدَ
رَبُّكُمْ مِنْ إِبْرَاثِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا)^(٤) واخذ كذلك في
سخريته منهم خلال قوله (فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ).

١) كتاب العقد الفريد: ٩٨/٤ .

٢) الجدد: هو الكفر بالنعم. مكمد: في بعض الأصول: (مكمن)، انظر: كتاب العقد الفريد:
٩٨/٤ .

٣) كتاب العقد الفريد: ٩٨/٤ .

٤) المصدر نفسه: ٩٨/٤ .

حيث اني ارى ان هذا النوع من الخطب انما هو نوع من انواع التهكم، وليس تهديداً أو وعيداً ذلك ان ابو جعفر المنصور كان يرى ان العلويين او العباسيين احق بالخلافة من الامويين لانهم اي الامويين قد غيروا من نهج الاسلام، لذلك سخر منهم محذراً لهم مقرأ لهم بالوعيد بان الله قد وعد عباده المؤمنين سيرثون الخلافة من بعد ما اصابها من شلل احدثه فيها الامويين.

ثانياً: الحكاية

حكاية عروة بن مرثد^(١) للجاحظ

قال بشر بن سعيد: كان بالبصرة شيخ من بني نهشل يُقال له: عروة بن مرثد، نزل ببني أخت له في سكة بني مازن، وبنو أخته من قريش، فخرج رجالهم إلى ضياعهم وذلك في شهر رمضان وبقيت النساء يصلين في مسجدهم، فلم يبق في الدار إلا كلب يعس فرأى بيتاً فدخل، وأنصفق الباب، فسمع الحركة بعض الإماء فظنوا أن لصاً دخل الدار، فذهبت إحداهن إلى أبي الاعز وليس في الحي رجل غيره، فأخبرته فقال أبو الاعز: ما يبغي اللص منّا؟.

ثم أخذ عصاه وجاء حتى وقف على باب البيت، فقال إيه: يا ملأ مان أمّا والله إنك بي لعارف، وأنّي بك أيضاً لعارف، فهل انت إلا من لصوص بني مازن شربت حامضاً خبيثاً، حتى إذا دارت الاقداح في راسك منتك نفسك الاماني وقلت دور بني عمرو، والرجال خلوف، والنساء يصلين في مسجدهم، فأسرقهن سوءةً والله ما يفعل هذا الاحرار لبئس والله ما منتك نفسك فأخرج والأ دخلت عليك فصرمتك مني بالعقوبة... لأيم الله لتخرجن أو لا هتفن هتفه مشؤومة عليك، يلتقي فيها الحيان، عمرو وحنظلة، ويصير أملك إلى تباب، ويجيء سعد بعدد الحصى وبسيل عليك الرجال من هاهنا وهاهنا!! ولئن فعلت لتكونن أشأم مولود في بني تميم. فلما رأى أنه لا

(١) الحيوان للجاحظ: ٢٣٢/٢ - ٢٣٣.

يجيبه أَخَذَهُ باللين وقال: أخرج يا بني وانت مستور، والله ما أراك تعرفني، ولو عرفتني لقتعت بقولي واطمأنت إلي، أنا عروة بن مرثد أبو الاعز المرثدي وأنا خادم القوم، وجلدة ما بين أعينهم لا يعصونني في أمر، وأنا لك بالذمة كفيل خير، أصيرك ما بين شحمة اذني، وعاتقي لا تضار، فخرج انت في ذمتي والّا فان عندي قوصرتين إحداهما لابن اختي البار الوصول، فخذ إحداهما فانتبذها حلالاً من الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم.

وكان الكلب إذا سمع الكلام أطرق، وإذا سكت وثب يريغ المخرج فتهافت الاعرابي اي تساقط ثم قال:

يا ألام الناس وأوضعهم الا يأتي لك أنا منذ الليلة في وادٍ وانت في آخر إذا قلت لك السوداء والبيضاء تسكت وتطرق فاذا سكت عنك تريغ المخرج والله لتخرجن بالعفو عنك أو لا لجنّ عليك البيت بالعقوبة.

فلما طال وقوفه وتردده جاءت جارية من إماء الحي، فقالت اعرابي مجنون والله ما أرى في البيت شيئاً ودفعت الباب فخرج الكلب شداً وجاد عنه أبو الاعز مستلقياً ثم قال: تالله ما رأيت كالليلة، ما أراه إلا كلباً أما والله لو علمت بحاله لو لجنّ عليه.

التحليل

ان حكاية عروة بن مرثد مأخوذة من كتاب الحيوان، وفي هذه الحكاية يتبين لنا فن الجاحظ القصصي الساخر الذي بلغ مستوى رفيعاً، كما لاحظ الدارسون في كثير من حكاياته الممتازة التي تبين لنا مقدرته على التصوير الساخر، وتبدو لنا هذه الحكاية مثيرة لحب الاستطلاع والتشويق، إذ يمهد فيها تمهيداً مناسباً للحدث حتى يبدو طبيعياً ومنطقياً في ظل تلك الملابس، أن تفزع الإماء الى عروة ابي الاعز ما دام لم يبق من الرجال في الحي سواه، كذلك من المنطقي الطبيعي أن الضيف عروة لا يستطيع ان يتقاعس، حيث ان الجاحظ يبين لنا اضطراب عروة بن مرثد، فهو من

جهة لا يستطيع أن يستجيب لاستغاثة الإمام به، وهو من جهة أخرى لا يجرو على فتح الباب خوفاً من مواجهة اللص الموهوم، لذا نراه يصاغ بطريقة تبدو لنا مضحكة ساخرة للخلاص من المأزق الذي ورط فيه إذ يأخذ تارة بتهديد اللص وطوراً بمخاطبته بالرفق واللين على حين ترى الاماء يرقبن ما يفعل، دهشات، متعجبات من ترده وخطبه التي يلقيها .

وقد حرص الجاحظ فيها أن تكون مفاجئة لقارئه، إذ بينما حب الاستطلاع يبلغ عنده الذروة، وهو لا يجرو على فتح الباب اذ يتدخل عامل خارجي لم يكن في حسبانته حين تضيق إحدى الاماء بغيته ذرعاً ساخرة من جبن عروة وترده، وتفتح الباب واذا الذي في الداخل ليس لصاً وانما هو كلب يخرج شداً.

ويجيد عنه عروة ولكن بعد ان يقع ويستلقي على الارض وهو يقول في ذهول.

(تالله ما رأيتُ كالليلة ما أراه الا كلباً، أما والله لو علمت بحاله لو لجئت عليه)^(١)

إن هذه الحكاية يحاول الجاحظ فيها أن يبين لنا مدى جبن ابن مرثد والسخرية منه لمواقفه وخوفه من فتح الباب ومخاطبته بالرفق حين يقول: (تالله لتخرجنه او لا هتف هتفة مشومة عليك يلتقي بها الحيان عمرو وحنظلة، ويصير امرك الى تباب)^(٢) حيث ان الجاحظ يظهر عروة بن مرثد بالوعيد والسخرية باللص المزعوم حين يقول: (يسيلُ عليك الرّجال من هُنا وهاهُنا، ولئن فعلت لتكُوننَ أشأمَ مولودٍ في تميم)^(٣) وصوراً يبدأ مخاطبته بالرفق واللين وذلك في قوله: (أخرج يا بُني وأنت

١ () الحيوان للجاحظ: ٢٣٢/٢ - ٢٣٣.

٢ () المصدر نفسه: ٢٣٢/٢ - ٢٣٣.

٣ () المصدر نفسه: ٢٣٢/٢ - ٢٣٣.

مَسْتَوْرُ وَاللّٰهُ مَا أَرَاكَ تَعْرِفْنِي، وَلَوْ عَرَفْتَنِي لَقَنَعْتَ بِقَوْلِي وَأَطْمَأْنَنْتَ إِلَيَّ فَأُخْرِجَ فِي ذِمَّتِي^(١).

ثم يبين الجاحظ سخريه الاماء من ابي الاعز وهن مدهشات ساخرات متهكمات من خطبه التي يلقيها وقد تمثل ذلك كما جاء في النص (فَلَمَّا طَالَ وَقُوفُهُ وَتَرَدَّدَهُ جَاءَتْ جَارِيَّةٌ مِنْ إِمَاءِ الْحَيِّ، فَقَالَتْ إِعْرَابِي مَجْثُونٌ وَاللّٰهُ مَا أَرَى فِي الْبَيْتِ شَيْئًا، دَفَعَتْ الْبَابَ فَخَرَجَ الْكَلْبُ شَدًّا)^(٢).

نص مختار من كتاب الحيوان للجاحظ

حكاية: حية ذات رأسين^(٣)

وقد زعمَ صاحب المنطق أنه قد ظهرت حية لها رأسان، فسألتُ اعرابياً عن ذلك، فزعم أن ذلك حقٌّ، فقلتُ له: (فمن أي جهة الرأسين تسعى؟ ومن أيهما تأكل وتعض؟، فقال: (فأمّا السَّعي فلا تَسعى، ولكنها تسعى الى حَاجَتِهَا بالتَّغَلُّبِ، كَمَا يَتَغَلَّبُ الصَّبَّيَانِ عَلَى الرَّمْلِ، وَأَمَّا الْاَكْلُ فَأَنَّهُمَا تَتَعَشَّى بِفَمٍ، وَتَتَغَذَّى بِفَمٍ، وَأَمَّا الْعَضُّ فَإِنَّهَا تَعَضُّ بِرَأْسَيْهَا مَعًا) فإذا به اكذب البرية.

التحليل

يبدأ النص بزعم صاحب المنطق، وقد كان في عصر الجاحظ قد انتشرت الثقافة الارسطية، وكانت آراء الجاحظ تقف على مناقشة هذه الافكار الارسطية، فكان الجاحظ لا بد من ان يقتنع بنفسه من تلك الافكار التي كان يطلقها ارسطو، لذلك لم تسلم آراء المعلم الاول من طعن الجاحظ وسخريته إذ لم يقدّم دليل على صحتها، لذلك فان الجاحظ قد سخر من اجوبة الاعرابي وعدم اقتناعه بتلك الاجوبة من

١ () الحيوان للجاحظ: ٢٣٢/٢ - ٢٣٣.

٢ () المصدر نفسه: ٢٣٢/٢ - ٢٣٣.

٣ () المصدر نفسه: ٣٢١/٤ - ٣٢٢. ارسطو: الفيلسوف اليوناني من مؤلفاته كتابه المنطق . تسعى: تمشي .

الاستيضاح الذي وجهه للأعرابي، وهي اجوبة غير مقنعة، إذ تشبث الجاحظ بأهداف العقل حيث يقول: (فَأَمَّا السَّعْيُ فَلَا تَسْعَى، وَلَكِنَّهَا تَسْعَى إِلَى حَاجَتِهَا بِالتَّقَلُّبِ، كَمَا يَتَقَلَّبُ الصَّبَّانُ عَلَى الرَّمْلِ، وَأَمَّا الْأَكْلُ فَانْتَهَا، تَتَغَذَّى بِفِيهِ، وَأَمَّا الْعَضُّ بِرَأْسِهَا مَعًا) ^(١) حيث اعتبر الجاحظ ذلك كذباً بقوله: (فاذا به اكذب البرية) ^(٢).

ثالثاً: الرسائل

الرسالة اصطلاحاً:

لقد كان لهذا المصطلح في العصر الجاهلي مدلول خاص ، اذ كان يراد له ما يؤديه الرسول الى المرسل اليه عن طريق رواية الخبر ، الابلاغ الشفهي ، يؤكد ذلك، اقتران هذا المصطلح غالباً بلفظ (ابلق وما يشق منه) والذي يدل على النقل الشفهي والرواية الشفهية .

ومن ذلك ما ورد في معلقة زهير ^(٣).

الَا اِبْلُغُ الْاِحْلَافَ عَنِّي رِسَالَةً وَذُبْيَانَ هَلْ اَقْسَمْتُ كُلَّ مَقْسَمٍ

ونظيره ما ورد في شعر امرئ القيس: (اِبْلُغْ سُبَيْعًا اِنْ عَرَضَتْ رِسَالَةً) ^(٤) واستمر هذا المدلول لمصطلح الرسالة حتى مطلع العصر النبوي.

ولقد كانت الرسالة في العصر الاسلامي تؤدي شفهيًا عن طريق الرسول يحملها الى المرسل اليه وذلك ما ذكر السيوطي، ان عمرو بن العاص عندما فتح

١) الحيوان للجاحظ: ٣٢١/٤-٣٢٢.

٢) المصدر نفسه: ٣٢١/٤-٣٢٢.

٣) ديوان زهير بن ابي سلمى: ٨١؛ شرح القصائد العشر: ١١٥ .

٤) ديوان امرئ القيس ، ١٥٨ .

الاسكندرية، بعث (معاوية بن حُديج) بشيراً الى عمر، بشره بالفتح. ثم ذكر السيوطي^(١) .

(فَقَالَ رَجُلٌ عَرَبِيًّا تَبْلُغُ الرِّسَالَةَ ؟ وَمَا رَأَيْتَ وَمَا حَضَرْتَ...) ^(٢) . فواضح من ذلك المثال ان الرسالة يراد بها التبليغ الشفهي، وهو ايضا ذات نوع من الفكاهة التهكمية التي اوضحت فيها نوعا من الرد الساخر في قوله: (الَيْتَ رَجُلًا عَرَبِيًّا تَبْلُغُ الرِّسَالَةَ)؟

ولقد دلت الرسائل في العهد الراشدي على نوع من التهكم الساخر الموجه من قبل الخليفة الى عماله لعدم اطاعته في الخلافة ومن ذلك .

ما ورد في رسالة الامام علي (ع) الجوابية الى معاوية اذ كتب اليه . (أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ أَتَيْتَنِي مِنْكَ مَوْعِظَةٌ مَوْصَلَةٌ ، وَرِسَالَةٌ مَحْبَرَةٌ نَمُفَّتْهَا بِضَلَالَتِكَ ، وَأَمْضَيْتَهَا بِسَوَاءٍ رَأَيْكَ) ^(٣) .

ان الرسائل كانت معروفة عند العرب في العصر الجاهلي، وكانت منتشرة بين طبقات معينة في ذلك المجتمع. اما في العصر النبوي ، فقد ازدادت الحاجة الى الكتابة للتطور الذي رافق الحياة الاسلامية الجديدة. في افاقها السياسية والاجتماعية والفكرية .

ومن هنا يتجلى مدى العناية بالكتابة حتى ان الرسول (ص) قد جعل فداء بعض اسرى بدر تعلم المسلمين الكتابة ، ولقد حث الرسول (ص) بعض اصحابه على تعلم كتابة اللغات الاجنبية ^(٤) .

(١) فتوح مصر واخبارها: ٦٢ .

(٢) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة: ١٢١/١ .

(٣) شرح نهج البلاغة: ٤٣/١٤ .

(٤) راجع الاصابة في تمييز الصحابة : ٥٦١/١ .

نماذج من رسائل السخرية والتهكم

(١) الرسائل في عصر صدر الاسلام

أ. كتاب معاوية الى الخليفة عثمان بن عفان

حيث أقام ابو ذر الغفاري بالشام سنة (٣٠ هـ) وجعل يقول (يامعشر الاغنياء ، واسوا الفقراء ، بشر الذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بمكاوٍ من نار تكوى بها جباههم ، وجنوبهم وظهورهم) فما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك واوجبه على الاغنياء ، وحتى شكى الاغنياء ما يلقون من الناس ، فكتب معاوية الى عثمان :

(ان ابا ذر رقد اعضل بي ، وانه تجتمع اليه الجموع ، ولا آمن ان يفسدهم عليك فان كان لك في القوم حاجة فاحمله اليك)^(١).

ان هذا الكتاب الذي وجهه معاوية الى الخليفة عثمان بن عفان فيه تهكم وسخرية من الفقراء المسلمين الذين لهم حق في اموال الاغنياء حيث انه سخر في رسالته هذه من ابي ذر الذي كان يدعو الاغنياء الى عدم اكتناز المال واخوانهم يعانون ما يعانون من الفقر والبؤس فاشتكى الاغنياء لمعاوية الذي بدوره سخر من أولئك الفقراء الذين اصبحوا خطرا يهدد كيانهم السياسي فدعا الخليفة في رسالته الى التعجيل في نقله لابي ذر الى المدينة ليكون تحت نظره حيث قام الخليفة بنقله ونفيه الى خارج المدينة .

(١) جمهرة رسائل العرب : ٢٦٢ ، مروج الذهب ومعادن الجوهر: ٧٦٧/٢ ، تاريخ الامم والملوك للطبري: ٦٦/٥ .

ب. رسالة محمد بن أبي بكر إلى معاوية^(١)

ولما صرف علي رضي الله عنه قيس بن سعد بن عباد عن مصر وجّه مكانه محمد بن أبي بكر، فلما وصل إليها كتب إلى معاوية كتاباً فيه: (من محمد بن أبي بكر إلى الغاوي معاوية بن صخر، أما بعد، فإنّ الله بعظمته وسلطانه خلق خلقه بلا عبث عنه ولا ضعف في قوته، ... وقد رأيتك تساميه وأنت أنت، وهو هو، أصدق الناس نيةً، وأفضل الناس ذريةً، وخير الناس زوجة، وأفضل الناس ابن عم: أخوه الشاري لنفسه يوم مؤته، وعمه سيد الشهداء يوم أحد، وأبوه الذاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن حوزته، وأنت اللعين ابن اللعين، لم تنزل أنت وأبوك تبغيان لرسول الله صلى الله عليه وسلم الغوائل، وتجهدان في إطفاء نور الله تجمعان على ذلك الجموع).

فكتب إليه معاوية: من معاوية بن صخر إلى الزاري على أبيه محمد بن أبي بكر أمّا بعد: فقد أتاني كتابك تذكر فيه ما الله أحله في عظمته وقدرته وسلطانه، وما اصطفى به رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كلام كثير لك في تضعيف، ولأبيك فيه تعنيف، ذكرت فيه فضل ابن أبي طالب، وقديم سوابقه، ... فكان أبوك وفاروقه أول من أبتزه حقّه وخالفه على أمره، على ذلك اتفقا واستسقا، ثم إنهما دعواه إلى بيعتهما فأبطأ عنهما، وتلكأ عليهما فهما به الهموم، واردا به العظيم، ثم أنه بايع لهما وسلم لهما، وأقاما لا يشركان في أمرهما ولا يطلعانه على سرهما حتى قبضهما الله، ثم أقام ثالثهما عثمان فهدى بهديهما وسار بسيرهما، فعبته أنت وصاحبك حتى طمع فيه الأقباصي من أهل المعاصي، ... ولولا ما فعل أبوك من قبل ما خلفنا ابن أبي طالب ولسلمنا إليه، ولكننا رأينا أباك فعل ذلك به من قبلنا فأخذنا بمثله، فعب أباك بما بدا لك أو دع ذلك، والسلام على من أناب.

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر: ١٨/٣؛ جمهرة رسائل العرب، ١/ ٤٧٥ - ٤٧٧ .

التحليل:

إن هذه الرسالة كما يروى موجهة من محمد بن أبي بكر (رض) الى معاوية بن أبي سفيان وقد نعتة محمد بن أبي بكر بصفات الغاوي ساخرأ منه مخاطبأ إياه يقوله (إلى الغاوي معاوية بن صخر... وأنت أنت، وهو هو، أصدق الناس نبيه وأفضل الناس ذريه، وخير الناس لزوجـه... الذاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن حوزته، وأنت اللعين أبـن اللعين، لم تزل أنت وأبوك تبغيان لرسول الله صلى الله عليه وسلم الغوائل، وتجدان في إطفاء نور الله...)^(١).

فيكتب إليه معاوية رداً على رسالته ساخرأ من محمد بن أبي بكر مقذعا منه قائلا: (كان أبوك وفاروقه أول من أبتزه حقه وخالفه على أمره... ثم إنهما دعواؤه إلى بيعتهما فأبطأ عنهما، وتلكاً عليهما فهما به الهموم، واردا به العظيم... وأقاما لا يشركان في أمرهما ثالثهما عثمان فهدى بهديهما... ولولا ما فعل أبوك من قبل ما خلفنا ابن أبي طالب ولسلمنا إليه، ولكننا رأينا أباك فعل ذلك به من قبلنا فأخذنا بمثله، فعَبَّ أباك بما بدا لك أو دغ ذلك)^(٢).

٢) الرسائل في العصر الاموي

ذكر الشهرستاني في الملل والنحل:

(وأعظم خلاف بين الأئمة خلاف الأمامة، اذ ما سلَّ سيف في الاسلام على قاعدته دينية مثل ما سلَّ على الامامة في كل زمان...)^(٣).

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر: ١٨/٣؛ جمهرة رسائل العرب، ١/ ٤٧٥ - ٤٧٧ .

(٢) المصدر نفسه: ١٨/٣؛ المصدر نفسه، ١/ ٤٧٥ - ٤٧٧ .

(٣) الملل والنحل للشهرستاني: ١٧/١ .

ولقد تمخض عن احتدام الخلاف بين المسلمين حول الامامة ، قيام اهم الفرق والاحزاب السياسية التي تبلورت منذ مطلع هذا العصر ، ولا سيما الشيعة والخوارج والمرجئة .

كما برزت في هذا العصر ايضا كتل سياسية جديدة ، كالحزب الزيدي والمعتزلة حيث اصبح لكل حزب او كتلة آرائهم ورسائلهم ويمكن الاشارة الى ذلك بما يلي :

أ. رسائل اهل الكوفة:

لقد اتخذ حزب الشيعة كغيره من الكتل السياسية الرسائل وسيلة مهمة في ذلك الصراع السياسي منذ فترة مبكرة^(١) فعقب تولي الامام الحسن شؤون الخلافة يرسل انصاره ومناوبيه يدعوهم لبيعتة او يحاججهم بأحقية في تولي امر المسلمين^(٢) وبعد وفاة الحسن ارسل اصحابه مثل جعده بن هبيرة رسائل الى الامام الحسين (ع) بعد ان بلغه وفاة الحسن -يدعوه الى الثورة ضد معاوية ، ومما ورد في تلك الرسالة: (أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مَنْ قَبْلَنَا مِنْ شِيعَتِكَ مُتَطَلِّعَةٌ أَنْفُسُهُمْ إِلَيْكَ، لَا يَغْدِلُونَ بِكَ أَحَدًا، وَقَدْ كَانُوا عَرَفُوا رَأْيَ الْحَسَنِ أَخِيكَ فِي دَفْعِ الْحَرْبِ، وَعَرَفُواكَ بِاللِّينِ لِأَوْلِيَانِكَ، وَالْغَلْظَةِ عَلَى أَعْدَائِكَ وَالشَّدَّةِ فِي أَمْرِ اللَّهِ، فَإِنْ كُنْتَ تُحِبُّ هَذَا الْأَمْرَ فَأَقْدِمْ عَلَيْنَا فَقَدْ وَطَّنَا أَنْفُسَنَا عَلَى الْمَوْتِ مَعَكَ)^(٣).

(١) انظر: ادب السياسة في العصر الاموي للحوبي: ٣٠ .

(٢) انظر: رسالة الامام الحسن (ع) الى معاوية، مقاتل الطالبين للأصفهاني: ٢٥-٢٧.

(٣) الاخبار الطوال: ٣٢٨.

فكتب اليه الحسين جوابا على رسالته: (أَمَّا أَخِي فَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَدْ وَفَّقَهُ، وَسَدَّدَهُ فِيمَا يَأْتِي، وَأَمَّا أَنَا فَلَيْسَ رَأْيِي الْيَوْمَ ذَلِكَ، فَالْصَّقُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ بِالْأَرْضِ، وَاكْمِنُوا فِي الْبُيُوتِ)^(١).

ومن رسالة جوابية من معاوية الى الحسين قبل وفاة معاوية (اتاني كتابك ... وما اردت لك مُحَارَبَةً وَلَا عَلَيْكَ خِلَافًا، وَمَا أَظُنُّ عِنْدَ اللَّهِ عَذْرًا فِي تَرْكِ جِهَادِكَ ، وَلَا أَعْلَمُ فِتْنَةً أَكْبَرُ مِنْ وَلَايَتِكَ أَمْرَ هَذِهِ الْأَمَةِ)^(٢).

حيث ان معاوية في رسالته ضمنها نوعاً من السخرية من رسالة الامام الحسين وعدم الاكتراث بأقواله، حيث رد على الامام رداً مقذعاً ساخراً قائلاً: (وَلَا أَعْلَمُ فِتْنَةً أَكْبَرُ مِنْ وَلَايَتِكَ أَمْرَ هَذِهِ الْأَمَةِ).

ومن بين رسائل اهل الكوفة، (أنا قد حبسنا انفسنا عليك، ولسنا نحضر الجمعة مع الوالي، فاقدم علينا)^(٣).

وبعد ثورة المختار بن عبيدة الثقفي بعث رسالة الى محمد بن الحنفية بن علي بن ابي طالب واصحابه بأخذ الثأر من قتلة الحسين بعد مصرع يزيد بن معاوية، حيث يقول:

(... أَمَّا بُعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي نُقْمَةً عَلَى أَعْدَائِكُمْ ، فَهَمَّ بَيْنَ قَتْلِ وَاسِيٍّ وَطَرِيدٍ وَشَرِيدٍ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَتَلَ قَاتِلَكُمْ ، وَنَصَرَ مُؤَازِرَكُمْ، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ بَرَّاسَ عُمُرُ بْنُ سَعْدٍ وَابْنَهُ وَقَدْ قَتَلْنَا مِنْ شَرِّكَ فِي دَمِ الْحُسَيْنِ وَاهْلِ بَيْتِهِ -رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ - كُلُّ مَنْ قَدَرْنَا عَلَيْهِ...)^(٤).

(١) الاخبار الطوال: ٣٢٨ .

(٢) البداية والنهاية ، ١٦٢/٨ .

(٣) تاريخ الامم والملوك للطبري: ١٩٤/٦ ، احداث سنة ٦٠ .

(٤) المصدر نفسه: ١٢٧/٧ ، احداث سنة ٦٦ .

حيث ان هذه الرسالة يمكن ان نسميها رسالة الثأر التي انتقم فيها المختار من قتلة الحسين اشد انتقام، حيث انه استعمل الاسلوب التهكمي الساخر المقذع لبني امية بعد ان انقلبت الامور عليهم بعد وفاة يزيد فنالوا على يد المختار واصحابه من اهل الكوفة القصاص العادل، لذلك فان المختار قد تهكم وسخر من بني امية بعد ان اخذ بثأر الحسين، حيث ان قتلته قد فروا مذعورين من هذا المد الذي جاء عليهم بقيادة المختار الذي سفه احلامهم واسيادهم بني امية ونكل بهم اشد التنكيل بسبب استعمالهم القوة في القضاء على مناوئهم من بني هاشم واصحاب الرسول .

ب. رسائل الخوارج :

لقد بدا نشاط الخوارج السياسي في هذا العصر عقب تولي معاوية شؤون الخلافة، فنهضوا لقتاله في الكوفة، وكان خروجهم سنة (٤٣هـ) بعد ان ولوا عليهم المستورد الخارجي الذي كتب الى سماك بن عبيد العبسي عامل المغيرة على المدائن:

(مَنْ عَبْدُ اللَّهِ الْمُسْتَوْدِ امير المؤمنينَ الى سماك بن عبيد: اما بعد ، فقد نقمنا على قومنا الجور في الاحكام. وَتَعْطِيلِ الْجِدْوَدِ، وَالْأَسْتِثَارَ بِالْقِيَاءِ، وَأَنَا نَدْعُوكَ الى كتاب الله عز وجل وسنة نبيه (ص) وولاية ابي بكر وعمر رضوان الله عليهما والبراءة من عثمان وعلي ، لأحداثهما في الدين وتركهما حكم الكتاب فان تقبل فقد ادركت رشذك والا تقبل فقد ابلغنا في الاعذار اليك وقد اذناك بحرب فنبنذنا اليك على سواء، ان الله لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ^(١)).

ففي هذه الرسالة نلاحظ ان هناك تهكما ساخرا على الامام والمسلمين شديد ، حيث ان قائد الخوارج يخرج على الخلافة الاموية منددا ومتهكما وساخرا منهم ومن الخلفاء علي وعثمان داعيا بانهم كانوا السبب في افتراق امر الجماعة الاسلامية.

(١) جمهرة رسائل العرب : ٤٣/٢ - ٤٤ .

ولقد اتبع الخوارج بعض الفرق ومنهم الازارقة نافع بن الازرق الذي كتب الى عبد اله بن الزبير يدعوه الى الانضمام الى دعوته حيث يقول:

(... وقد حضرت عثمان يوم قُتِلَ، فلعمري لئن كان قُتِلَ مظلوماً لقد كفر قاتلوه وخاذلوه، ولئن كان قاتلوه مُهتدين -وانهم لمهتدون- لقد كفر من يتولاه وينصره ويعضده، ولقد علمت ان اباك وطلحة وعلياً كانوا اشد الناس عليه، وكانوا في امره بين قاتل وخاذل، وانت تتولى اباك وطلحة وعثمان...) (١).

حيث ان زعيم الخوارج في هذه الرسالة يحاول ان يجعل دم عثمان قتلا متعمدا ومتواطئا فيه الصحابة الكبار مثل ابن الزبير وطلحة وعلي، حيث يصفهم بأشد عبارات السخرية منهم لانهم كانوا اما مشاركين في قتله او متخاذلين كما في قوله: (لقد علمت ان اباك وطلحة وعلياً كانوا اشد الناس عليه، وكانوا في امره بين قاتل وخاذل).

ولعل ايضا من رسائل الازارقة المهمة ما كتبه قطري بن الفجاءة الى الحجاج ردا على كتاب كان الحجاج قد بعثه اليه ومما ورد في تلك الرسالة:

(من القطري بن الفجاءة الى الحجاج بن يوسف، سلام على الهداة من الولاة الذين يرعون حرم الله ويُرهبون نغمه، فالحمد لله على ما اظهر من دينه، واظلم به اهل السفال وهدى به من الضلال ونصر به عند استخفافك بحقه) (٢).

حيث نرى ان قطري بن الفجاءة قد سخر من الحجاج واقذع فيه اشد القذع وانواع التهكم عندما وصفه بانه من اهل السفال والضلال وذلك في قوله: (فالحمد لله

(١) الكامل في الادب للمبرد : ٢٨٩/٣ - ٢٩٠ ؛ كتاب العقد الفريد : ٣٩٥/٢ - ٣٩٦ .

(٢) البيان والتبيين للجاحظ: ٣١٠-٣١١ .

على ما اظهر من دينه، واطلع به اهل السفال وهون به من الضلال ونصر به عند استخفافك بحقه^(١).

ج. رسائل الكتاب الامويين

قال عبد الحميد الكاتب^(٢) في الفتنة: (فان الفتنة تنشوق لأهلها بأنق منظر، وأزين ملبس، تجر لهم أذيالها، وتعدهم تنابع لذاتها، حتى ترمي بهم في حومان أمواجهها مسلمة لهم تعدهم الكذب وتُمَيِّهُمُ الخدع، فاذا لزمهم عضاضها، ونقر بهم شماسها تخلت عنهم خاذلة لهم وتبرأت منهم معرضه، قد سلبوا أجمل لباس دينهم، واستنزلوا عن أحسن معاقل دنياهم، من الغناء البهي منظره، الجميل أثره حتى تطرحهم في فضائح أعمالهم، والا يجاف في التعب، وسوء المقلب، فمن أثر دينه على دنياه، تمسك بطاعة ولاته وتحرز بالدخول في الجماعة، تاركاً لأنقل الامرين، وأوبل الحالين).

في هذه الرسالة التي وجهها عبد الحميد الكاتب الى الامة يبين ان ذهاب كل نعمه وتفرق كل كرامة، وهلاك كل سلامة، وموت كل عز وقوة هو الفتنة، وقد دعا في رسالته هذه ايضاً الى السخرية والتهكم من الفتنة لأنها تؤدي الى الضلالة واتباع كل جهالة وإحياء كل بدعة وذلك في قوله: (فإن الفتنة تنشوق لأهلها بأنق منظر وأزين ملبس، تجر لهم أذيالها)^(٣) ثم انه سخر وتهكم من الفتنة التي تجر اصحابها الى لذاتها، حيث ان الرجل من المسلمين يضرب بسيفه الذي بين يديه سيف أخيه الذي كان يعتمد عليه، وبوهن عضده، ويهدم حصنه، ويفلّ عدده، ويهلك ثروته وقد تمثل ذلك في قوله: (وتعدهم تنابع لذاتها، حتى ترمي بهم في حومات أمواجهها مسلمة لهم

(١) البيان والتبيين للجاحظ: ٣١٠-٣١١.

(٢) امراء البيان العربي: ٦١ / ١.

(٣) المصدر نفسه: ٦١ / ١.

تَعْدَهُمُ الْكَذِبَ وَتُعْنِيَهُمُ الْخَدَعُ، فَإِذَا كَدَّمَهُمْ عِضَاضَهَا، وَنَفَرَ بِهِمْ شَمَاسَهَا، تَخَلَّتْ لَهُمْ خَاذِلُهُ لَّهُمْ^(١).

ويظل عبد الحميد ساخرًا من الفتنه واهلها لأنها تؤدي الى سفك الدماء بدون حق، وتيتيم الطفل من ابيه، وتزيل النعمة عنهم وتثير الشحناء، وتوحش القلوب، وتقع السبل، وترمل النساء وقد تمثل ذلك في قوله: (حتى تَطْرَحَهُمْ فِي فُضَائِحِ أَعْمَالِهِمْ... فمن أثر دينه على دنياه، غسل بطاعة ولاته، وتحرز بالدخول في الجماعة)^(٢)، والى جانب هذه الموضوعات السياسية، هناك موضوعات اجتماعية، ومنها ما يتعلق بعلاقة الرجال بالنساء.

قال ابن المقفع^(٣) في النساء وفي رغبات الرجال الذواقين: (اعْلَمْ أَنَّ مَنْ أَوْقَعَ الْأُمُورَ فِي الدِّينِ، وَأَنَهَكَهَا لِلْجَسَدِ، وَاتْلَفَهَا لِلْمَالِ، وَاضْرَحَهَا بِالْعَقْلِ، وَأَسْرَعَهَا فِي ذَهَابِ الْجَلَالَةِ وَالْوَقَارِ، الْغَرَامَ بِالنِّسَاءِ، وَمِنَ الْبَلَاءِ عَلَى الْمُغْرَمِ بِهِنَّ أَنَّهُ لَا يَنْفُكُ بِأَجْمٍ مَا عِنْدَهُ... وَتَطْمَحُ عَيْنَاهُ إِلَى مَا لَيْسَ عِنْدَهُ مِنْهُنَّ، وَأَمَّا النِّسَاءُ أَشْبَاهَ، وَمَا يُرَى فِي الْعَيُونِ وَالْقُلُوبِ مِنْ فَضْلِ مَجْهُولَاتِهِنَّ عَلَى مَعْرُوفَاتِهِنَّ بَاطِلٌ وَخُدْعَةٌ بَلْ مَا يُرْغَبُ عَنْهُ الرَّائِغُ بِمَا عِنْدَهُ أَفْضَلُ مِمَّا تَتَوَقَّعُ إِلَيْهِ نَفْسُهُ، وَأَمَّا الْمُتَرَّغِبُ عَمَّا فِي رَحْلِهِ مِنْهُنَّ إِلَى مَا فِي رَحَالِ النَّاسِ، كَالْمُتَرَّغِبِ عَنْ طَعَامِ بَيْتِهِ إِلَى مَا فِي بَيْوتِ النَّاسِ، بَلْ النِّسَاءُ بِالنِّسَاءِ أَشْبَهَ مِنَ الطَّعَامِ بِالطَّعَامِ وَمَا فِي رَحَالِ النَّاسِ مِنَ الْأَطْعَمَةِ أَشَدَّ تَفَاضُلًا وَتَفَاوُتًا مِمَّا فِي رَحَالِهِمْ مِنَ النِّسَاءِ).

ومن العجب أن الرجل الذي لا بأس في لبه، يرى المرأة من بعيد متلففة في ثيابها فيصور لها في قلبه الحسن والجمال، حتى تعلق بها نفسه، من غير رؤيه ولا خبر مخبر ثم لعله يهجم منها على أقبح القبح وأدم الدمامة... فلا يزال مشغوفاً بما لم

١) امراء البيان العربي: ٦١ / ١ .

٢) المصدر نفسه: ٦١ / ١ .

٣) المصدر نفسه: ١٣٧ / ١ .

يذوق حتى لو لم يبق في الارض غير امرأة واحدة لظن أن لها شأنًا غير شأن ما ذاق.
وهذا هو الحمق والشفاء).

التحليل

إن الكاتب ابن المقفع في هذه الرسالة يحاول أن يدخل الى اعماق النساء وتحليل رغباتهم ورغبات الرجال, حيث انه يسخر من الرجال الذين يضيعون ايامهم سهواً في الغرام بالنساء, ذلك ان الرجل دائماً ينظر الى المرأة بما تطمح عيناه اليه, حيث إن النساء اشباه, حيث إن ما يراه المرء في العيون وما تشعر به القلوب اتجاههن من مشاعر وعواطف مجهولة حين يفند ابن المقفع باطلة وخدعته, ذلك إن النساء دائماً كالناظر في طعام غير وتاركاً طعامه. في قوله: (وأنما المترغب عما في رحله منهن الى ما في رحال الناس، كالمترغب عن طعام بيته الى ما في بيوت الناس)^(١).

اما الرجال في نظرتهم للنساء من خلال الثياب التي تلبسها المرأة فتظهر حسننها في حين انهم لم ينظروا الى اعماق المرأة من غير رؤيه ثاقبه وقد تمثل ذلك في قوله: (ومن البلاء على المغرم بهن انه لا ينفك... وتقع عيناه الى ما ليس عنده منهن)^(٢) وقوله ايضاً (أن الرجل... يرى المرأة من بعيد متلفة في ثيابها, فيصور لها في قلبه الحسن والجمال)^(٣).

١) امراء البيان العربي: ١ / ١٣٧ .

٢) المصدر نفسه: ١ / ١٣٧ .

٣) المصدر نفسه: ١ / ١٣٧ .

٣) الرسائل في العصر العباسي

أ. رسالة سهل بن هارون الى محمد بن زياد والى بني عمه آل زياد^(١)

من أجمل ما أثر لسهل بن هارون من الكتب، بل كتابه الى بني عمه من آل راهبون حين ذموا مذهبهم في البخل، وتتبعوا كلامه في الكتب، قال في فاتحته يُحاججهم:

(بسم الله الرحمن الرحيم: أصلح الله أمركم، وجمع شملكم، وعلمكم الخير، وجعلكم من أهله. قال الأحنف بن قيس: يا معشر بني تميم لا تسرعوا إلى الفتنة، فإن اسرع الناس إلى القتال اقلهم حياءً من الفرار، وقد كانوا يقولون: إذا أردت أن ترى العيوب جمّة فتأمل عياباً، فإنه انما يعيب بفضل ما فيه من العيب وأول العيب أن تعيب ما ليس بعيب، وقبيح أن تنهى مرشداً أو تغري بمشفق).

(وما أردنا بما قلنا إلا هدايتكم وتفويمكم، ولا أصلاح فسادكم وإبقاء النعمة عليكم، ولئن أخطأنا، مما أخطأنا سبيل حسن النية فيما بيننا وبينكم، ثم قد تعلمون أننا ما أوصيناكم إلا بما قد اخترناه لأنفسنا قبلكم وشهرنا في الآفاق دونكم. فما كان أحقكم في كريم حرمتنا بكم أن ترعوا حق قصدنا بذلك إليكم، على ما اغلقنا من واجب حقكم فلا العذر المبسوط بلعنكم، ولا بواجب الحرمة فمئتم، ولو كان ذكر العيوب براً وفضلاً، لرأينا في أنفسنا عن ذلك شغلاً، وإن من أعظم الشفوة، وأبعد من السعادة، ألا يزال زلل المعلمين، ويتناسى سوا أستماع المتعلمين ويستعظم غلط العاذلين، ولا يحفل بتعمد المغدولين)

إن صنعة سهل بن هارون قد استبانة في هذه الاسطر، إذ نراه يعني في رسالته ببسط الأدلة، وكأنه يقدم حواراً عنيفاً، حيث نلاحظ في رسالة جانب السخرية التي ميزها جانب التنمق الجمل والترادف الموسيقي، حيث بدأ بتقريع أهله والسخرية

١) (البخلاء للجاحظ: ٩ .

من الناقمين والناقدين عليه منهم ومن غيرهم, وعلى الرغم من انه لم يرع له حرمة ولا زماناً, فقد ذكرهم بحكمة جميلة, وهو أن الناس يتذكرون خطيئات المعلمين ولا يذكرون جهل المتعلمين, وقد سخر منهم حيث عبر عن ذلك بسوء الاستمرار وهو كما يقول العبد الصالح بقوله: وهو انه اراد اصلاحهم الى ما استطاع اليه سبيلاً وبعد أن بلغ قوله هذا الحد, وبسط المسألة بينه وبين عاذليه ودعاء الناس إلى طريقته, التي يعتبرها فضيلة من الفضائل التي اجمعت اليها نفسه, بعد هذا أخذ يخاطبهم ويورد لهم الامثال التي وقعت له في هذا الشأن والتي وقعت لغيره مغزاها العبرة, ثم قال:

(عَبَثُونِي بِقَوْلِي لِخَادَمِي: أَجِيدِي عَجْنَهُ خَمِيرًا, كَمَا أَجَدَّتُهُ فَطِيرًا لِيَكُونَ أَطْيَبُ لَطْعَمِهِ, وَأَزِيدُ فِي رِيْعِهِ, وَقَدْ قَالَ عمر بن الخطاب رضى الله عنه ورحمة لأهله, املكوا العجين فانه اربع الطحينين وعبتم عليّ قولي مَنْ لم يعرف مواقع السرف في الموجود الرخيص, لم يعرف مواقع الاقتصاد في الممتع الغالي فلقد أتيت من ماء الوضوء بكيلة يدل حجمها على مبلغ الكفاية, فلما صِرت الى تَفْرِيقِ أَجْزَائِهِ على الأَعْضَاءِ, والى التَّوْفِيرِ عليها من وظيفه الماء, وَجَدْتُ في الأعضاء فضلاً على الماء, فعلمت أن لَوْ كُنْتُ مَكْنَنَ الاقتصاد في أوائله... وعتبوني بذلك وشنعتوه بجدكم وقبحتموه, وقد قال الحسن عند ذكر السرف: إنه ليكون في الماعونين الماء والكأ فلم يرض بذكر الماء حتى اردفه بالكأ).

ولقد بسط (سهل بن هارون) قاعدته في البخل بسطاً بليغاً, وبدأها بما وقع له في الماء ثم ثنى في الجملة التالية بما يأتيه من الاحتياط في حفظ الفكاهة والمأكولات محاولاً اقناع مخاطبيه بأن الناس طبقات, وليس من الانصاف أن يأكل السيد كالمولى فإن إطعام المولى والعبيد أطعمة وثماراً لذينة قد يمكنهم الاستغناء عنها, ولكن ساداتهم لا يصبرون عليها إذا انقطعت عنهم بسبب إسرافهم, وأشار الى فهم الاولاد, وسوء ادارة النساء, قال:

(وعبتوني حين ختمتُ على سدَّ عَظِيمٍ، وفيه شيء ثمين من فاكهة نَفيسة ومن رُطبه غريبة على عبدٍ نهم، وصَبِيٍّ جَشِعٍ، وأمةً لكُماء ولا في عادات القادة ولا في تدبير السادة، أن يَسْتَوِيَ في نَفيس المأكول، وغريب المشروب، وثمرين الملبوس، وخطير المركوب، والناعم من كل فن، والليل من كل شكل، التابع والمتبوع، والسيد والمسود، كما لا تَسْتَوِي مواضعهم في المجلس ومواقع أسمائهم في العُنُوات، وما يَسْتَقْبَلون به من التحيات. وكيف وهم لا يفقدون من ذلك ما يفقد القادر، ولا يكثرثون له اكتراث العارف ومن شاء اطعم كلبه الدجاج المسمن، وعلف حماره السمسم المقشر).

ثم تحول في كلامه إلى ذكر أمور جوهرية في الحياة، ذات شأن خطر في تدبير المنزل، كالطعام واللباس، مستشهداً على صحته قصتيه يهدي الرسول وإيراد أمثله ممن يقتدي بهم في هذا الباب من الناس، فقال:

(وعبتوني حين قلت للغلام، إذا زدت في المرق فزد في الانضاج، لتجمع بين التأدم باللحم والمرق، ولتجمع مع الارتفاق بالمرق الطيب). وقد قال صلى الله عليه وسلم: (إذا طبعتم لحماً فزيدوا في الماء، فإذا لم يصب احدكم لحماً أصاب مرقاً).

(وعبتوني بخفيف النعل، وبتصوير القميص، حين زعمت أن المخصوفة ابقى وأوطأ وأوفى وانفى لكبر، واشبه بالنسك، وأن الترقيع من الحزم، والتفريق من التضييع... وقد كان النبي عليه الصلاة والسلام بخفيف النعل، ويرقع ثوبه... ولقد كانت سعادى بنت عوف تخطط إزار طلحة وهو جواد قريش)

هذه صفحة جميلة تكلم فيها سهل بن هارون من تدبير المعاش والاقتصاد، أراد بها تعلم المتنقسين له درساً نافعاً في الترتيب والنظام، وسخر من الذين اعبوا عليه مساواته في نظرتهم الى الناس، حينما دعى الى عدم التفريق بين الناس مهما اختلفت مواضع مجالسهم ومواقع اسمائهم في العناوات وقد تمثل ذلك في قوله: (وعبتوني...

أن يستوي في نفس المأكول، وغريب المشروب، وثمين الملبوس، التابع والمتبوع والسيد المسودا).

وفي هذه الاسطر نلاحظ انه يسخر من أولئك الذين عابوا عليه ترقيع نعاله حيث أن الترقيع هو دليل على قوة تدبيره للأمور، ووضعها في نصابها وانه عكس التبذير الذي يؤدي الى تضييع المال، حيث ان الرسول يعتبر ذلك من الحكمة عندما يقوم بتصليح نعاله بيده، وكذلك ترقيع ثوبه حتى يكون قدوة لهم، ولذلك فانه سخر من أولئك الذين سخروا باقتدائه بالرسول الكريم والصحابه الكرام، ذلك ان سعدى بنت عوف كانت تخطى ازرار طلحه وهو جواد قریش.

لقد بدأ سهل رسالته بالدعاء لمنتقديه بصلاح أمرهم، وجمع شملهم وتعليمهم الخير، وأن يكونوا من اهله، ولعل هذا الاستهلال في حد ذاته يملك دلالة إيحائية على مهارة سهل الفكرية، اذ يشكل مقدمة منطقية تشي ببطلان مزاعمهم، وخطأ ارائهم، عقولهم كما تشي بمهارته في مخاطبة عقل المتلقي، ومعرفته بكيفية استلاب مشاعر الآخرين، وقد أرففه بأقوال مأثورة، لها ذات الدلالة، فقال: قال الاحنف بن قيس: يا معشر بني تميم لا تسرعوا الى الفتنة، فأن أسرع الناس إلى القتال ألهم حياءً من الفرار، وقد كانوا يقولون: اذا أردت أن ترى العيوب جمّة، فتأمل عيآباً، فانه إنّما يعيب ما فيه من العيب وأول العيب أن تعيب ما ليس بعيب... (١)

ثم راح سهل يعرض ما عيب عليه من آراء واقوال في فقرٍ مُقسمةٍ، ويُفندَهَا بادئاً بعبارة: (وعبتوني) أو (وعبتم عليّ) أو نحو ذلك. والرسالة تشكل وحدة متكاملة متناسبة في افكارها ومعانيها، تتناول موضوعاً واحداً وتُعدّ مثالاً للمقالة بمفهومها الحديث، كما رأي محمد يوسف نجم^(٢)، وقد كان سهل يؤكد كلامه بأقوال الرسول

(١) البخلاء للجاحظ: ٩.

(٢) فن المقالة: ٢٠.

(صلى الله عليه وسلم) والصحابة والتابعين ليقوي حجته، ويفحم خصمه، حيل يقول:

(وعبتموني بخصف النعال وبتصدير القميص، وحين زعمتُ أنَّ المخصوفة أبقى وأوطأ وأوفى وانفى لكبر وأشبه بالنسك، وأن الترقيع من الحزم، وأن الاجتماع مع الحفظ وأن التفرق مع التضییع، وقد كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يخصف نعله ويرفع

ثوبه، ويلطع أصبعه)^(١)، وقد حث سهل في هذه الرسالة على أداء الحقوق والواجبات، اذ رأى أن الانفاق هي اهواء النفس وميولها يحجبها عن أداء الحقوق الواجبة عليها، وأن الانفاق في الحقوق حجاز دون الهوى حيث يقول: (وزعمت أن كسب الحلال مُضمن بالإنفاق في الحلال وأن الخبيث ينزع إلى الخبيث، وأن الطيب يدعو الى الطيب وان الانفاق في الهوى حجاب دون الحقوق، وان الانفاق في الحقوق حجازٌ دون الهوى، فعبتم عليّ هذا القول، وقد قال معاوية: لم أرَ تبذيراً قط، إلاّ وإلى جانبه حقٌ مُضَيّع، وقد قال الحسن، إذا أردتم أن تعرفوا من أين أصاب ماله، فانظروا في اي شيء يُنفقه؟ فإنّ الخبيث ينفق في السرف)^(٢).

ويبدوا أن سهلاً في هذه الرسالة لا يحفل بالتصوير البياني، اذ نقل الصورة البيانية فيها من تشبيهات واستعارات وكنيات.

الا ما جاء عفو الخاطر

ب. رسالة الكاتب أحمد بن يوسف إلى الخليفة المأمون^(٣)

(أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْمَخْلُوعَ قَسِيمَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي النَّسَبِ وَاللَّحْمَةِ قَدْ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا حُكْمَ الْكِتَابِ فِي الْوَلَايَةِ وَالْحَرْفَةِ بِمَفَارِقِهِ، عَصَمَتَهُ الدَّقِيقَةُ وَخُرُوجَهُ عَنْ إِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ، لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيمَا اقْتَصَرَ مِنْ أَبْنَاءِ نُوحٍ وَأَبْنِهِ (إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ

(١) يُنظر: صحيح البخاري كتاب الهبة وفصلها: ٨٤٩/٢ برقم ٢٤٢٩.

(٢) البخلاء للجاحظ: ١٣، معاوية: هو معاوية بن ابي سفيان، والحسن: الحسن البصري.

(٣) امراء البيان العربي: ١/ ٢٢٠.

عَمَلٌ غير صَالِح) ولا طاعةً لأحدٍ في معصية الله، ولا قطيعة ما كَانَتْ في ذاتِ الله، وكتابي إلى أمير المؤمنين وقد أنجز الله له ما كان ينتظر من سابقِ وَعْدِهِ، والحمد لله الراجح إلى أمير المؤمنين معلوم حقه، الكائد له فيمن خان عهده ونقض عقده، حتى رَدَّ به الألفة بعد فرقتها، وجمع به الأمة بعد شتاتها واضاء، به أعلام الدين بعد دروسها).

التحليل

إن الكاتب أحمد يوسف في كتابه هذا إلى المأمون، قد بين مكانة الخليفة محمد الأمين في الدولة بعد خلعه من قبل أخيه المأمون، حيث أوضح الكاتب أن الأمين قد حكم على غير هدى الكتاب العظيم في الولاية بابتعاده عن قوانين الإسلام، وآثر القطيعة فيما بينه وبين أخيه المأمون، بعد أن أمرته الدنيا بزخرفتها، لذلك سخر منه أحمد بن يوسف متهمًا منه متهمًا إياه بالخروج عن اجماع المسلمين، وشبه خروجه بأبن نوح الذي اقتص الله تعالى منه وكان من الهالكين لعدم أطاعته نبي الله نوح، فانجز الله وعده فيه وذلك في قوله: (ولا طاعة في معصية الله، ولا قطيعة ما كانت في ذات الله وكتابي إلى أمير المؤمنين وقد أنجز الله له ما كان ينتظر من سابق عهده)^(١).

ثم أن الكاتب يفرع أشد الفرع والتهكم بالأمين المخلوع لاتهامه أياه بفرقة المسلمين وتشيت الأمة والسعي إلى شق عصا الأمة حيث يقول: (والحمد لله الراجح إلى أمير المؤمنين معلوم حقه، الكائد له فيمن خان عهده، ونقض عهده، حتى رَدَّ به الألفة بعد فرقتها وجمع به الأمة بعد شتاتها، وأضاء به أعلام الدين بعد دروسها)^(٢).

(١) امراء البيان العربي: ١ / ٢٢٠ .

(٢) المصدر نفسه: ١ / ٢٢٠ .

ج. رسالة عمر بن مسعدة في المناظرة بين عبد العزيز بن يحيى المكي وبين بشر بن غياث المريسي بحضور المأمون في مسألة خلق القرآن^(١):

قال عمرو بن مسعدة لعبد العزيز بن يحيى وعود: (أَيُّهَا الرَّجُلُ قَدْ حَمَلْتَ
نَفْسَكَ عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ، وَبَلَغْتَ الْغَايَةَ فِي مَكْرُوهِهَا، وَتَعَرَّضْتَ لِمَا لَا قِوَامَ لَكَ بِهِ فِي
مُخَالَفَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَادْعَيْتَ بِمَا لَا يَثْبُتُ لَكَ بِهِ حُجَّةٌ عَلَى مُخَالَفَتِكَ، وَلَا لِأَحَدٍ
غَيْرِكَ، وَلَيْسَ وَرَاءَكَ بَعْدَ الْحُجَّةِ عَلَيْكَ إِلَّا السِّيفُ فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ وَبَادِرْ أَمْرَكَ، قَبْلَ أَنْ
تَقَعَ الْمَنَاظَرَةُ وَتَظْهَرَ عَلَيْكَ الْحُجَّةُ فَلَا تَتَنَفَّعَكَ النَّدَامَةُ، وَلَا يَقْبَلَ مِنْكَ مَعْذَرَةٌ، وَأَنَا
أَسْتَقْبِلُ لَكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَسْأَلُهُ الصَّفْحَ عَنْ جَرْمِكَ، وَعَظِيمَ مَا كَانَ مِنْكَ، إِذَا
أَظْهَرْتَ الرَّجُوعَ عَنْهُ وَالنَّدَمَ عَلَى مَا كَانَ، وَأَخَذَ لَكَ الْأَمَانَ مِنْهُ وَالْجَائِزَةَ، فَإِنْ كَانَتْ
لَكَ ظُلَامَةٌ أَزَلَّتْهَا عَنْكَ، وَإِنْ كَانَتْ لَكَ حَاجَةٌ قَضَيْتُهَا لَكَ، فَإِنَّمَا جَلَسْتُ رَحْمَةً لَكَ مِمَّا
هُوَ نَازِلٌ بِكَ بَعْدَ سَاعَةٍ إِنْ أَقِمْتَ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ، وَرَجَوْتُ أَنْ يَخْلُصَكَ اللَّهُ تَعَالَى
عَلَى يَدَيَّ مِنْ عَظِيمٍ مَا أَوْقَعْتَ نَفْسَكَ فِيهِ).

التحليل

إن هذه المناظرة دارت ما بين عبد العزيز بن يحيى وبشر بن غياث فيما
يخص خلق القرآن، حيث أن عمر بن مسعدة قد بين متولى ذلك الرجل ومقدرته في
المناظر وخاصة في موضوع حساس وهو خلق القرآن، حيث إن الخليفة المأمون كان
قد حضر المناظرة، وقد تهكم عمرو بن مسعدة من عبد العزيز بن يحيى بعد أن دعى
بأمور مخالفة للشرع الإسلامي وليس له دليل أو حجة تثبت أعماله وادعائه، فأتهم
بالخروج في هذه المناظرة عن نهج الإسلام حيث يقول: (وَتَعَرَّضْتَ لِمَا لَا قِوَامَ لَكَ بِهِ

(١) امراء البيان العربي: ١/ ٢٠٩ .

في مخالفة أمير المؤمنين، وادعيت بما لا ثبت لك حجة على مخالفتك ولا لأحد
غبرك^(١).

ثم يوضح إنه قد أخذ له الأمان، مخاطباً إياها ساخراً من أفعاله بقوله: (وانا
استقبل لك أمير المؤمنين وأسأله الصفح عن جرمك، وعظيم ما كان منك... فأن
كانت لك ضلالة ازلتها عنك وإن كانت لك حاجة قضيتها لك)^(٢).

١ () امراء البيان العربي: ١ / ٢٠٩ .

٢ () المصدر نفسه: ١ / ٢٠٩ .

الفصل الثالث

الدراسة الفنية في آدب الفكاهة في القرنين الأول والثاني الهجريين المبحث الأول :

الخصائص الفنية لشعر السخرية والفكاهة في صدر
الاسلام والعصر الاموي والعباسي الاول

المبحث الثاني:

- أ. الخصائص الفنية الساخرة في نثر ادب الفكاهة في صدر
الاسلام والعصر الاموي
- ب. الخصائص الفنية الساخرة لمضامين الرسائل الديوانية
الادبية والاخوانية والديوانية في نثر العصر العباسي الاول
- ج. اختيار الالفاظ الساخرة وزخرفتها في نثر العصر العباسي
الاول

المبحث الأول

الخصائص الفنية لشعر السخرية
والفكاهة في صدر الاسلام
والعصر الاموي والعباسي الاول

الخصائص الفنية لشعر السخرية والفكاهة في صدر الإسلام

والعصر الأموي والعباسي الأول

من الطبيعي ألا يكون الشعراء في صدر الإسلام والعصر الأموي على درجة واحدة من الالتصاق بعقيدتهم الإسلامية، وانصهار وجدانهم بها، ومن هنا اختلفت تجاربهم الشعرية الساخرة في الانفعال، وقدرة على التعبير من ذلك الانفعال التهكمي فتفاوتت أشعارهم، ومع ذلك فثمة سمات عامة يمكن ان يتميز بها شعر تلك الفترة. ومن تلك السمات أن أشعارهم كانت تعبيراً، جمالياً مؤثراً، عن مواقف وتجارب وتصورات أولئك الشعراء إزاء الكون والحياة والإنسان، فقد حاول الشعراء التوفيق بين جمالية النص من جهة وتأثيره من ناحية ثانية أخرى وقد اتسم شعرهم بما يلي:-

١- القص التهكمي الساخر والاقتباس من القرآن الكريم:

لقد استحوذت قصص القرآن على مشاعر الناس في مختلف العصور الإسلامية، وقد توخى هؤلاء الشعراء الغاية التي كانت ترمي إليها قصص القرآن الكريم وهي الاتعاض والاعتبار، كما اتخذوا من الآيات في أشعارهم أسلوباً للتهكم من تلك الأمم كدولة فارس التي انهار حكمها، وصار أبناء فارس يرعون شياه المسلمين، بعد أن كانوا ملوك وسادة الدنيا فانهار حكمهم، وصار كأنه أضغاث أحلام، حيث حاول الشاعر الإسلامي النابغة الجعدي تشبيه كل ذلك بملك سبأ، الذي أتى عليه سيل العرم من القواعد، فانهار وتهدم، كما قص ذلك القرآن الكريم في سورة سبأ: ﴿لَقَدْ كَانَ

لَسَبًا فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا

لَهُ. بَلَدٌ طَيِّبٌ وَرَبُّ غَفُورٌ ﴿٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ ﴿٦﴾ (١)

فقال (٢): يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلْ تَرَوْنَ إِلَى

فَارِسَ بَادَتْ وَجَدُّهَا رَغْمًا

أَمْسُوا عَبِيدًا يَزْعَوْنَ شَاءَكُمْ

كَأَنَّمَا كَانَ مُلْكُهُمْ حُلْمًا

مِنْ سَبَأِ الْخَاضِرِينَ مَا رُبَّ إِذْ

يَبْنُونَ مِنْ دُونِ سَيْلِهِ الْعَرِمَا

وعندما مدح الشاعر الأموي الشمردل بن شريك (٣)، هلال بن احوز المازني واستماحه، فوعده الرغد، ثم رده زماناً حتى ضجر، ثم أمر له بعشرين درهماً، فدفعتها إليه وكيّله غلةً، فردها وقال يتهمكم منه بأن لو كان معه مثل كنز قارون، وقيل له: انتظر رفته، لما قصده وعاد إليه، وقارون ضمن قص القرآن غناه وكثرة ماله بمثل قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا

(١) سورة سبأ، الآية: ١٥، ١٦.

(٢) ديوان النابغة الجعدي: ١٤٩.

(٣) الأغاني للأصفهاني: ١١٢/١٢، الشمردل بن شريك بن رؤية من قواد الدولة الأموية.

أَوْفَى قَدْرُونَ إِنَّهُ، لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ^(١)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ قَدْرُونَ كَانُوا مِنْ قَوْمٍ مُوسَى فَبَغَى

عَلَيْهِمْ^(٢) وَأَيَّنْتَهُ مِنْ الْكُؤُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ^(٣)).

قال الشمر دل^(٤):

وَلَوْ قِيلَ مَثَلًا كُنْزُ قَارُونَ عِنْدَهُ

وَقِيلَ التَّمَسُّ مَوْعُودُهُ لَا أَعَاوِدُهُ

ويسخر الشاعر الإسلامي عبد الله بن الحارث من قريش لجحودها حق الله، مشبهاً جحودهم بجحود عاد ومدين والحجر، وثمود، وكل أولئك الأقوام قصَّ القرآن جحودهم في آيات كثيرة، وفي سور مختلفة، قال^(٥):

وَتِلْكَ قَرِيشٌ تَجَحَّدُ اللَّهُ حَقَّهُ كَمَا جَحَدَتْ عَادٌ وَمَدْيُنُ وَالْحِجْرُ.

ووجد الشعراء في قصص الأنبياء التي سردها القرآن الكريم كنزاً يستمدون منه تشبيهاتهم، ويلتمسون فيه الصور التي يرسمون، فعندما يريد النابغة الجعدي أن يتهم من رجال لا يجد خيراً من الإشارة إلى قصه السامري وموسى، التي منها قول موسى للسامري: ﴿فَاتِّبِ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا

مِسَاسَ^(٦)، فحرمه مخالطة الناس عقوبة له، فقال الشاعر الجعدي^(٧):

١) سورة القصص، الآية: ٧٩.

٢) سورة القصص، الآية: ٧٦.

٣) شعراء أمويون: ٥٢٤/٢؛ الاغاني للأصفهاني: ١١٥/١٢.

٤) السيرة النبوية لأبن هشام ٣٣١/١.

٥) سورة طه: آية ٩٧.

فأَصْبَحَ فِي النَّاسِ كَالسَّامِرِيِّ إِذْ قَالَ مُوسَى لَهُ: لَا مَسَاسَا

ولما أراد حسان بن ثابت السخرية من صفوان بن أمية، الذي كان قد أمر بنيه أن يدخلوا بيت رجل كان بينه وبينه شيء ففعلوا، فعمد حسان إلى المقارنة بين هذه الوصية ووصية يعقوب بنيه التي قصّها القرآن، وشتانَ بينهما، إذ وصّى يعقوب بنيه: ﴿يَبْنِي إِنْ أَلَّهَ أَصْطَفَى لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ

مُسْلِمُونَ﴾^(٢)

قال حسان^(٣):

والله ما أوصى أُمِّيَّةَ بَكْرِهِ بِوَصِيَّهِ أَوْصَى بِهَا يَعْقُوبُ

ويفصل حسان بن ثابت قصه قرآنية في تهكمه وسخريته من المشركين حيث يقول^(٤):

يَكُونُ إِذَا بَثَّ الْهَجَاءُ لِقَوْمِهِ وَلَا حَ شِهَابٍ مِنْ سَنَا الْحَرْبِ وَإِقْدٌ
كَأَشْقَى تَمُودٍ أَذْ تَعَاطَى لَحِينِهِ عَضِيلَةٌ أَمَّ السَّقْبِ وَالسَّقْبُ وَارِدٌ
فَوَلَّى فَأَوْفَى عَاقِلًا رَأْسَ صَخْرَةٍ نَمَا فَرَعُهَا وَأَشْتَدَّ مِنْهَا الْقَوَاعِدُ

فَقَالَ:

أَلَا فَاسْتَمْتِعُوا فِي دِيَارِكُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ ذِكْرُ لَكُمْ وَمَوَاعِدُ

(١) ديوان النابغة الجعدي: ١٠١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٣٢.

(٣) شرح ديوان حسان بن ثابت: ٢٨٤.

(٤) المصدر نفسه: ١٧٦-١٧٧. والسقب: ولد الناقة.

ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ بَتَصْدِيقِ الَّذِي قَالَ رَائِدُ

فحسان يشبه متهمه بأشقى ثمود، الذي عقر ناقة النبي صالح وكان شؤماً على قومه، وقص تعالى حديثه بقوله: ﴿إِذْ أَنْبَعَتْ أَشَقَيْنَهَا﴾ فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقيناها^(١) وفي قول حسان: إِذْ تَعَاطَى لَحِينَهُ، استعان بقصة ثمود أيضاً: ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَمَقَرَ﴾^(٢)

ثم ينتقل في الآيتين الآخرين إلى إشارة أخرى من تلك القصة: ﴿فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ هَلْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٣)

وهكذا التقط الشاعر إشارات من قصة متكاملة وردت في أكثر من موضع في القرآن، وفي سور مختلفات، اعتماداً على فطنة السامع ومعرفته بتفاصيل تلك القصة. وهكذا كان دأب أكثر الشعراء فهم يكتفون بإيراد رموز، ولا يفصلون الحديث اعتماداً على فطنة السامع وحفظه القرآن. والشاعر النصراني الأخطل يزخر شعره بإشارات سريعة لقصص الأنبياء التي كان يخفيها في ذاكرته، فيخاطب يزيد بقوله^(٤):

أَمَّا يَزِيدُ، فَاتِي لَسْتُ نَاسِيَهُ
حَتَّى يُعَيِّبَنِي فِي الرِّمَسِ مَلْحُودُ

(١) سورة الشمس، الآية: ١٢، ١٣.

(٢) سورة القمر، الآية: ٢٩.

(٣) سورة هود، الآية: ٦٥.

(٤) شرح ديوان الأخطل: ٩٧/١.

وعندما يسخر من نفيع بن صفار المحاري، الذي الحَّ في الفخر بقومه وأيامهم على التغلبيين، يشير الأخطل إلى حيَّة موسى التي توسلها يوم أيَّده الله بنصره والتي ذكرها القرآن في قصة موسى وفرعون بقوله تعالى: ﴿فَالْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾^(١) فقال الأخطل^(٢):

إِلَّا يَا بَنَ صَفَّارٍ فَلَا تَرُمُ الْعُلَا وَلَا تَذْكُرْنَ حَيَّاتِ قَوْمِكَ فِي الشَّعْرِ
فَقَدْ نَهَضْتَ لِلتَّغْلِبِيِّينَ حَيَّةً كَحَيَّةِ مُوسَى يَوْمَ أُيِّدَ بِالنَّصْرِ

وقد يورد الشاعر شيئاً من قصص الغابرين وشيئاً من قصص الانبياء، ويجمع بينهما حين يكون ذكرهما يفيد العبرة والاتعاظ.

ويظهر تأثر الفرزدق بقصص القرآن واضحاً، وهو يسخر من ابليس في قصيدته الميمية المعروفة حيث يقول^(٣):

يَظُلُّ يَمْنِينِي عَلَى الزَّحْلِ وَارِكَاً يَكُونُ وَرَائِي مَرَّةً وَأَمَامِي
يُبَشِّرُنِي أَنْ لَنْ أُمُوتَ وَأَنَّهُ سَيَخْلِدُنِي فِي جَنَّةٍ وَسَلَامٍ
فَقُلْتُ لَهُ: هَلَا أَخِيكَ أَخْرَجَتْ يَمِينُكَ مِنْ خُضْرِ الْبُحُورِ طَوَامٍ
رَمَيْتَ بِهِ فِي الْيَمِّ لَمَّا رَأَيْتَهُ كَفَرَقَةٍ طَوْدِي يَذْبُلُ وَشَمَامٍ
فَلَمَّا تَلَاقَى فَوْقَهُ الْمَوْجُ طَامِيَاً نَكَصَتْ وَلَمْ تَحْتَلْ لَهُ بِمَرَامٍ
أَلَمْ تَأْتِ أَهْلَ الْحَجَرِ وَالْحَجَرِ أَهْلُهُ بَأْنَعَمَ عَيْشٍ فِي بُيُوتِ رُخَامٍ

(١) سورة طه، الآية: ٢٠.

(٢) شرح ديوان الأخطل ١/١٨٧.

(٣) ديوان الفرزدق: ٢١٧/٢-٢١٨. الاخي هنا: فرعون الذي اغرقه الله سبحانه وتعالى في البحر. نكص: جبن وتراجع. أهل الحجر: ثمود. اللقوح: الناقة التي تحمل الموت والهلاك والعقاب.

فَقُلْتُ: اغْفِرُوا هَذِي اللَّقُوحَ فَإِنَّهَا لَكُمْ، أَوْ تُنِخُوها، لَقُوحٌ غَرَامٌ
فَلَمَّا أَنَا خُوهَا تَبَرَّأْتُ مِنْهُمْ وَكُنْتُ نَكُوصاً عِنْدَ كُلِّ ذِمَامٍ
وَأَدَمٌ قَدْ أَخْرَجْتُهُ، وَهُوَ سَاكِنٌ وَزَوْجَتُهُ، مِنْ خَيْرِ دَارٍ مَقَامٍ

والفرزدق في هذه الأبيات أفاد من ثلاث قصص قرآنية، إذ أشار في الابيات ٥-٣ إلى قصه فرعون الذي غرق وجنده في البحر، تلك القصة التي فصلها القرآن، وختمها بقوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُوثَهُ، فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَأَنْظَرَ كَيْفَ

كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾^(١).

وهو يشير في الأبيات ٦-٨ إلى قصة قوم ثمود. وفي البيت الأخير يشير إلى قصة إخراج آدم وزوجه من الجنة التي ختمها القرآن بقوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾^(٢).

اذ نهج شعراء صدر الإسلام والعصر الأموي نهج القرآن والحديث النبوي، وحاولوا تقليد أسلوبهما، فقد كان القرآن يمثل الذروة العليا في البلاغة العربية ويليها الحديث النبوي في ذلك.

فاقتباس الشعراء منهما إنما يعني محاولة التقرب من تلك الذروة العالية، وكلما ازداد الشاعر في اقتباسه كان أقرب إلى تلك الذروة.

(١) سورة القصص، الآية: ٤٠؛ وانظر: سورة طه الآيات: ٧٧-٧٩.

(٢) سورة البقرة، آية: ٣٦؛ وانظر: سورة طه الآيات: ١١٧-١٢٣.

ومن ذلك قول حمزة بن عبد المطلب متحدثاً وساخرأً من الشيطان وقال لهم^(١):

إِذْ عَايَنَ الْأَمْرُ وَاضِحاً بُرِئْتُ إِلَيْكُمْ مَا بِيَ الْيَوْمَ مِنْ صَبَرٍ
فَأَنِّي أَرَى لَا تَرَوْنَ وَائْتَنِي أَخَافُ عِقَابَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو قَسَرٍ

أقتبس صدر البيت الثاني من نص الآية^(٢): ﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾

وقول حسان أيضاً^(٣):

وَهَلْ يَسْتَوِي ضَلَالُ قَوْمٍ تَسْفَهُوا عَمَى وَهْدَاةٌ يَهْتَدُونَ بِمُهْتَدٍ

أخذ هذا المعنى من قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾^(٤)

٢- الأسلوب:

قد لا يختلف الشعر الإسلامي عن الشعر الجاهلي في أسلوبه كثيراً، لأنه امتداد له، ولأن شعراء الإسلام هم أنفسهم شعراء الجاهلية، ولذلك سموا بـ(المخضرمين) وهو مصطلح أدبي جديد يعني من أدرك عصر الجاهلية وعصر الإسلام، وقال الشعر فيهما.

١) السيرة النبوية لابن هشام: ٨/٢.

٢) سورة الأنفال، الآية: ٤٨.

٣) شرح ديوان حسان بن ثابت: ١٤٤.

٤) سورة الرعد، الآية: ١٦.

ومع ذلك فثمة خصائص جديدة بدأت مع الإسلام، الذي فتح أمام الشعراء آفاقاً رحبة جديدة لم يلجوها من قبل، ثم تعمقت تلك الخصائص وتأكدت في العصر الأموي، سواء من حيث بناء القصيدة وتقاليدها، أو الصور والأخيلة، أو الألفاظ والتراكيب والمعاني وقد اتسم الأسلوب بما يلي.

أ- التكرار:

ويعد التكرار سمة بارزة من سمات الشعر الإسلامي، وقد يكون الشعراء متأثرين بالأسلوب القرآني الذي كثيراً ما اعتمد التكرار من أجل التقرير والتأكيد فالشعراء سلكوا هذا المذهب للتأكيد والإفهام والإقناع، ومن التكرار الذي يفيد التأكيد منه تكرار ثابت بن قطنه في قوله^(١):

فَدَتِ نَفْسِي فَوَارِسٌ مِنْ تَمِيمٍ غَدَاهُ الرُّوعُ فِي ضَنْكَ الْمَقَامِ
مَرَّتْ نَفْسِي فَوَارِسٌ اكْتَفُونِي عَلَى الْإِعْدَاءِ فِي رَهْجِ الْقِتَامِ

والتكرار ظاهرة عامة في الشعر الأموي، وقد تكون أكثر وضوحاً فيه من العصر الإسلامي ومنه تكرار جرير اسم من يسخر منه مرات عديدة، كقوله في بني نمير قوم الشاعر النميري: حيث كرر اسمهم في قصيدة واحدة اثنتين وعشرين مرة، حيث قال فيها^(٢):

وَقَدْ حَلَّتْ نِسَاءُ بَنِي نَمِيرٍ وَمَا عَرَفَتْ أَنْامِلَهَا الْخِضَابَا
إِذَا حَلَّتْ نِسَاءُ بَنِي نَمِيرٍ عَلَى تَبْرَاكِ حَبْثِ التَّرَابَا
وَلَوْ وَزَنْتُ حُلُومَ بَنِي نَمِيرٍ عَلَى الْمِيزَانِ مَا وَزَنْتُ ذَبَابَا
فَصَبْرًا يَا تَيْوُسُ بَنِي نَمِيرٍ فَإِنَّ الْحَرْبَ مُوقَدَةٌ شَهَابَا

(١) تاريخ الامم والملوك للطبري: ٦١١/٦.

(٢) شرح ديوان جرير: ٧٣/١-٧٤.

لَعَمْرُ أَبِي نِسَاءُ بَنِي نَمِيرُ لَسَاءَ لَهَا بِمَقْصَبَتِي سَبَابَا

ومن تكرار الشعراء الأمويين قول الفرزدق، حيث كرر لفظة (عشية) أربع مرات في أربعة أبيات متتاليات^(١)

عَشِيَّةٌ لَمْ تَمْنَعْ بِنِيهَا قَبِيلَهُ يَعِزُّ عِرَاقِي وَلَا بِيَمَانَ
عَشِيَّةٌ مَا وَدَّ ابْنُ عَرَاءَ أَنَّهُ لَهُ مَنْ سِوَانَا إِذْ دَعَا أَبَوَانَ
عَشِيَّةٌ وَدَّ النَّاسُ أَنَّهُمْ لَنَا عَبِيدَ، إِذَا الْجَمْعَانِ يَضْطَرِبَانِ
عَشِيَّةٌ لَمْ تَسْئُرْ هَوَازِنُ عَامِرٍ وَلَا غَطَفَانُ عَوْرَةَ ابْنِ دُخَانَ

ب- بناء القصيدة:

لقد تحرر معظم الشعراء في هذا العصر من الالتزام بكثير من تقاليد الجاهليين في شعرهم كمخاطبة الأنين، وهو التقليد الذي يحرص الشعراء الجاهليون على إيرادها في أشعارهم لطبيعة حياتهم المحتاجة إلى الأصحاب والرفاق.

كما تحرروا في الحديث عن تجربة الناقة والجمال والصحراء والرحلة، وما يستتبعها من ألفاظ تعبر عن تلك الرحلة.

تلك التجارب التي كان يحفل بها الشعر الجاهلي، واستبدلوا بها تجارب جديدة، اقتضتها طبيعة حياتهم الجديدة وتحرر معظم الشعراء من المقدمات الطللية أو الغزلية التقليدية، واستبدلوا بها أحياناً مقدمات دينية جديدة، ظهرت بدايتها في العصر الإسلامي، ثم شاعت فيما بعد في العصر الأموي.

(١) تاريخ الامم والملوك للطبري: ١١٠/٨، أحداث سنة ٩٦؛ ديوان الفرزدق: ٣٠٥.

حيث يقول الدكتور يوسف خليف عن هذه المقدمات (والشيء الذي نريد أن نسجله هو أن هذه المقدمة تعد شيئاً جديداً في الشعر العربي في ذلك الوقت، وأنها تعد بلا شك في ذلك عندي – مقدمه لظهور المقدمات الدينية في هاشميات الكميت)^(١).

وقد انتشرت تلك المقدمات الدينية في العصر الأموي، وتحتوي دواوين الكميت والعجاج ورؤية وذو الرمة على الكثير منها.

وتصدرت أشعار تلك الفترة لفظه (ابلع) ومشتقاتها، وتكررت في مطلع كثير من قصائد الشعراء، لطبيعة الجدل والحجاج التي سيطرت على أشعارهم، ولحرص كل فريق على إيصال خطابه إلى الفريق الآخر.

فحسان بن ثابت مثلاً يُصَدَّر قصيدته في التهكم والسخرية من أبي لهب بقوله^(٢)

أَبَا لَهَبٍ أَبْلَغُ بِأَنَّ مُحَمَّدًا سَيَعْلُو بِمَا أَدَّى وَإِنْ كُنْتَ رَاغِمًا
وَلَوْ كُنْتَ حُرًّا فِي أَرْوَمَةِ هَاشِمٍ وَفِي سِرِّهَا مِنْهُمْ مَنَعْتَ الْمَظَالِمَا

وحين تهكم من الضحّاك بن خليفة الأشهلي بقوله^(٣)

ابْلَغُ أَبَا الضَّحَّاكِ أَنَّ عُرُوقَهُ أُعْيِتْ عَلَى الْإِسْلَامِ إِنْ تَتَمَجَّدَا

ونجد هذه الصيغة في مطلع قصائد كعب بن مالك أيضاً، مثل قوله^(٤)

١ () حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة: ٣٨٢ .

٢ () شرح ديوان حسان بن ثابت: ٤٦٥ .

٣ () المصدر نفسه: ٢٠٣ .

٤ () ديوان كعب بن مالك: ٢١٧ .

أبلغ ابياً أنه قال رأيَه وحانَ عداةُ الشَّعبِ والحين واقِعُ

وقد شاع هذا التقليد عند كثير من الشعراء بعد حسان وكعب، كالوليد بن عقبه الذي يقول^(١)

ألا أبلغُ معاويةَ بنَ حَرَبٍ فإنَّكَ مِنْ أَخِي ثِقَّةٌ مُلِيمٌ

وأبي الأسود الدؤلي الذي يقول^(٢)

ألا أبلغُ معاويةَ بنَ حَرَبٍ فلا قرَّت عيونُ الشَّاميتينَا

وقد كان لهذا الأسلوب صدهاء الكبير في أشعار المسلمين، فانفقوا به واندفعوا في سلوك طريقه وإن كان ذلك متأخراً، فقد غاب هذا الأسلوب عن أشعار صدر الإسلام، ولم نجد صدهاء إلا في بعض الشذرات المتناثرة في إشعارهم، كقول حسان بن ثابت لأبي سفيان بن الحارث قبل فتح مكة^(٣).

هَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتَ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتُ لَهُ بِكُفُوٍ فَشَرِكُمَا لِخَيْرِكُمَا الْفِدَاءُ

وفي هذين البيتين نفحه من أسلوب القرآن في المناقشة.

١) شعراء أمويون: ٥٥/٣؛ تاريخ الامم والملوك للطبري: ٢٣٦/٥.

٢) تاريخ الامم والملوك للطبري: ٦ / ٨٧، أحداث سنة ٤٠.

٣) شرح ديوان حسان بن ثابت: ٧٦.

وتأكد هذا الأسلوب في العصر الأموي، وجسده شعراء الأحزاب والفرق الإسلامية بعد أن ساد في عصرهم علم الكلام في مسائل العقيدة داخل حلقات الدرس والمناظرة.

ونلمح طرفاً من هذا الأسلوب في المناقشات العقلية، ولعل أشهر نقيضتين استمعت إليها هذه الحقبة، واتجهت إليها أنظار الباحثين في موضوع النقائض هما النقيضتان اللتان دارتا بين كعب بن جُعيل^(١) شاعر معاوية، والنجاشي الحارثي^(٢) شاعر علي فقد قال كعب في قصيدته^(٣):

وَأَهْلُ الْعِرَاقِ لَهُمْ كَارِهُونَا	أَرَى إِشْتَامَ تَكْرَهُ مُلْكَ الْعِرَاقِ
يَرَى كُلَّ مَا كَانَ مِنْ ذَاكَ دِينَا	وَكُلَّ لِصَاحِبِهِ مُبْغِضٍ
فَقُلْنَا: رَضِينَا ابْنَ هَنْدٍ رَضِينَا	وَقَالُوا: عَلَيَّ إِمَامٌ لَنَا
يَرَى غَتًّا مَا فِي يَدَيْهِ سَمِينَا	وَكُلُّ يَسْرٍ بِمَا عِنْدَهُ
مَقَالَ سِوَى ضَمِّهِ الْمُحْدِثِينَا	وَمَا فِي عَلَيٍّ لِمُسْتَعْيِبٍ
وَلَا فِي النَّهْآةِ وَلَا الْأَمْرِينَا	وَلَيْسَ بِرَاضٍ وَلَا سَاخِطٍ

فأمر علي (عليه السلام) شاعره الحارثي النجاشي أن يرد عليه، فقال له^(٤):

وَأَهْلَ الْحِجَازِ، فَمَا تَصْنَعُونَ؟	أَتَاكُمُ عَلَيٌّ بِأَهْلِ الْعِرَاقِ
وَضَرَبَ الْقِوَانِسَ فِي النَّقْعِ دِينَا	يُرُونَ الطَّعَانَ خِلَالَ الْعَجَاحِ

١) هو كعب بن جُعيل بن نمير بن عجرد عوف بن بكر بن حبيب التغلبي الشاعر، انظر: الأخبار الطوال، ٢٣٣.

٢) هو قيس بن عمرو بن مالك، من بني حارث بن كعب، انظر: المصدر نفسه، ٢٣٣.

٣) الأخبار الطوال للدنيوري: ٢٣٣-٢٣٤؛ أحمد الشايب: تاريخ النقائض في الشعر العربي: ١٢٥.

٤) ديوان الحارث النجاشي: ٦١؛ أحمد الشايب: تاريخ النقائض في الشعر العربي، ١٢٥؛ الأخبار الطوال: ٢٣٣-٢٣٤.

جَعَلْتُمْ عَلِيًّا وَأَشْيَاعَهُ نَظِيرَ ابْنِ هِنْدٍ، أَمَا تَسْتَحُونَا

فالنجاشي هنا ينقض على كعب قصيدته ساخرًا منه، ذلك أنه يقول إذا كانت الشام تكره ملك العراق، كما يقول كعب - فإنَّ العراق - كما يقول النجاشي - يرضى بل أن الحجاز أيضاً يرضى به، وإذا كان كعب يجعل معاوية نظير علي، فإنَّ هذا في رأي النجاشي تبجح وعدم استحياء، فما يستوي علي ومعاوية، إلا عند قوم يقلبون الحقائق، ولا يستحون من أن يجعلوا الغث والسمين يستويان والنجاشي يقدم لهذا الرد بنصيحة يوجهها إلى معاوية بأن يتخلى عن آماله التي لن تتحقق.

وقد اثر هذا الأسلوب بالشعراء، مثل الشاعر الأموي إبراهيم بن المهاجر، وهو من أوائل الدعاة في العصر الأموي، سلك مسلك الكمية عندما أراد مناقشة الأمويين حول حق بني العباس في الخلافة، حيث يقول^(١):

أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا أَخْبِرْكُمْ
عَجَبًا زَادَ عَلَى كُلِّ الْعَجَبِ
عَجَبًا مِنْ عَبْدٍ شَمْسٍ، أَنَّهُمْ
فَتَحُوا لِلنَّاسِ أَبْوَابَ الْكُذْبِ

أمَّا الفرق الدينية، كالمرجئة وغيرهم، وقد تناول شعراؤهم كثيراً من تلك المحاورات والمناظرات القائمة على العقل والمنطق مثل قصيدة شاعر فرقة المرجئة ثابت بن قطنه^(٢)، حيث يقول ساخرًا منهم^(٣)

يَا هِنْدُ فَاسْتَمِعِي لِي إِنَّ سِيرَتَنَا
أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ لَمْ نُشْرِكْ بِهِ أَحَدًا

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر: ٣٤/٣.

(٢) هو ثابت بن كعب وقيل ابن عبد الرحمن بن كعب ويلقب أبا العلا أخو بني أسد بن الحارث قيل هو مولى لهم. لقب قطنه لأنه أصيب بسهم في عينيه، فكان يجعل عليها قطنه، وهو شاعر فارس شجاع من شعراء الدولة الأموية، أنظر: الأغاني للأصفهاني: ٤٧/١٣.

(٣) المصدر نفسه: ٥٠/١٣.

نَرْجَى الْأُمُورَ إِذَا كَانَتْ مُشَبَّهَةً وَنَصَدِّقُ الْقَوْلَ فِيمَنْ جَارَ أَوْ عَنَدَا

ويحمل نصر بن سيار على المرجئة, مُسَقِّهَا عقائدهم, مُخْطِئاً سيوفهم متهماً
إياهم بالشرك ساخراً منهم حيث يقول^(١):

فَأَمْنَحْ جِهَادَكَ مَنْ لَمْ يَرْجُ آخِرَةَ	وَكُنْ عَدُوًّا لِقَوْمٍ لَا يُصَلُّونَا
وَأَقْتُلْ مُوَالِيَهُمْ مِنَّا وَنَاصِرَهُمْ	حِينَآ تَكْفُرُهُمْ وَالْعَنَاهُمْ حِينَآ
وَالْعَائِبِينَ عَلَيْنَا دِينَنَا وَهُمْ	شَرُّ الْعِبَادِ إِذَا خَابَرْتَهُمْ دِينَنَا
الْقَائِلِينَ سَبِيلُ اللَّهِ بَغْيُنَا	لِبَعْدَ مَا نَكْبُوا عَمَّا يَقُولُونَا
فَأَقْتُلْهُمْ عَضْبًا لِلَّهِ مُنْتَصِرًا	مَنْهُمْ بِهِ وَدَعِ الْمُرْتَابَ مَقْتُونَا
لَا يُبْعِدِ اللَّهُ فِي الْأَجْدَاثِ غَيْرَكُمْ	إِذْ كَانَ دِينُكُمْ بِالشَّرِكِ مَقْرُونَا
أَلْقَى بِهِ اللَّهُ رُعبًا فِي نُحُورِكُمْ	وَاللَّهُ يَقْضِي لَنَا الْحُسْنَى وَيُعْلِنَا

٣- الصور الفنية

أ- الصورة الفنية في شعر صدر الاسلام والعصر الاموي

تحتل الصورة مكانة مهمة في الدراسات الادبية والنقدية والبلاغية القديمة من حيث مجال البحث والاهتمام بتحديد ماهيتها ، ووظيفتها في العمل الادبي ومن هذه المكانة لها لابد من اعطاء موجز مبسط من خلال هذا المدخل ، فننتعرف من خلاله على المحاولات الاولى لدراسة الصورة في النقد العربي القديم ، اذ حفلت مصادرنا النقدية والبلاغية القديمة بومضات مشرفة ينفث من خلالها الجهد العربي المبدع الذي لم يغفل هذا الموضوع .

(١) تاريخ الامم والملوك لطبري ٢٢٣/٨, أحداث سنة: ١١٧.

وان كان النقاد القدامى لم ينهضوا في مفهوم الصورة في المجال الاصطلاحي الدقيق ولم يخرجوا بها عن مدلولها اللغوي ولم يتبلور عندهم بعدها النقدي باستثناء عبد القاهر الجرجاني الذي ابتدع لنا في استعمال الصورة دلالة اصطلاحية جديدة .

اذا فالجذور العربية لدراسة الصورة متوافرة ، وليست مفقودة ، وان اختلفت وتفاوتت درجة الاهتمام بين اشارات ولمحات بسيطة وعابرة وبين ادراك ووعي عميق لطبيعة الصورة وعمقها في النص الادبي مع اهتمام بالنواحي الفنية والجمالية فيها اضافة الى وقفاتهم عند (ماهية الصورة ومكوناتها كالتشبيه وادواته وانواعه والاستعارة وانماطها) (١) .

وهذا ما يدحض ويفند المزاعم التي ترمي الى القول باتهام الادب العربي القديم بالفقر في صورته لانه حافل بالصورة الفنية في اتجاهها الاول ، أي التي تحفل برسم المشاهد الطبيعية ووصفها وصفا يلّم لكل دقائقها وابعادها (٢) .

واشار الدكتور عبد الاله الصائغ في هذا الصدد الى (تفضيل ام جندب شعر علقمة غريم زوجها على شعر زوجها امرى القيس) (٣) .

ومع ما ذكرنا من اهتمام نقدنا العربي لموضوع الصورة الا اننا نعترف بان هذا النقد قد عالجها معالجة تتناسب مع ظروفه التاريخية والحضارية .

حيث اهتم كل الاهتمام بالتحليل البلاغي للصورة القرآنية . وتميز انواعها وانماطها المجازية ، وركز في دراسة الصورة الفنية عند الشعراء الكبار امثال ابي تمام والبحثري وابن المعتز ، وانتبه الى الاثارة اللافتة التي أثارته الصورة في

(١) دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العربي المعاصر: ٢٢١ .

(٢) ينظر: النقد التطبيقي والموازنات: ١٣٨ .

(٣) الصورة الفنية في سياق النص الشعري الحديث: ٤٣ .

المتلقي، وقرن هذه الإشارة بنوع من اللذة ، والتفت نوعاً ما الى الصلة بين الصورة والشعر، باعتبارها احدى خصائصه النوعية التي تميزه عن غيره (١) .

ولعل من المفيد ان نشير هنا قبل ان نستعرض جهود بعض النقاد والعلماء العرب في موضوع الصورة الى مسألة مهمة تتعلق بعدم تحديد هؤلاء العلماء الدقيق او ذكرهم الصريح للخيال واهميته في المادة خلف الاشياء في صور فنية غير مألوفة لدى المتلقي ، ولنا ان نلمس لهم العذر في ذلك بسبب انشغالهم بقضايا استنفذت طاقاتهم وطبعت دراساتهم بطابع التجزئة (٢) .

فلقد اشار الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) الى الصورة من خلال نظريته التقويمية للشعر والاشارة الى الخصائص التي تتوافر فيه فرأى ان (المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني ، وانما الشأن في اقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء ، وفي صحة الطبع وجودة السبك ، فأنما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير) (٣) .

اذا في هذا النص قد تحدث الجاحظ عن التصوير الذي يعد من اقدم النصوص في هذا المجال ، وبمثابة انه قد توصل الى اهمية جانب التجسيم في اغناء الفكر بصور حسية قابلة للحركة والنمو ، تعطي الشعر قيمته الفنية والجمالية لا يمكن للمتلقي الاستغناء عنه ، فحينما يكون الشعر جنساً من التصوير يعني هذا فكرته على اثاره صور بصرية في ذهن المتلقي ، وهي فكرة تعد المدخل الاول للعلاقة بين التصوير والتقديم الحسي للمعنى (٤) .

(١) ينظر: الصورة الفنية في التراث الفني النقدي والبلاغي – جابر عصفور : ٨ .

(٢) الصورة المجازية في شعر المتنبي – جليل رشيد فالح : ١٣ .

(٣) الحيوان للجاحظ : ١٣٢/٣ .

(٤) الصورة الفنية في التراث الفني النقدي والبلاغي : ٣١٦ .

فوجد ان ابا هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) قد اشار الى الصورة في موضوع الابانة على حد البلاغة بقوله (والبلاغة كل ماتبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه لتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن ، وانما جعلنا المعرض والقبول للصورة شرطاً في البلاغة لان الكلام اذا كانت عبارته رثة لم يسمى بليغا ، وان كان مفهوم المعنى مكشوف المغزى" (١) .

واشار العسكري الى نص العتابي عن المعنى والالفاظ واثراها في افساد الصورة (الالفاظ اجساد والمعاني ارواح وانما نراها بعيون القلوب فاذا قدمت منها مؤخرا او اخرت منها مقدما افسدت الصورة وغيّرت المعنى) (٢) .

وان عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) لم يهمل الاثر النفسي واهميته في تكوين وتشكيل الصورة حيث بدأ بالبيان العربي عنده قائما على الذوق (٣) .

ويبلغ الجرجاني ذروة ابداعه الفني والنقدي في دراسته للصورة ، حينما ينظر اليها نظرة متكاملة لاتقوم على اللفظ وحده او المعنى وحده ، بل انهما عنصران مكملان لبعضهما ، حيث يقول (اعلم ان قولنا في الصورة انما هو تمثيل وقياس لما نتعلمه بعقولنا على الذي نراه بابصارنا) (٤) .

ونلاحظ ان الشعر في صدر الاسلام كان امتدادا للشعر الجاهلية الا ان استعمال الصور البديعية قد قل من حيث الكم مع زيادة قليلة في ابداع التصوير والاقتباس من القرآن الكريم ، والتأسي بمعانيه وصوره ، فلم يقرب احد من لفظ القرآن في احتضار صفاته ورونقه وبهائه وطلاوته . حتى اضطر بعض الشعراء في

(١) كتاب الصناعتين الكتابة والشعر لابي هلال العسكري : ١٩ .

(٢) كتاب الصناعتين الكتابة والشعر لابي هلال العسكري : ١٧٩ .

(٣) اسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني : ٤١ .

(٤) الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث: ٢٤ .

هذه الفترة الى الميل في تقليد المأثور في شعر الجاهليين ، فمن ذلك قول حسان بن ثابت مستطرداً^(١) .

ان كنت كاذبة الذي حدثني به فنجوت منجى الحارث بن هشام

ترك الاحبة ان يقاتل دونهم ونجا برأس طمرة ولجام

وذلك ان الحارث بن هشام فر يوم بدر عن اخيه ابي جهل ، فحسان كان يتحدث عن معنى في صدر البيت الاول ثم انتقل الى معنى اخر جاعلا الاول سببا للثاني ، فعمل حسان ذلك وهو لا يدري ان تلك الصور تسمى الاستطراد .

وقول حسان بن ثابت في تلوين الخطاب واختلاف الاسلوب الذي فيه الالتفات^(٢) .

ان التي ناولتني فرددتها قتلت ، قتلت فهاتها لم تقتل

فقوله : قتلت ، التفت او تلوين للخطاب غير متعمد ولا متعمق .

وقوله مستعيراً يذكر قتلة عثمان رحمه الله

ضحوا باشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحا وقرأنا^(٣)

فالاستعارة في قوله : ضحوا ، لان الاصل في ضحى بمعنى ذبح والكناية في

قوله (عنوان السجود به) وقد اخذه من قوله تعالى ﴿سَيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهم مِّنْ اَثَرِ

السُّجُودِ﴾^(٤) .

وقول الحطيئة رادا اعجاز الكلام على صدره^(١)

(١) ديوان حسان بن ثابت: ٤١٩ ؛ قواعد الشعر، لابي العباس ثعلب: ٣٤ .

(٢) شرح ديوان حسان بن ثابت: ٣٦٧ ، قواعد الشعر لابي العباس ثعلب: ٦١ .

(٣) المصدر نفسه: ٤٦٩ .

(٤) سورة الفتح، الآية: ٢٩ .

إذا نزل الشتاء بدار قوم تجنب جار بيتهم الشتاء

كما ان هذا العصر قد عرف فيه بعض الشعراء الذين اشتهروا بسخريتهم ومن هؤلاء الشعراء الذين تكلموا بألم وحزن في قتالهم مع المختار الثقفي، الشاعر أعشى همدان.

حيث صرح بألم دفين بهزيمتهم أمام المختار، حيث أنه يعد ذلك الانتصار من عجائب الدهر، فيسخر الشاعر من قومه بسبب تلك الهزيمة أمام المختار حيث يقول^(٢):

وَلَمْ أَنَسْ هَمْدَانَا غَدَاةَ تَجُوسُنَا بِأَسْيَافِهَا لَا أَسْقِيَتْ صَوْبَ هَاضِبٍ
فَقُتِلَ مِنْ أَشْرَافِنَا فِي مَحَالِهِمْ عَصَائِبُ مِنْهُمْ أُرْدِفَتْ بِعَصَائِبِ
يَقْتُلُنَا الْمُخْتَارُ فِي كُلِّ غَائِطٍ فَيَا لَكَ دَهْرٌ مُرٌّ صَدَّ بِالْعَجَائِبِ

وأحيانا أخرى يسخر من بعض الخائنين الجبناء من القتال، كما اشار في قصيدته الطويلة، حيث يقول^(٣):

فَيَا أَسْفَى يَوْمَ لَا قِيَتَهُم وَخَانَتْ رَجَالُكَ فَرَارَهَا
وَأَقْبَلْتَ الْخَيْلُ مَهْزُومَةً عَثَارًا تُضْرِبُ أَدْبَارَهَا

ثم يسخر من تلك الأيام التي سقط فيها الأشراف من الكوفة فيقول^(٤):

وَأَفْنَى الْحَوَادِثُ سَادَاتِنَا وَمَرُّ اللَّيَالِي وَتَكَرَّرُهَا

(١) شرح ديوان الحطيئة : ٥٨ .

(٢) الأخبار الطوال: ٤٣٩-٤٤٠ .

(٣) تاريخ الامم والملوك للطبري ١٥٢/٧ ، أحداث سنة ٦٧ .

(٤) المصدر نفسه: ١٥٢/٧ ، أحداث سنة ٦٧ .

ويتحسر على هذه الحرب الأهلية، وتمتلئ نفسه أسفاً واسى حين يرى بعينه مصارع قومه، ولكنه يعلن أنه -مع ذلك- مسرور بما يلاقه المختار من خزي وعار ساخرًا منه^(١)

فَبَشِّرْ شِيعَةَ الْمُخْتَارِ إِمَّا	مَرَرْتَ عَلَى الْكُؤَيْفَةِ بِالصَّغَارِ
أَقَرَّ الْعَيْنَ صَرَاعَهُمْ وَفَلَّ	لَهُمْ جَمٌّ يُقَتَّلُ بِالصَّحَارِ
وَمَا أَنْ سَرَّنِي، هَلَاكُ قَوْمِي	وَأَنْ كَانُوا وَجَدَكَ فِي خِيَارِ
وَلَكِنِّي سُرَرْتُ بِمَا يُلَاقِي	أَبُو إِسْحَاقَ مِنْ خَزِي وَعَارِ

كما يتحدث في سخرية وتهكم عن كرسي المختار، ويعلن أنه يحب آل النبي، ولكنه يؤثر على هذه الشعوذات القرآن الكريم الذي نزل به الوحي على النبي، ويصف المختار وأصحابه بأنهم (سبئيي) وأنهم (شرطة الشرك). ثم يعلن في النهاية أنه مطيع لأبن الزبير: حيث يقول^(٢):

شَهِدْتُ عَلَيْكُمْ أَنْكُمْ سَبِئِيَّةٌ	وَأَنِّي بِكُمْ يَا شُرْطَةَ الشَّرْكَ عَارِفٌ
وَأَقْسِمُ مَا كُرسِبُكُمْ بِسَكِينَةٍ	وَأِنْ كَانَ قَدْ لُقْتُ عَلَيْهِ اللَّفَائِفُ
وَأَنْ لَيْسَ كَالْتَابُوتِ فِينَا وَإِنْ سَعَتْ	شِيَامُ حَوَالِيهِ وَنَهْدُ وَخَارِثُ
وَأَنِّي أَمْرُؤُ أَحْبَبْتُ آلَ مُحَمَّدٍ	وَتَابَعْتُ وَحْيًا ضَمِنَتْهُ الْمَصَاحِفُ
وَبَايَعْتُ عَبْدَ اللَّهِ لَمَّا تَتَابَعْتُ	عَلَيْهِ قُرَيْشٌ شَمَطُهَا وَالْغَطَارِفُ

ثم حين يهدأ الصراع، وينتصر مصعب بن الزبير ومن معه من أهل البصرة على المختار ومن معه من أهل الكوفة، ويشعر أهل البصرة بالزهو حين سجلوا

١) المصدر نفسه: ١٤٩/٧، أحداث سنة ٦٧.

٢) تاريخ الامم والملوك للطبري: ١٤١/٧ أحداث سنة ٦٧.

نصراً على أعدائهم التقليديين ينقلنا الشاعر الأعشى، فيسخر من أهل البصرة، وبعد انتصارات أهل الكوفة على أهل البصرة ويخص بالذكر يوم الجمل الذي انتصر فيه الكوفيون على البصريين، ويذكر أن البصريين في أيام المختار كانوا ينتصرون على أهل الكوفة، ويتهم ساخراً من هذا الانتصار الذي لا يعادل انتصار الكوفيين في يوم الجمل على عرب البصرة وساداتها، حيث يقول^(١):

أَفْخَرْتُمْ أَنْ قُتِلْتُمْ أَعْبَادَا	وَهَزَمْتُمْ مَرَّةً آلَ عَزَلْ
فَإِذَا فَاخَرْتُمُونَا فَادْكُرُوا	مَا فَعَلْنَا بِكُمْ يَوْمَ الْجَمَلِ
بَيْنَ شَيْخٍ خَاصِبٍ عَثُونَهُ	وَفَتَى ابْيَضَ وَضَاحٍ رَهْلْ
جَاءَنَا يَهْدُجُ فِي سَابِغَةٍ	فَذَبَحَتْهُ ضَحَى ذَبَحَ الْجَمَلْ

٤ - الرجز:

إن الظاهرة الفنية التي نلاحظها على شعر هذه الفترة انتشار الرجز وكثرته، فالناظر في شعر هذه الفترة يلاحظ أن الرجز كان هو اللون الشائع من الشعر في هذه الفتن والحروب، ففي كل مناسبة من المناسبات السياسية، وفي كل أيام القتال، نلاحظ أن صوت الرجز كان عالياً مدوياً إذ أن الظروف والأسباب الفنية التي وجد فيها الشعراء في الفتوح الأولى هي نفسها الظروف التي وجد فيها الشعراء في هذه الفتن والحروب، وذلك إن القتال في هذه الفترة كان قتالاً بين القبائل العربية بعضها بعضاً، لا قتالاً بينها وبين جيوش أجنبية، مما جعل القتال يتمثل في نفوس المقاتلين صورة من أيامهم القديمة في الجاهلية حيث كان الرجز يمثل اللون السائد من الشعر فيها.

(١) تاريخ الامم والملوك للطبري: ١٣٢/٧.

ولهذا نلاحظ أن يوم الجمل بالذات هو اليوم الذي اشتدت فيه سيطرة المعاني الدينية على الرجز الذي جرى على السنة المقاتلين^(١).

ولننظر في هذا الرجز الذي كان يردده عمّار بن ياسر وهو يقاتل مع علي في صفين لنرى صورة لتحول الرجز من ناحيته الموضوعية والفنية إلى فن إسلامي جديد حيث يقول^(٢):

نَحْنُ ضَرَبْنَاكُمْ عَلَى تَزْيِيلِهِ فَالْيَوْمِ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ
ضَرْباً يُنْزِلُ الْهَامَ عَنْ فَصِيلِهِ وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

هكذا خرج هذا الرجز من دائرته القديمة إلى الدائرة الإسلامية الجديدة ؟ إنَّ موضوع هذا الرجز إسلامي جديد، ومعانيه إسلامية خالصة، وأسلوبه يستمد ألفاظه من المعجم الإسلامي الجديد. لقد قاتل عمار في حياة النبي (ص) مشركي مكة - ومنهم أولئك الأمويون- دفاعاً عن كتاب الله الذي كان ينزل على النبي في ذلك الوقت، ثم دارت الأيام دورتها فإذا هو يقاتل هؤلاء الأمويين أنفسهم مرة أخرى دفاعاً عن كتاب الله الذي قاتلهم عليه من قبل هذه هي المعاني التي كانت تملأ نفس عمار وهو يقاتل في صفين، فقد عبر عنها في هذا الرجز تعبيراً إسلامياً تشيع فيه الألفاظ الإسلامية كالتنزيل والتأويل والحق وسبيل الحق.

ولهذا نجد ان الشاعر المتوكل الليثي في شعره يدور حول تلك الشعوذات التي كان يصطنعها المختار الثقفي في دعوته، وبالذات مسألة ادعائه الوحي، ومسألة الكرسي، وهو يعرض للمسألة الأولى في صورة جادة، فيناقشها مناقشة عقلية دينية، فلو كان المختار يوحى إليه لكان عَلم ذلك عند رجال الدين، ولجاءت به الأنباء

(١) انظر أمثلة على هذا الرجز في تاريخ الامم والملوك للطبري: (حوادث سنة ٦٦، ٦٧، ٦٨،

٦٩، ٧٠) في: ٩٣/٧ - ١٨١.

(٢) انظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر: ١٧/٢.

والأخبار من قبل، ولكن القرآن صريح في أن محمداً خاتم الأنبياء وآخر المرسلين، وإذن فما الحكم الذي تصدره على المختار، إنه من غير شك كذاب دجال ضالّ مضل، بل هو لا يقل عن المسيح الدجال الذي سيظهر في آخر الزمان وإذا كان المختار ومن معه يدعون أنهم خرجوا من أجل الثأر للحسين فأن هذه هي المهزلة الكبرى، لأنهم هم الذين كانوا سبباً في مصرعه، بل هم الذين قتلوه، فيسخر منهم لأنهم يقتلون القتيل، ثم يقومون في جنازته يبكون! ولكن لكل شي نهاية حيث يقول ساخرأ من أهل الكوفة وزعيمهم المختار الثقفي^(١):

قَتَلُوا حُسَيْنًا ثُمَّ هُمْ يَنْعَوْنَهُ	إِنَّ الزَّمَانَ بِأَهْلِهِ أَطْوَارُ
لَا تَبْعَدَنَّ بِالطَّفِّ قَتْلِي ضِيعَتُ	وَسَقَى مَسَاكِينَ هَامَهَا الْأَمْطَارُ
مَا شِرْطَةُ الدَّجَالِ تَحْتَ لَوَائِهِ	بَاضِلٌ مِمَّنْ غَرَّهُ الْمُخْتَارُ
أَبْنِي قَيْسٍ أَوْثَقُوا دَجَالَكُمْ	يُجَلِّي الْغَبَارُ وَأَنْتُمْ أَخْرَارُ
لَوْ كَانَ عِلْمُ الْغَيْبِ عِنْدَ أَخِيكُمْ	لِتَوَطَّأَتْ لَكُمْ بِهِ الْأَحْبَارُ
وَلَكَانَ أَمْرًا بَيْنًا فِيمَا مَضَى	تَأْتِي بِهِ الْأَنْبَاءُ وَالْأَحْبَارُ
إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يُكَذَّبَ وَحْيُكُمْ	طَعْنٌ يَشُقُّ عَصَاكُمْ وَحِصَارُ
وَيَجِيئُكُمْ قَوْمٌ كَأَنَّ سَيُوفَهُمْ	بَأَكْفِهِمْ تَحْتَ الْعَجَاجَةِ نَارُ

أرأيت في هذه الأبيات الرائعة لا نكاد نجد فيها قصوراً في المعنى أو تعثراً في التعبير.

١ () تاريخ الامم والملوك للطبري: ١٣٢/٧

وأما المسألة الأخرى، وهي مسألة كرسي المختار، فهو يعرض لها في صورة ساخرة متهمكة وكأنه لا يجد خبراً من هذا الأسلوب للحديث عنها، لأنها مسألة أقرب إلى الهزل والتهريج منها إلى أي شيء آخر^(١)

أَبْلُغْ أَبَا إِسْحَاقَ إِنْ جُنَّتْهُ أَنِي بِكُرْسِيِّكُمْ كَافِرٌ
تَنْزُو شِيَامَ حَوْلٍ أَعْوَادِهِ وَتَحْمِلُ الْوَحْيَ لَهُ شَاكِرٌ
مَحْمَرَةٌ أَعْيَنَهُمْ حَوْلَهُ كَأَنَّهُنَّ الْحَمَصَ الْحَادِرُ

إن الشاعر يعتمد هنا في عرض فكرته على عنصر السخرية والتهكم، وهو يستعمل هذا العنصر في براعة تعبيرية وتصويرية، فهو لا يريد أن يعرف عنه الناس أنه كافر بكرسي المختار، وإنما يريد – إمعاناً في التحدي. ومبالغة في التهكم – أن يعرف المختار نفسه عنه ذلك، وهو يؤكد هذا التهكم بقوله (إِنْ جُنَّتْهُ) كأنما بلغ المختار عنده من هوانِ الشأن درجة لا يستحق معها أن يكلف أحداً بالذهاب إليه ليبلغه ذلك، وإنما يكفي أن يبلغه إياه إذا شاءت الظروف أن يذهب إليه، ثم انظر إلى سخريته شيام وشاكر، وكيف عبر عن تحرك شيام حوله، وكيف رسم لهم هذه الصورة المتهكمة، صورة العيون المَحْمَرَّة التي تشبه في تورمها حبات الحمص الغليظ.

ولقد تطور الرجز على يد مجموعة من شعراء العصر الأموي كالعجاج ورؤبة بن العجاج وأبو النجم .

ويروى أن العجاج مرض في إحدى الليالي، فتجمع حوله بنوه وأبنائهم، وبنات ابنته، فأخذ العجاج يتهم ويسخر من نفسه، بعد أن تغيرت الأحوال عليه، وضعت قدراته الجسمانية على مطاولة أمور الحياة، فقال^(١):

(١) المصدر نفسه: ١٤١/٧.

أَصْبَحَ قَوْمِي يَحْفَرُونَ حُفْرَتِي
يَدْعُونَ بِأَسْمِي، وَتَنَاسَوْا كُنْيَتِي
بُنُو بُنَيَّ، وَبَنَاتُ لَابْنَتِي

كما أنَّ العجاج في اراجيزه قد اشار إلى إغراض الغواني الحسان عنه بعد إشارته في الحديث عن الكهولة، وإشارته إلى الشيب ساخرًا متهمًا من الحياة والكبر حيث يقول^(١)

لَمَّا رَأَيْنَ الشَّيْبَ قَدْ تَعَهَّدَا
وَجَانِبِي لُمتَهُ تَجَرَّدَا
وَالشَّعْرَاتُ الْمُقَدَّمَاتُ بَيِّدَا
اجْلِي جَلًّا مِنْهُ الَّذِي تَفَقَّدَا

ثم إنَّ العجاج بعد هذا المرض الطويل الذي ألم به بعد أن أصبح هو نفسه عبئاً ثقيلاً على الحياة التي طالما سخر منها فإنه يتجه في سخريته من الحياة إلى الخالق متضرعاً إليه متناغماً مع الجو النفسي الساخر الذي عاشه والذي صوره في أرجوزته هذه حيث يقول^(٢):

يَا رَبِّ، لَا أُدْرِ وَأَنْتَ الدَّارِي
كُلُّ أَمْرٍ مِنْكَ عَلَى مِقْدَارٍ
أَعَابِرَانِ نَحْنُ فِي الْعَبَّارِ
أَمْ غَابِرَانِ نَحْنُ فِي الْعَبَّارِ

١ () ديوان العجاج: ٢٧٣.

٢ () ديوان العجاج: ٣٣٩-٣٤٠.

٣ () المصدر نفسه: ٧٨.

ويقول العجاج في إحدى طلباته الطويلة – وهو يستهلها بالحكمة ساخرًا من الدهر، حيث أن العجاج يودع في أبياته هذه تجربته الحياة وزوال الأشياء، ويصرح في أن الدهر، يتصرف بالإنسان وبالأشياء ويدور به، فعلام نطرب لهذه الدنيا؟! وعلام تصبو؟! ونحن سنهزم، ثم تتلاش كما تتلاشى هذه الديار.. حيث يقول^(١):

بَكَيْتُ وَالْمُخْتَزَنُ الْبَكِي

وَأَمَّا يَأْتِي الصَّبَا الصَّبِي

أَطْرِبًا وَأَنْتَ قُنْصَرِي

وَالدَّهْرُ بِالْإِنْسَانِ دَوَّارِي

أما الشاعر رؤية بن العجاج فإنه يذم الحياة لأنما حساده ساخرًا منهم حيث يقول^(٢):

كَيْفَ إِذَا مَوْلَاكَ لَمْ يَصِلْكََا وَقَطَعَ الْأَرْحَامَ بَتْكََا

يَبْرِي مَعَ الْبَارِي وَلَمْ يَرْشِكَا وَالْأَرْضُ لَوْ تَمْلِكُ لَمْ تَسْعَا

وَلَا تَهَيَّبُهُ وَلَمْ يَهَبْكََا مَا لِأَمْرِئٍ أَفْكَ قَوْلًا إِفْكََا

تَلْبِيْقَ زُورٍ وَأَقْتَرَا فَا بَشْكََا وَكُلَّ نَمَامٍ يُرِيدُ التَّرْكََا

تَرَكَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَسْكََا حَاسِبُهُ اللَّهُ حِسَابًا ضَنْكََا

لَمْ تَدَعْ الْأَمْرَ الْخَلِيطَ لِبْكََا إِذِ الضَّلِيعُ بِالضَّلِيعِ أَصْطَغَا

أما الشاعر أبو النجم^(١) فقد كانت قصائد تحتوي شيئاً ساخرًا لأنه كان زاهدًا للحياة والدنيا حيث يقول^(٢):

١ () المصدر نفسه: ٣١٠-٣١١، القنصري: المسن الكبير القديم، دوازي: دائر.

٢ () مجموع أشعار العرب: ١١٩.

أَقْسِمُ لَوْلَا قَاسِمٌ وَبِرُّهُ

وَأَنَّهُ حُرٌّ كَرِيمٌ نَجْرُهُ

مَا كَانَ لِيَّ بَيْتٌ يَكُنُّ سِتْرُهُ

ثم يقول في هذه الأبيات التي تحمل معنى السخرية^(٣):

أَوْ صَيِّتُ مِنْ بَرَّةٍ قَلْبًا حُرًّا

بِالْكَلْبِ خَيْرًا وَالْحَمَاةِ شَرًّا

لَا تَسْأَمِي ضَرْبًا لَهَا وَجَرًّا

حَتَّى تَرَى خُلُوقَ الْحَيَاةِ مُرًّا

وَإِنْ كَسَتْكَ ذَهَبًا وَدُرًّا

وَالْحَيُّ عَمِيهِمْ بِشَرِّ طُرًّا

وقد كان أبو النجم متهمًا بتوليد المعاني التي تدل على السخرية والتهكم

كقوله^(٤):

قَدْ أَصْبَحْتُ أُمَّ الْخِيَارِ تَدَّعِي

عَلَى ذَنْبًا كُلَّهُ لَمْ أَصْنَع

مِنْ أَنْ رَأَتْ رَأْسِي كُرَاسِ الْأَصْلَعِ

مَيِّزَ عَنْهُ قُنْزَعًا عَنْ قُنْزَعِ

١ () أبو النجم: هو الفضل بن قدامة من عجل، وكان ينزل بسواد الكوفة في موضع يقال له الفدك، انظر: ديوان أبو النجم العجلي: ١٠.

٢ () ديوان أبو النجم العجلي: ١٠٤.

٣ () ديوان أبو النجم العجلي: ١٠١.

٤ () المصدر نفسه: ١٥١- ١٥٢.

جَذْبُ اللَّيَالِي أَبْطُنِي أَوْ أَسْرِعِي

اما في العصر العباسي الاول فقد امتاز شعر السخرية والفكاهة بالخصائص
الآتية:

١ - اللغة:

اذ نلاحظ أن اللغة في العصر العباسي قد مرت بمستويين:

المستوى الأول: يكمن في اللغة الشعبية البسيطة التي تميل إلى الركاكة
والعفوية، وتأتي في مقطعات شعرية قصيرة، وُضِعَتْ في قوالب بعيدة عن التعقيد،
وخالية عن الأبعاد الفكرية المستنبطة من الأساليب البلاغية التي ترتفع بدورها
بالنص من مستوى التصريح المباشر ولعل ذلك ناتج عن تواضع القدرات الفنية
لشعراء هذا المستوى مثل أبو الشمقمق وأبو البنغي وغيرهم، على الرغم من ذلك
عَبَّرُوا بنبرة واحدة عن اتجاه ناقد تابع بحريات الحياة في هذا العصر، وكشف بلغة
بسيطة عن هموم المجتمع وأحاسيسه، دون مقدمات وأساليب قد تخفي مقاصدهم أو
تجعلها خاضعة للتأويل، ولهذا نلمح في أشعارهم أسماء المتهم بهم، وما يتصل بهم
من المعاييب والمخازي حيث قال الجاحظ: كان بشار بن برد في أول عمره صديقاً
لواصل بن العطاء وكان قد مدح واصلًا، فلما اظهر بشار مذهبه هتف به واصل، فقام
بتكفيره وقَعِدَ، فقال بشار فيه^(١):

كُنِفْتِ الدَّوَّ إِن وَلِيَّ وَإِنْ مَثَلًا
تُكْفِرُونَ رَجَالًا أَكْفَرُوا رَجُلًا!

مَا لِي أَشَايِعُ غَزَالًا لَهُ عُنُقُ
عُنُقُ الزَّرَافَةِ مَا بَالِي وَبِالْكَمِ

(١) ديوان بشار بن برد: ٣٤/١.

المستوى الثاني: ويظهر في اللغة الجزلة عند بشار بن برد وأبو نؤاس، ونلمس عند هؤلاء الشعراء استقصاء المعاني، والبحث عن علاقاتها، فبشار في سخريته الحضارية ظل يتناول الجوانب المادية عند العرب، ويتناولها بأساليب مختلفة، وقد أسعفته قدرته الشعرية، واتساع معجمه اللغوي، على عرض الصور نفسها مرات عديدة، مع اختلاف في مفرداتها وترتيبها، وقد نجح في تحويل الصور الجزئية إلى لوحات كبيرة يضم فيها الجنس العربي كله، وساعده على ذلك وعيه التاريخي بطبيعة حياة القبائل العربية، وإطلاعه على الموروث الثقافي عند العرب وبخاصة في النقائض التي جعلها سلاحاً من أسلحته.

ويلاحظ أن بشاراً أكثر من سخريته في المفردات التي تتصل بمظاهر الحياة البدوية بكل تفصيلاتها، فأتى على اللباس العربي وطعامه وبيئته وحيواناته ونباتاته، وقارنها بمثيلاتها عند الفرس ومنه قول بشار بن برد ساخراً من مواليه العرب (١) :

تُفَاخِرُ يَا ابْنَ رَاعِيَةٍ وَرَاعٍ	بَنِي الْأَخْرَارِ حَسْبُكَ مِنْ خَسَارٍ
لَعُمْرُ أَبِي لَقَدْ بَدَّلْتَ عَيْشاً	بِعَيْشِكَ وَالْأُمُورُ إِلَى مَجَارِي
وَكُنْتَ إِذَا ظَمِئْتَ إِلَى قَرَاخٍ	شَرَكْتَ الْكَلْبَ فِي ذَاكَ إِلَّا طَارَ
وَتَقْضَمُ هَامَةً الْجُعْلَ الْمُصَلِّي	وَلَا تُعْنِي بِدُرَاجِ الدِّيَارِ
وَتُدَلِّجُ لِلْقَنَافِذِ تَدْرِيبَهَا	وَيُنْسِيكَ الْمَكَارِمَ صَيْدُ فَارٍ
وَتَغِيْطُ شَاوِيَّ الْحِرْبَاءِ حَتَّى	تَرُوحَ إِلَيْهِ مِنْ حُبِّ الْقَتَارِ
وَتَغْدُو فِي الْكِرَاءِ لَيْلَ زَادٍ	وَلَيْسَ بِسَيِّدِ الْقَوْمِ الْمُكَارِي
وَفَخْرُكَ بَيْنَ يَرْبُوعٍ وَضَبٍ	عَلَى مِثْلِي مِنْ الْحَدَثِ الْكِبَارِ
مَقَامُكَ بَيْنَنَا دَنْسٌ عَلَيْنَا	فَلَيْتُكَ غَائِبٌ فِي حَرِّ نَارِ

(١) الأغاني للأصفهاني: ٣٣/٣.

وقد يلجأ بشار في سخريته إلى ألفاظ نابية جارفة تعبر عن نفسية مليئة بالغضب والكره، ومن ذلك قوله في السخرية من قبيلة باهلة حيث يقول^(١):

أَجَرْنَا الْبَاهِلِيَّ مِنَ الْمَنَايَا	فَلَمْ يَشْكُرْ لَنَا كَرَمَ الْجَوَارِ
إِذَا انْكَرَتْ نَسَبَةً بَاهِلِيَّ	رَفَعَ عَنْهُ نَاحِيَةَ الْإِزَارِ
أَزَادَ بَلْوَمِهِ تَذْنِيسَ عِرْضِي	وَأَيْنَ الشَّمْسُ مِنْ دَنْسٍ وَعَارِ
أَبَاهِلٌ رَاجِعِي مَوْلَاكِ صَغْرًا	لَا تَجْرِي ضَوْءَ النَّهَارِ
أَجِيبُوا رَبَّكُمْ وَتَنَصَّفُوهُ	فَإِنَّ الْعَبْدَ أَوْلَىٰ بِالصَّغَارِ

ويلتقي بشار، وأبي نواس في الحاجة إلى سلب العربي كل مظاهر التحضر والخط من شأنه، والسعي إلى فرض نمط اجتماعي وثقافي جديدين، تتشابه اللغة عندهما وتتقابل، وبخاصة في إعطاء البديل التعريفي، مع هذا فإن قرينه الخمر تلازم أبا نواس في أشعاره الساخرة التي تعتمد عنصراً لغوياً، منه قوله^(٢):

دَعُ عَنكَ لَوْمِي فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاءُ	وَدَاوِنِي بِأَلْتِي كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ
صَفْرَاءُ لَا تَنْزِلُ الْأَحْزَانُ سَاحَتَهَا	لَوْ مَسَّهَا حَجَرٌ مَسَّتْهُ سَرَاءُ
دَارَتْ عَلَى فِتْنَةٍ دَانَ الزَّمَانُ لَهُمْ	فَمَا يُصِيبُهُمْ إِلَّا بِمَا شَأُؤُوا
لِتِلْكَ أَبْكِي، وَلَا أَبْكِي لِمَنْزِلَةٍ	كَانَتْ تَحُلُّ بِهَا هُنْدٌ وَأَسْمَاءُ

ولا يفصل الدارس الروح الإباحية في عرض المفاهيم عندهم، لذا نجد إن المفردات البعيدة قريبة بينهما ويخترقان بها الحجب والأستار متى شأوا وأستطاع أبي نواس من خلال موهبته القوية، أن يقرب لغة التخاطب من مستويات المجتمع بكافة فئاته، وقد عُرف عنه أنه كان يأخذ الكلام، وينظم شعره على قوافٍ شتى، ولا

(١) ديوان بشار بن برد: ٥٧/١.

(٢) ديوان أبي نواس: ٥٥-٥٦.

يجد صعوبة في النظم على القوافي النادرة، وقال ابن رشيق (إن معاني أبي نواس واختراعاته كثيرة) وذلك في قوله^(١):-

لَسْتُ إِدْرِي أَطَالَ لَيْلِي أَمْ لَا كَيْفَ يَدْرِي بِذَاكَ مَنْ يَتَلَقَّى؟
لَوْ تَفَرَّغْتُ لَأَسْتَطَالَةَ لَيْلِي وَلَرَعَى النُّجُومَ كُنْتُ مُخَالاً

وقال ابن خالويه (لَوْ لَا مَا غَلَبَ عَلَيْهِ مِنَ الْهَزَلِ، لَا سَتُشْهَدَ بِكَلَامِهِ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَذَلِكَ، أَيِ (أَبُو نَوَاسٍ)، تَعَلَّمَ اللُّغَةَ مِنْ أَسَاطِيلِهَا وَرَجَلَ إِلَى الْبَادِيَةِ فَأَخَذَ عَنْ الْعَرَبِ وَحَفِظَ لُغَاتَهُمْ وَأَنْقَنَهَا)^(٢)

وقد عُرف أبي نواس بمقدرته اللغوية التي أتاحت له استخدامها في مظهرين، كان أولهما، دور بارز في تعميق الصورة الساخرة،

الأول: التلاعب بالألفاظ والمعاني.

الثاني: التلاعب بموسيقى الألفاظ.

أما الأول: فهو أسلوب عُرف به أبو نواس، ظهرت عنده نماذج عديدة، فهي هو يتعدى على أسم أبان بن عبد الحميد اللاحقي، ليحوله، إلى أتاناً، ولا يكلفه التصحيف تغيير وإنما يكفيه إن يستبدل، الباء تاء، فيصبح (أتاناً) حيث يقول^(٣) :

صَحَّفْتُ أَمَّاكَ إِذْ سَمَتَ كَ فِي الْمَهْدِ أَبَانَا
صَيَّرْتُ يَاءَ مَكَانِ التَّاءِ تَاءَ تَصْخِيفاً عِيَانَا
قَدْ عَلِمْنَا مَا أَرَادَتْ لَمْ تُرْدِ إِلَّا أَتَانَا
قَطَعَ اللَّهُ وَشَيْكاً مِنْ مُسَمِّيكِ اللَّسَانَا

١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق: ٢٥٠/٢.

٢) أبي نواس في تاريخه وشعره ومبادئه وعبثه ومجونه لابن منظور المصري: ٥.

٣) ديوان أبي نواس: ٧١١.

ويتصل ابي نواس ببراعته في تغيير الحروف ليغير معانها، أثناء سخريته من نسب الهيثم بن عدي، بتقديم الدال على العين، فيصبح الهيثم بن دعي، وهذا يعني أنه يتخذ من الأنساب مرة من الموالي، ومره من العرب، فيقول^(١):

إِذَا نَسَبْتَ عَدِيًّا فِي بَنِي ثَعْلٍ	فَقَدَّمِ الدَّالَ قَبْلَ الْعَيْنِ فِي النَّسَبِ
كَأَنِّي بَكَ فَوْقَ الْجِسْرِ مُنْتَصِبًا	عَلَى جَوَادٍ قَرِيبٍ مِنْكَ فِي الْحَسَبِ
حَتَّى نَزَكَ وَقَدْ دَرَّعْتَهُ قُمْصًا	مِنْ الصَّدِيدِ مَكَانَ أَلْيَفِ وَالْكَرَبِ
لِلَّهِ أَنْتَ فَمَا قُرْبِي تَهَمُّ بِهَا	إِلَّا اجْتَلَبْتَ لَهَا الْأَنْسَابَ مِنْ كُثْبِ
فَلَا تَزَالُ أَخَا جِلٍّ وَمَرْتَحِلٍ	إِلَى الْمَوَالِي وَأَحْيَانًا إِلَى الْعَرَبِ

فعاد إليه الهيثم حين بلغته الأبيات، فقال له: يا سبحان الله! أليس لقيتني وجعلت لي عهداً أن لا تهجونني؟

فقال أبو نواس: ((وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ))

وقال ابي نواس يسخر منه وينسبه إلى النبط ويسلخه من طي

أَنْتَ مَنْ طِيٍّ وَلَكِنْ قَبْلَهُ نُونٌ وَبَاءٌ^(٢)

ووجد من هذا التهكم الساخر لون يعتمد على توليد المعاني واستقصائها في مهارة ودقة مثال ذلك قصيدة حماد عجرد في هجاء بشار، وهو يحاول أن يعدد فيها مزايا العمى وفوائده الجمة بالنسبة إلى بشار فيقول ساخرًا وهو يدير حواراً على لسان بشار^(٣):

١) ابي نواس في تاريخه وشعره ومبازله وعبثه ومجونه لابن منظور المصري: ١٤٦-١٤٧.

٢) ابي نواس في تاريخه وشعره ومبازله وعبثه ومجونه لابن منظور المصري: ١٤٧.

٣) الحيوان للجاحظ: ٢٤١/١.

إِنَّ ابْنَ بُرْدٍ رَأَى رُؤْيَا فَأَوَّلَهَا
 رَأَى الْعَمَى نِعْمَةً لِلَّهِ سَابِغَةً
 وَقَالَ: لَوْ لَمْ أَكُنْ لَكُنْتُ كَمَا
 فَقَدْ كَفَانِي الْعَمَى مِنْ كُلِّ مَكْسَبَةٍ
 بَلَا مَشُورَةَ إِنْسَانٍ وَلَا أَثَرَ
 عَلَيْهِ إِذْ كَانَ مَكْفُوفاً عَنِ النَّظَرِ
 قَدْ كَانَ بُرْدٌ أَبِي فِي الضِّيقِ وَالْعُسْرِ
 وَالرِّزْقِ يَأْتِي بِأَسْبَابٍ مِنَ الْقَدَرِ

٢- استخدام البديع:

مال شعراء السخرية في معظمهم إلى البساطة والتلقائية، ولم يؤثروا التصنع ولم يعدوه فضيلة ترقى بالشعر أو تزيده قيمة، لعل ذلك ناجم عن الدوافع التي خرجت عنها أشعارهم، فالشعر الذي ينتقد واقعاً يصدر عن نفسية غاضبة همّها أن يصل شعرها إلى مبتغاه، فلا تعباً بالمحسنات أو تسعى إليها.

وخرج من هؤلاء أبي نواس لأنه استخدم الصنعة استخداماً واسعاً مما يدل على أنه يقصد إليها دون شك، مما أعانته على خفاء أمر صنعته في معظم الأحيان معجمه اللغوي الواسع، واقتداره على انتقاء الألفاظ في مواضع بحيث لا نراها قلقاً أو نحس فيها أثر الاضطراب والتكلف، والطباق عنصر أساسي في شعر أبي نواس لأنه يستخدم طريقة بصيغة خاصة من حيث التقابل والتضاد استخداماً ظاهراً وواسعاً ومنها قوله^(١)

لَا تُصَحِّبَنَّ أَخَا نُسُكِ وَأَنْ نَسْكََا وَأَنْ فَتَكُتَ فَكُنْ حَرَبًا لِمَنْ فَتَكَا

ويمكن القول أن لكل فنان حالاته التي تأتي نتيجة لعوامل خفية ودينية حسية ومعنوية، وهذه الحالات تفرض عليه إتباع طريقه بعينها ليصل إلى غرضه، ومعنى

(١) ديوان أبي نواس: ٥١٣.

هذا أن الأسلوب ليس مجرد طريقة بل هو (فَنُّ مِنَ الْكَلَامِ يَكُونُ قُصَصًا أَوْ جَوَارًا، تشبيهاً أو مَجَازاً أو كِنَايَةً، تَقْرِيراً أَوْ حُكْماً وأمثالاً)^(١).

فسخرية أبي دلامه مثلاً كانت أفراساً لنفسيه عابثة فقد تجاوز في سخريته ما تعارف عليه الناس.

ويبدوان سخرية أبي الشمقمق وغيره من شعراء الطبقة الفقيرة، كانت ناجمة عن إحساس بالقهر والظلم، ولذلك دخلوا في أغراضهم، ولم يلتزموا بأي لون من ألوان المقدمات المعروفة كشكل الإطلال أو النسيب، وما يتلوه من وصف الناقة والصحراء والرحلة، ولم ينافقوا في أشعارهم وابتعدوا عن القوالب الغريبة ونظموا أشعارهم على الأوزان القصيرة.

وأما بشار بن برد فقد مر بثلاث محن لها تأثير قوي وجه مزاجه وسلوكه وحياته وهذه المحن هي: الرق والفقر والعمى لكن هذه الآفات لم تقعد عن المغامرة في الحياة أو تجعله فتبرماً.

ويمكن القول أن سخرية بشار بن برد، هي شخصية ونفسية، وتمثل رفضه للتقاليد والسلطة والعقائد، وقد تهيأت لبشار أسباب السخرية، وتجمعت له الظروف التي جعلت من التهكم والسخرية وسيلة ناجحة له في تحقيق وجوده والدفاع عن نفسه، ووسيلة لاستشعار القوة، ولهذا نجده يصرح^(٢)

هُم قَعْدُوا فَانْتَقُوا لَهُمْ حَسَبًا يَدْخُلُ بَعْدَ الْعِشَاءِ فِي الْعَرَبِ
وَالنَّاسُ قَدْ أَصْبَحُوا صَيَارِفَهُ اعْلَمْ شَيْءَ بَزَائِفِ الذَّهَبِ

١ () الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية: ٣٣ .

٢ () ديوان بشار بن برد: ٢٦/٤-٢٧ .

وبجانب الطباق نجد استخدام الجنس ومنها قول أبو نواس: (١)

في المقابلات الثنائية

جَرَبْتُ مِنْكَ أَمْوَرًا صَدَّعَتْ كَبْدِي نَعَمْ! وَأَوْدَتْ بِمَا تَحْتَ الْجَلَابِيبِ
أَفْهَمَ، فَدَيْتُكَ بَيْتًا سَائِرًا مَثَلًا مَنْ أَوَّلَ كَانَ يَأْتِي بِالْأَعَايِبِ
لَا تَحْمَدَنَّ أَمْرًا مِنْ غَيْرِ تَجْرِبَةٍ وَلَا تَدْمَنَّهُ إِلَّا بِتَجْرِبِ
فالتقابل هنا بين تَحْمَدَنَّ وَتَدْمَنَنَّ وبين من غير تجربة, و إلا بتجريب

وإلى جانب هذين اللونين يستعين بالتشبيه والمجاز والكناية والتورية بشكل لافت يساعده على إظهار قدراته على البيان والتصوير, وعلى الرغم من ذلك, فهو لا يلتقي مع شعراء عصره في اتجاهه الفني, فهو لا يذهب مذهب أبي تمام باتخاذ البديع طريقه للتعبير, ولا يجهد ذهنه في البحث عن المعاني ولا يجهد نفسه في البناء والصياغة, وكذلك لا يذهب مذهب البحتري في الميل إلى الصياغة والبناء الغريب للديباجة دون حاجة إلى إسراف في استخدام البديع, لذلك يصنف أبي نواس من بين الشعراء المطبوعين من أمثال, الحميري وأبي العتاهية وأبان بن عبد الحميد اللاحقي في هذا العصر.

٣- الأساليب البلاغية والنحوية:

اذ تعتبر عنصر من العناصر الفنية, يؤلف بين العناصر الأخرى على نحو يخلق الجمال أو يقوي أثره, ويسمح لكل عنصر فني أن يؤدي دوره في العمل بتناسق يتلائم بين فكر الكاتب وأهدافه, والموقف والبيئة واللحظة الزمنية, ويهتم بالصياغة الفنية لفظاً وتعبيراً ويختار الشكل الفني بما يناسب الموضوع والواقع, ولا بد من توافر الموهبة والخبرة, وإلا كان في الاختبار تصنع وتكلف.

(١) ديوان أبي نواس: ٨٩ .

وأهم ما تنتهي إليه الأساليب الفنية هو الصورة مصحوبة بالحركة وبموسيقى اللفظ والجمال المعبر، ويرى الباحثون أهمية الحركة في النص الشعري، فعدها من أهم العناصر التي يجب أن تتوافر فيه، فأشاروا إلى موسيقى الإطار الدلالي فقالوا: (وقد يمتد التكرار الإيقاعي إلى أكثر من بيت واحد في شعر أبي نواس)^(١).

فابي نواس قد زرع في موقفه مفهوم الطريقة الشعرية القديمة، وشكك في ثباتها وعارض في أن يقف الشاعر على أشياء لا وجود لها، بمعنى أن الشاعر تناول وجود الحضارة التي استجدت في العصر العباسي ولم تكن معروفة كوجوه العمران المتنوعة من القصور والجنان ثم انتشار الفلسفة وعلم المنطق والمذاهب والملل وما واكبها من بحوث وجدل حيث يقول^(٢).

سَعْيًا لغير العُلْيَاءِ والسَّندِ

وغيرِ أطلالٍ مَيٍّ بالجَرَدِ

وتجاوز ابي نواس في سخريته الموضوعات السياسية والاجتماعية ووصل إلى اليأس والشك في الإنسان بصيغة عامة، وربما في النظم التي تسير العالم وتتحكم فيه، ولعل ذلك ناجم عن الغربة، في قلبه وروحه، فأرتد إلى نفسه يبحث عما فقده في مجتمعه من صدق وعفوية وجاءت سخريته معبرة عن انعدام وحدة التناغم بين الناس والوجود، لذلك فأن سخرية أبي نواس قد ارتفعت بنبرتها القوية، لتحقيق الحيوية والحركة في إشعاره، وهذا أمر يرتفع بالمستوى الفني للشاعر، ويزيد من قوة الجذب والتأثير في عبارته حيث يقول^(٣)

١ () شعر أبي نواس، قراءة أسلوبية، ١٣٣.

٢ () ديوان أبي نواس: ٢٣٢.

٣ () المصدر نفسه: ٣٥٩-٣٦٠.

دِيَارُ نَوَارٍ، مَا دِيَارُ نَوَارٍ!
كَسَوْنِكَ شَجَوَا هُنَّ مِنْهُ عَوَارٍ
شَمُولٍ، إِذَا شُجَّتْ تَقُولُ عَقِيقَةً
تَنَافَسَ فِيهَا السَّوْمُ بَيْنَ تَجَارٍ

الوسائل التي استعان بها شعراء السخرية والتهكم عامة، أهمها:-

١- أسلوب الأمر: هو طلب الفعل من المخاطب: على وجه الاستعلاء، مع الإلزام، ويقصد بالاستعلاء بأن يظهر الأمر على أنه أعلى منزلة ممن يخاطبه سواء أكان أعلى منزلة منه في الواقع أم لا^(١) وقد يخرج الأمر عن معناه الأصلي، للدلالة على معانٍ أخرى يحتملها لفظ الأمر، وتستفاد من السياق وقرائن الأحوال، ومن هذه المعاني، الدعاء، والالتماس، والإرشاد والتعجيز، والإباحة، والتسوية والإهانة^(٢).

ويلاحظ أن فعل الأمر في السخرية قد خرج في معظمه عن معناه الأصلي، لأداء غرض الإهانة والتحقير التي تهبط بالتهكم به، وتؤذيه ومن ذلك قول أبي نواس في المغني زهير^(٣)

قُلْ لَزُهَيْرٍ إِذَا أَتَاكَ وَشَدَا
أَقْلِلْ أَوْ أَكْثُرْ فَأَنْتَ مِهْذَارُ

٢- النداء: طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل، وهو الاستخبار الذي قالوا فيه طلب خبر ما ليس عندك^(٤).
كقول الشاعر أبي نواس^(٥):

١ () جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع: ٦٨.

٢ () المصدر نفسه: ٦٨-٦٩.

٣ () ديوان أبي نواس: ٣٨٨، أبي نواس في تاريخه وشعره ومبازله وعبثه ومجونه لابن منظور المصري: ٢٧، الحيوان للجاحظ: ٣٩/١.

٤ () أنظر: البلاغة والتطبيق: ١٣١-١٣٧.

٥ () ديوان أبي نواس: ٨٥.

أَعَاذِلْ أَعْتَبْتُ الْإِمَامَ وَاعْتَبَا وَأَعْرَبْتُ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ وَأَعْرَبَا

٣- أسلوب الشرط: جاء هذا الأسلوب منسجماً مع غاية التهكم والتوبيخ من خلال امتناع تحقق الجواب، ذلك لأن السخرية تقوم على المبالغة، والافتراضات البعيدة، وكلها تدور في إطار سلبي لا يعود على المتهم به إلا بمزيد من الزرابة والتهكم، ومن ذلك قول أبي نواس في المغني حسيناً^(١):

لَوْ تَغْنَى، وَفُوهُ مَلَأْنُ جَمْرًا لَمْ يَضِرْهُ لِبَرْدِ ذَاكَ الْغِنَاءِ

وقول دعبل الخزاعي في السخرية والتهكم من قينه محمد بن عبد الملك الزيات^(٢)

فَلَوْ بَدَتْ حَاسِرَةٌ فِي الضُّحَى لَا سَوَدَّ مِنْهَا فَلَقُ الصُّبْحِ

٤- أسلوب المقابلة: ويساهم هذا الأسلوب في تعميق المعنى وتوسيع الدلالة، ومن أمثله قول الشاعر مطيع بن أياس^(٣)

قُلْ لِعَبَّاسٍ أَخِينَا	يَا ثَقِيلَ الثَّقَلَاءِ
أَنْتَ فِي الصَّيْفِ سَمُومٌ	وَجَلِيدٌ فِي الشِّتَاءِ
أَنْتَ فِي الْأَرْضِ ثَقِيلٌ	وِثْقِيلٌ فِي السَّمَاءِ

فالمقابلة ظاهرة في قوله، سموم، الصيف، وجليد، الشتاء، وثقيل، الأرض، ثقيل السماء.

٥- أسلوب الحوار: إنَّ شيوع الحوار يجعل من القصائد الشعرية قصة يمكن تمثيلها وتخيلها ويساعد على إيراد المعنى الساخر الذي يقدمه الشاعر والحوار نوعان:

(١) ديوان أبي نواس: ٧١.

(٢) ديوان دعبل الخزاعي: ١٦٤.

(٣) شعراء عباسيون، غوستاف فون: ٣٠.

الحوار الخارجي: ويعد أبي نواس الأكثر بروزاً في هذا المقام، يلجأ إليه ليناقد المسألة التي يسخر منها ويقلبها من وجوه عدة، ويشعر الدارس أنه ملاحق في آراءه ومواقفه ولهذا فهو يحاور ويناقد ويغرق في ذلك حتى يظن أحياناً أنه لم يكن في صحوة، وأنه غير مسؤول عما يصدر، خاصة في سخريته الدينية، حيث يقول^(١)

وقائل: هل تريد الحَجَّ؟ قلتُ له: نَعَمْ، إِذَا فَنَيْتُ لَذَاتُ بَغْذَاذٍ
فكيف بالحج لي ما دُمْتُ مُنْعَمَساً في بَيْتِ قَوَادَةٍ أَوْ بَيْتِ نَبَّازٍ

الحوار الداخلي: ويلجأ إليه الشاعر لنقل ما يدور في خاطر شخصيته ومناقشته، مثال ذلك قول الحمدوني في شاة بخيل^(٢)

لَسَعِيدٍ شَوِيهَةٌ سَلَهَا الضَّرَّ والعَجَفُ
قَدْ تَغَنَّتْ وَأَبْصَرَتْ رَجُلًا حَامِلًا عَلْفُ
فَأَتَاهَا مَطْمَعًا فَأَتَتْهُ لِتَغْتَلَفُ
فَتَوَلَّى فَأَقْبَلَتْ تَتَغَّى مِنَ الْأَسْفُ
لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ وَقَفَ عَذَبَ الْقَلْبِ وَأَنْصَرَفَ

٦- أسلوب السرد القصصي في العصر العباسي الأول: وفي هذا الأسلوب يتولى الشاعر نقل ما يجري بمفرده، ولا تخرج لغة الخطاب من زمامه، وهذا أسلوب تسجيلي تصويري، ومن أمثلته قول دعبل الخزاعي^(٣):

اسْتَبَقَ وَدَّ أَبِي الْمُقَا
الموت أيسرُ عنده
تَلِ حِينَ تَأْكُلُ مِنْ طَعَامِهِ
يل به، يُرَوِّعُ فِي مَنَامِهِ
مِنْ مَضْغٍ ضَيْفٍ وَالتَّقَامَةِ

(١) ديوان أبي نواس: ٢٨٩.

(٢) زهر الآداب وثمر الآلباب: ٥٩١/٢، فوات الوفيات والذيل عليها للكتبي: ١٧٥/١.

(٣) ديوان دعبل الخزاعي: ٣٥٤.

سَيَّانٍ كَسَّرُ رَغِيفَهُ أَنْ كُنْتُ تَرَعْبُ فِي كَلَامِهِ
وَإِذَا مَرَرْتُ بِبَابِهِ فَأَحْفَظُ رَغِيفَكَ مِنْ غَلَامِهِ

٧- **توظيف عناصر متنوعة من التراث:** اعتمد شعراء السخرية في تشكيل صورهم على عناصر متعددة من التراث المعرفي بشتى أشكاله، واغترفوا من معين ثقافتهم الشاملة في نظمهم الساخر الذي تمثل جوانب معنوية وحسية، جاء بعضه في إطار المقارنة التي تهبط بالتهكم منه، بغرض إثبات النقص عنده بطريقة الهزل والتلاعب بالألفاظ. ومن المعارف التي استعانوا بها:

أ- **الثقافة الدينية:** وجاءت في اتجاهين، الاتجاه الأول: اللفظي والمعنوي، فذكرت ألفاظ، واستخيرت معاني، والغاية من ذكرها إثبات النقص عند المسخور منه فهذا بشار بن برد، يستحضر شخصيتين، هاروت وماروت اللذين ورد ذكرهما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابٍ هَرُوتَ

وَمَرُوتَ﴾^(١)

بل يكتفي بالسماع حيث يقول^(٢)

دِينَارُ آلِ سُلَيْمَانَ وَدِرْهَمُهُمْ كَالْبَابِلِيِّينَ حُفَا بِالْعَفَارِيَتِ
لَا يُوجِدَانِ وَلَا يَلْقَاهُمَا أَحَدٌ كَمَا سَمِعْتَ بِهَارُوتَ وَمَارُوتَ

وذكر أبو نواس، سليمان عليه السلام في سخريته من الخليفة الأمين ومن سفنه التي جاءت على خلفه الحيوانات في وقت كان الناس يؤملون منه عطاءً وخيراً يشملهم ويعممهم وقد لمح الشاعر في توظيفه إلى معجزة سليمان، وهي تسخير

١ () سورة البقرة، آية: ١٠٢.

٢ () ديوان بشار بن برد: ٤٢/١.

الجن والحيوان لخدمته في إشارة إلى استخدام الأمين للسفن الثلاث المعروفة التي كانت في خدمته, حيث يقول^(١):

سَخَّرَ اللَّهُ لِلْأَمِينِ مَطَايَا لَمْ تَسْخَرْ لِصَاحِبِ الْمِحْرَابِ
فَإِذَا مَا رِكَابُهُ سِرْنَ بَحْرًا سَارَ فِي الْمَاءِ رَاكِبًا لَيْثَ غَابَ
عَجِبَ النَّاسُ إِذْ رَأَوْكَ عَلَى صُورِ رَةِ لَيْثٍ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ

ويقال: أن هذا الشعر قاله ابي نواس في محمد الأمين, وقد ركب سفينة الدولفين. أمّا الاتجاه الثاني: من توظيفهم الدين في إطار القصة القرآنية فهذا الشاعر دعبل الخزاعي يستعين بقصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز التي راودته عن نفسها فولى هارباً إلى الباب, فَقَدْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ فيقول^(٢)

إِذَا رَأَيْتَ بَنِي وَهَبٍ بِمَنْزِلَةٍ لَمْ تَدْرِ أَيُّهُمْ الْأَنْثَى مِنَ الذَّكَرِ
قَمِيصُ أَثْنَاهُمْ يَنْقَدُّ مِنْ قَبْلِ وَقَمِيصُ ذَكَرِ انْهَمُ تَنْقَدُّ مِنْ دُبُرِ
مُحَنِّكَوْنَ عَنِ الْفَحْشَاءِ فِي صِغَرِ مُحَنِّكَوْنَ عَنِ الْفَحْشَاءِ فِي كِبَرِ

ب- الثقافة التاريخية : استعان الشعراء في العصر العباسي ببعض الشخصيات التاريخية وادخلوها في بنائهم الساخر فعدت ركناً مهماً في إكمال الصورة الساخرة, بما اشتملت عليه من معانٍ وإيحاءات فهذا ابي نواس يستحضر شخصية الخنساء, وحرزها على أخيها في أثناء سخريته من البخل ليعبر عن حزن رجل بخيل على فقد رغيته, وجعله ممثلاً لحزن الخنساء على أخيها صخر, حيث يقول^(٣):

١) ابي نواس في تاريخه وشعره ومبازله وعبثه ومجونه لابن منظور المصري: ١٠٣.

٢) ديوان دعبل الخزاعي: ٢٠٧.

٣) ديوان أبي نواس: ٣٨٣.

إِذَا فَقَدْ الرَّغِيفَ بَكَى عَلَيْهِ بُكَاءَ الْخُنْسَاءِ إِذْ فُجِعَتْ بِصَخْرِ

ومن الموروث الشعبي الذي أشار إليه الشعراء في قصائدهم الساخرة أبو دلامة في زوجته^(١)

أَبْلَغِي سَيِّدَتِي بِاللَّهِ	يَا أُمَّ عُبَيْدَةَ
أَنَّهَا أَرْشَدَهَا اللَّهُ	وإن كَانَتْ رَشِيدَةً
وَعَدْتَنِي قَبْلَ أَنْ تَخُـ	رُجَ لِلْحَجِّ وَلِيَدَةَ
لَيْسَ فِي بَيْتِي لَتْمٌ هِيدٍ	فِرَاشِي مَنْ قَعِيدَةَ
غَيْرُ عَجْفَاءَ عَجُوزُ	سَاقَهَا مِثْلُ الْقَدِيدَةِ
وَجْهَهَا أَقْبَحُ مِنْ حُو	تِ طَرِيٍّ فِي عَصِيدَةِ
مَا حَيَاتِي مَعَ أَنْثَى	مِثْلُ عَرَسِي بِسَعِيدَةِ

٤- الصورة:

خَلَقُ فَرْدِيَّ ذَاتِي لِلْخِيَالِ الشَّعْرِي، مرتبط بالسياق الكلي للتجربة الشعرية^(٢)
وهناك نوعان من الصور هما:

أ- الصورة المفردة والجزئية: وأهم الوسائل البيانية لصور الشاعر المفردة، الاعتماد على أساليب التصوير المألوفة، كالتشخيصية، وفيها تدب الحياة والصفات الإنسانية في المحسوسات والمعنويات، ومن ذلك قول أبي نواس^(٣):
هُمْ أَحْرَزُوا الرِّغْفَانَ حَتَّى تَكَلَّفَتْ أُمًّا بِحَوْلِ اللَّهِ مِنْ حَذَرِ الْكَسْرِ

١) ديوان أبي دلامة الاسدي: ١٥٩.

٢) جدليه الخفاء والتجلي، دراسة بنيوية في الشعر: ٢٤-٢٧.

٣) ديوان أبي نواس: ٣٨٣.

ب- الصورة المركبة: تتشكل من مجموعة من الصور الجزئية المتألّفة التي تتداخل في نسيج متكامل، ويستطيع الشاعر من خلالها أن يقدم العواطف والأفكار التي يتعذر تقديمها عبر صور جزئية واحدة، ويقدم هذا النوع في المقام الأول على البناء الدرامي في الحوار بنوعيه الداخلي والخارجي، وفي الأسلوب القصصي. وقد أعتمد شعراء السخرية في تشكيل صورهم على إجراءات فنية، ارتفعت بالصورة الساخرة عن الصور الأخرى، وخرجت على النمطية المعروفة في الأغراض المعروفة ومنها توحيد العناصر المتباعدة، وذلك بإيجاد علاقات مباشرة، كما في قول أبي الشمقمق في التهكم والسخرية من داود بن بكر^(١):

وَلَهُ لِحْيَةٌ تَيْسٌ وَلَهُ مِنْقَارٌ نَسْرٌ
وَلَهُ نَكْهَةٌ لَيْثٌ خَالَطَتْ نَكْهَةً صَقْرٌ

وادخل بعضهم الصورة الشعبية في البناء الساخر، فالاعتماد على التكرار في المقاطع الشعرية ولعل ذلك ناجم عن تأثرهم بفن الغناء في الشكل بالذات، فكثير ما كان الشعراء يختارون عبارة يرددونها بمثابة إيقاع لبقية الأبيات في قول أبو الشمقمق في بشار^(٢):

هَلَالِيَّةٌ هَلَالِيَّةٌ طَعَنَ قَنَاقَةً لَيْثِيَّةٌ
إِنَّ بَشَارَ بْنَ بُرْدٍ تَيْسٌ أَعْمَى فِي سَفِينَةٍ

وهذا الاقتراب من الشعبية كان يقترن بالميل إلى الهزل والمرح والترفيه لأن هذه العناصر جزء لا يتجزأ من الطبيعة الشعبية في كل زمان وفي كل بيئة، وهذه الصورة الشعبية كان الشعراء يقصدون إليها قصداً، فيقوم الصبيان والعامة يرددونها

١ () شعراء عباسيون، غوستاف فون: ١٣٥.

٢ () المصدر نفسه: ١٥١.

ويحفظونها بسرعة لما تمتاز به من سهولة العبارات, ولذلك فإن هذا النوع من السخرية أشد وقعاً على المتهم منه.

ومن الشعراء كان يلجأ إلى هذا اللون رغبة منه في التقارب مع المقطوعة الغزلية والخمرية, فتصبح أبياته صالحة للغناء, كما كان يفعل الحمدوني, إذ ضمن مقطوعاته في السخرية من أحمد بن حرب, ووصف طيلسانه البالي, أبياتاً من ذلك قوله^(١):

قُلْ لَأَبْنِ حَرْبٍ طَيْلَسَانُ قَدْ أَوْدَى قَوَايَ بِكَثْرَةِ الْغَرَمِ
وَكَائُهُ الْخَمْرُ الَّتِي وَصِفْتُ فِي "يَا شَقِيقَ الرُّوحِ مِنْ حَكَمٍ"

والتطور الفني الحقيقي للتهكم في القرن الثاني لا يتضح في القصائد الزاخرة بالسباب والاتهامات والفحش, وخاصة في تلك الألفاظ الساخرة التي كانت تدور بين أفراد عصبه المجان, وتزخر بألفاظ وتعابير يندى لها الجبين, ولكننا نعتبر أن التطور الفني الذي حدث أساسه التهكم الساخر الذي يستهدف إضحاك الناس على المتهم منه, وسخريتهم منه, ولهذا يعتمد على فن أصيل في رسم شخصيته المتهم منه من ناحية معنوية أو سمعية, ولكنه ليس رسماً تصويرياً بل هو رسم (كاريكاتيري) ليعث على الضحك, ويستعين الشاعر في هذا النوع الأصل من السخرية والتهكم بكل معارف عصره, ويجمع عناصر الفكاهة والهزل والشائعة بين الناس, ومن ذلك التهكم الساخر قول أبْنِ أَبِي عَيْنِيهِ^(٢) في خالد بن يزيد بن المهلب حيث يقول^(٣):

بُحْ بِمَا كُنْتَ تَخْفِيهِ وَصَرَخْ لَا خَفَاءَ

١ () زهر الآداب وثمر الآداب: ٥٩١/٢؛ فوات الوفيات والذيل عليها للكتبي: ١٧٥/١.

٢ () هو أبو عَيْنِيهِ أَبْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَيْنِيهِ هُوَ الَّذِي كَانَ يَسْخَرُ مِنْ ابْنِ عَمِّهِ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ, وَأَخُوهُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ. أنظر: طبقات الشعراء, لابن المعتز: ٢٨٨.

٣ () طبقات الشعراء لابن المعتز: ٢٨٩.

مَا عَلَى هَذَا عَزَاءٌ غَلَبَ الصَّبْرُ الْعَزَاءَ
وَبَدَا الْأَمْرُ الْمُعْطَى كَاشِفًا عَنْهُ الْغَطَاءَ
خَالِدٌ لَوْلَا أَبَوُهُ كَانَ وَالْكَلْبُ سَوَاءَ

ومن الصور الساخرة أيضاً في التهكم الساخر تصوير حماد عجرد لبشار بأنه قرد ولكن حين يعمى القرد: حيث يقول^(١):

وَيَا أَقْبَحُ مِنْ قِرْدٍ إِذَا مَا عَمِيَ الْقِرْدُ

وإلى جانب هذه اللوحات الساخرة السريعة في التهكم، كانت هناك صور متكاملة ساخرة طريفة حقاً، مثل قصيدة العتبي في التهكم بصديق له^(٢)

وَلَمَّا رَأَيْتَكَ لَا فَاسِقًا قَوِيًّا وَلَا أَنْتَ بِالزَّاهِدِ
وَلَيْسَ عَدُوُّكَ بِالْمَتَّقِي وَلَيْسَ صَدِيقُكَ بِالْحَامِدِ
أَقَمْتِكَ فِي السُّوقِ سُوقِ الرَّقِيقِ وَنَادَيْتُ: هَلْ فِيكَ مِنْ زَائِدِ
عَلَى رَجُلٍ غَادِرٍ بِالصَّدِيقِ كَفُورٍ لِنَعْمَانِيهِ جَاحِدِ
فَمَا جَاعَنِي رَجُلٌ وَاحِدٌ يَزِيدٌ عَلَى دِرْهِمٍ وَاحِدِ
سَوَى رَجُلٍ خَانَهُ عَقْلُهُ وَحَلَّتْ بِهِ دَعْوَةُ الْوَالِدِ
فَبَغْتَكَ مِنْهُ بِلَا شَاهِدِ مَخَافَةَ رَدِّكَ بِالشَّاهِدِ

ومن صور هذا التهكم الساخر الكاريكاتيري أبيات منصور الاصفهاني في المغيرة حيث يقول^(٣):

وَجْهَ الْمُغِيرَةِ كُلُّهُ أَنْفٌ مُوْفٍ عَلَيْهِ كَأَنَّهُ سَقْفٌ

١ () طبقات الشعراء لابن المعتز: ٦٧.

٢ () المصدر نفسه: ٣١٥.

٣ () المصدر نفسه: ٣٤٨.

رَجُلٌ كَوَجْهِ الْبَعْلِ طَلَعَتْهُ مَا يَنْقُضِي مِنْ قَبْحِهِ الْوَصْفُ
مِنْ حَيْثُ مَا تَأْتِيهِ تُبْصِرُهُ مِنْ أَجْلِ ذَاكَ أَمَامَهُ خَلْفُ
جَفَّتِ الْمَدَائِحُ عَنْ خِلَافِهِ وَلَقَدْ يَلِيقُ بِوَجْهِهِ الْقَذْفُ

ومن الواضح أن هذا التهكم الكاريكاتيري الساخر يعقد على التصوير لا على اللفظ، وعلى التجسيم والتشخيص والمقارنة لا السب والشتم والمهاترة، وأنه يبتعد كثيراً عن النوع الآخر من التهكم الذي يتضمن أنواعاً فاحشة من الاتهامات والقذف كما يبتعد أيضاً عن التهكم الشعبي الذي يشبه ((الردح)) كقول أبو نواس^(١):

يَا غُرَابَ الْبَيْنِ فِي السَّوْ مِمْزَابَ الْجَنَابَةِ
يَا كِتَاباً بِطَلَقٍ يَا عَزَاءً بِمُصَابَةِ
يَا مَثَلاً مِنْ هُمُومٍ يَا تَبَارِيحَ كَاِبَةِ

ووجد من هذا التهكم الساخر لون يعتمد على توليد المعاني واستقصائها في مهارة ودقه مثال ذلك قول بشار بن برد في رجل ثقيل^(٢):

رُبَّمَا يَنْقَلُ الْجَلِيسُ وَإِنْ كَا نَ خَفِيفاً فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ
كَيْفَ لَمْ تَحْمِلْ الْإِمَانَةَ أَرْضُ حَمَلْتُ فَوْقَهَا أبا سُفْيَانَ؟

أن ابن قدامه بن جعفر في رأيه، لا يقيس براعة الشاعر بنبل الفكر، أو صدق المضمون، بل لا تعاب صنعته برداءة الخشب في ذاته بل بصناعته فيه^(٣).

١) ديوان أبي نواس: ١٤٥.

٢) ديوان بشار بن برد: ١٩٨/٤؛ ديوان المعاني: ١٨٩/١.

٣) انظر: نقد الشعر لقدامه: ٩.

ويلاحظ تنوع التشبيهات عندهم تنوعاً بيناً يُظهرُ متعةً في الخيال الشعري، وقدرة كبيرة على التصوير، وقد أثبت أبي نواس براعته في استقصاء المعاني والجمع بينها، ومن الصور المبتكرة قوله^(١):

إِذَا مَا تَحْمِي أُنَاكَ مُفَاخِرًا فَقُلْ عَدَّ عَنْ ذَا كَيْفَ أَكُلُّكَ لِلضَّبِّ

واستمد دعلب عناصر الصورة من التراث العربي، لكن إبتائه بصورة الطلل ليصور به القبح، أمر مستهجن، ولم يؤثر عن غيره، وهو من التشبيهات المبتكرة التي تأثر بها الشعراء، ولإغناء هذه الصورة لجأ بعضهم إلى إشراك مجموعة من الخواص والأفعال في تشكيلها، ومن أمثلة ذلك قول أبي نواس^(٢):

رَأَيْتُ الْفَضْلَ مُكْتَبِبًا يُنَاغِي الْخَبْزَ وَالسَّمَكَ
فَقَطَّبَ حِينَ ابْصَرَنِي وَنَكَسَ رَأْسَهُ وَبَكَى
فَلَمَّا أَنْ حَلَفْتُ لَهُ بِأَنِّي صَائِمٌ ضَحِكًا

وبهذا توافر لشعر الفكاهة والسخرية على سمات فنية جديدة طبعت بطابع الحضارة في العصر العباس الأول وبأجوائها الجديدة بعيداً عن الروح البدوية التي غلبت على بعض أشعار الشراء في العصر الأموي.

١ () انظر ديوان أبي نواس: ١٣٩.

٢ () ديوان أبي نواس: ٥٢٠.

المبحث الثاني

- أ. الخصائص الفنية الساخرة في
نثر ادب الفكاهة في صدر
الاسلام والعصر الاموي
- ب. الخصائص الفنية الساخرة
لمضامين الرسائل الادبية
والاخوانية والديوانية في نثر
العصر العباسي الاول
- ج. اختيار الالفاظ الساخرة
وزخرفتها في نثر العصر
العباسي الاول

أ - الخصائص الفنية الساخرة في نثر ادب الفكاهة والسخرية في صدر الإسلام والعصر الأموي

١ - عدم التأنق في البدء والختام

كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يفتتح كتبه بالبسملة ثم يقول: من محمد رسول الله إلى فلان، ويبتدئ صدورها غالباً بالسلام عليكم، ثم كتب ابو بكر الصديق رضي الله عنه في خلافته "من أبي بكر خليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)". ثم كتب عمر بعده: "من عمر بن الخطاب خليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى فلان" فلما لقب بأمرير المؤمنين زاد في ذلك لفظ (عبد الله) قيل عمر (أمير المؤمنين) بعده، فكان يكتب: (من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى فلان". ولم يزل الامر على ذلك إلى خلافة هارون الرشيد، فأمر أن يزاد في صدور الكتب بعد "فأني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وأسأله أن يصلي على جدي محمد وعده ورسوله)^(١) فمن ذلك ما كتب به أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه إلى عمرو بن العاص: وهو يومئذ أمير مصر، وهو: (من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص: سلام عليك أمّا بعد، فقد بلغني أنه فشت لك فاشية من خيل وابلٍ وبقرٍ وعبيد وعهدي بك قبل ذلك ولا مال لك، فاكتب لي من اين أصل هذا المال).

حيث يتبين من هذه الرسالة التفريع الذي وجهه الخليفة عمر بن الخطاب، متعجباً من أحد ولاته إن يكون همه جمع المال طالباً منه أن يوضح تلك الاموال وكذلك ما كتبه معاوية بن أبي سفيان في خلافته إلى ابنه يزيد، وقد بلغه مقارفة اللذات، وانهماكه على الشهوات، وهو: (من معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين إلى يزيد بن معاوية).

(١) صبح الاعشى في صناعة الانشاء: ٣٢٧/٦-٣٢٨.

أما بعدُ، فقد أدتُ السنةُ التصريحُ إلي أذن العناية بك ما فجع الامل فيك. وباعد الرجاء منك... فواحرته عليك يزيدُ! ويا حر صدر المتوكل بك! ما اشمته فتیان بني هاشم! وأذل فتیان بني عبد شمس! عند تفاوض المفاخرة ودراسة المناقب! فمن لصالح ما أفسدت، ورتق ما فتقت^(١).

وبذلك ترى أن معاوية قد تهكم وسخر من اخلاق أبنه يزيد عند مقارنته بأبناء الصحابة من بني هاشم، وذلك بسبب فساد وسيره في طريق الموبقات. كما افتحت بعض الرسائل بـ(سلم انت)^(٢).

فمن ذلك كتابه (صلی الله علیه وآله وسلم) إلى المنذر بن ساوي. وهو فيما جاء: (سَلِّمَ انتَ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مَنْ صَلَّى صَلَاتِنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبَلَتَنَا وَأَكَلَ ذَبْحَتَنَا، فَذَلِكَ الْمُسْلِمَ لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ الرَّسُولِ، فَمَنْ أَحَبَّ ذَلِكَ مِنَ الْمَجُوسِ فَإِنَّهُ آمِنٌ، وَمَنْ أَبَى فَإِنَّ عَلَيْهِ الْجَزِيَّةَ).

ثم اهتم كُتَّابُ الرسائل بتأنيق رسائلهم، كما ورد في رسالة معاوية إلى علي بن منبه: (أحاطك الله بكلاءته، وإيدك بتوقيفه، كَتَبْتُ إِلَيْكَ صَبِيحَةَ وَرَدَ عَلَيَّ كِتَابُ مِرْوَانَ يُخْبِرُ قَتْلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُشْرَحُ الْحَالُ فِيهِ)^(٣).

ولقد امتازت خواتيم تلك الرسائل بذكر التعابير التهكمية ذات اللهجة الشديدة، كما في رسالة معاوية إلى علي حيث كتب إليه قائلاً: (... وانمَّا تُعَرِّفُ أَمْنِيَّتَكَ لَوْ قَدْ رَزَقْتُكَ فِي الْمُهَاجِرِينَ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ.. وَالسَّلَامُ عَلَى أَوْلِيَاءِ اللَّهِ..)^(٤).

١) صبح الاعشى في صناعة الانشاء: ٣٨٧/٦.

٢) الطبقات الكبير: ٢٣٨/١؛ صبح الاعشى في صناعة الانشاء: ٣٧٦.

٣) شرح نهج البلاغة: ٣٢٩/١؛ جمهرة رسائل العرب: ٣٠٥/١.

٤) الامامة والسياسة: ١٠٠/١.

ولقد كانت الرسائل تختتم بالدعاء, كما ورد في رسالة الامام علي عليه السلام إلى معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه:
(.. اللَّهُمَّ أَحْكُم بَيْنَنَا وَبَيْنَ عَدُوِّنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ)(١).

٢- الإيجاز والاطناب

إن مسألة الإيجاز والاطناب في الغالب (على مقتضى الحال فكان الكاتب يوجز تارة, ويطنب أخرى وفقاً للظروف التي يكتب فيها رسالته, وكان من الخطباء من يطيل, وكان منهم من يوجز... فتقتضي مرة بالاطناب وتقتضي حيناً بالإيجاز)(٢).

إذا كانت الرسائل الغرض منها الشكر على نعمه أو شكوى الفقر أو من باب الاعتذار والتهكم فيبني (كلامه على الإيجاز ويعدل عن الاسباب والاطناب)(٣).

وفي عصر صدر الاسلام سارت الرسائل وفق مقتضى الحال ما بين الاطالة والاقتراب مثل رسالة ابي بكر الصديق إلى خالد قائلًا: (سِرْ إلى العراق حتى تدخلها, وابدأ بفرج الهند - وهي الابلّة- وتألف اهل فارس ومن كان في ملكهم)(٤).

أما فيما يخص الإيجاز, فقد ظهرت أيضاً هناك رسالة اتسمت بالإيجاز كرسالة عائشة زوجة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى علي جواباً على رسالة ارسلها إليها: (جَلَّ الامرُ عن العقاب والسلام)(٥).

إن السيدة ام المؤمنين عائشة بنت أبي بكر زوجة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ترفض اي نوع من انواع العتاب والتفاوض, حيث ردت على الامام علي عليه السلام رداً مقذعاً, رافضة التحدث إليه.

(١) وقعة صفين: ١٠٨-١١٠.

(٢) النثر الفني في القرن الرابع الهجري: ٦٨/١-٦٩.

(٣) صبح الاعشى في صناعة الانشاء: ٣٢٠/٦-٣٢١.

(٤) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة: ٢٨٧.

(٥) الامامة والسياسة: ٩١/١.

وكذلك الرد العنيف الذي وجهه معاوية للإمام علي عليه السلام عندما طلب منه علي البيعة، حيث كتب رسالة ولم يكتب فيها شيئاً فقط كتب على العنوان (من معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب {عليه السلام})^(١).

حيث يظهر لنا مدى انغماس نفسيته بروح الجاهلية التي لم يتخلص منها وتهكمه بأمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام دون وجه حق منه. لقد سئل ابن المقفع ما البلاغة قال: (البلاغة اسم جامع لمعانٍ تجري في وجوه كثيرة).

وبعد إن يعد تلك الوجوه، يقول: (فعامة ما يكون من هذه الابواب الوحي فيها، والاشارة إلى المعنى والايجاز هو البلاغة)^(٢).

ومثال ذلك، مما يروى إن معاوية قدم المدينة فدخل دار عثمان، فقالت عائشة بنت عثمان وا أبتاه! وبكت، تثير معاوية على قتله أبيها، فقال معاوية: (يا أبنه أخي إن الناس أعطونا طاعةً وأعطيناهم أماناً، واطهرنا لهم حِلماً تحتَه غَضَبٌ، واطهرُوا لَنَا طاعةً تحتها جَفْدٌ، وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ سِيفُهُ وهو يرى مكان انصاره... وإن نكثنا نكثوا بنا، ولا ندري اعلينا يكون أم لنا... ولأن تكوني ابنة عم امير المؤمنين خيرٌ من أن تكوني امرأة من عِراض المسلمين)^(٣).

وقد تكون هناك رسائل شعرية موجزة، هي جواباً عن رسالة نثرية، كرسالة معاوية إلى الامام علي بن أبي طالب جواباً لرسالته^(٤).

١) الاخبار الطوال: ١٤١؛ جمهرة رسائل العرب: ٣٥٤/١.

٢) البيان والتبيين للجاحظ: ١١٥-١١٦.

٣) المصدر نفسه: ٣/٣٠٠.

٤) وقعة صفين: ١٥٠-١٥١.

ونص هذه الرسالة:

أما بعد فأنه:

لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ قَيْسٍ عِتَابٌ غَيْرَ طَعْنِ الْكَلْبِ وَضَرْبِ الرَّقَابِ^(١)

إن هذه الرسالة الصادرة من معاوية بن أبي سفيان, لا تدل على المحاورة والمشاورة في امرٍ ما, ولكنها تدل دلالة واضحة على أسلوبه المتهكم الذي عرف به في سبيل الوصول الى سلم الخلافة, بعد أن اتخذ من قتل عثمان بن عفان وسيلة وهدف في نفس الوقت وصولاً إلى الخلافة, متهكماً من الآخرين مهما كانت مواقفهم في الاسلام وقربتهم من رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

أما الاقتباس من القرآن, وذكر الآيات القرآنية بيينة على صدق ما جاء به النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم), من ذلك ما كتبه إلى يهود خيبر:

(إِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ قَدْ قَالَ لَكُمْ يَا مَعْشَرَ أَهْلِ الثَّوْرَةِ, وَإِنَّمَا تَجِدُونَ ذَلِكَ فِي كِتَابِكُمْ (محمد رسول الله والذين معه أشدُّ على الكفارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ وَانْشَدَكُمْ بِالَّذِي أُيِّسَ الْبَحْرَ لِأَبَاكُمْ حَتَّى أَنْجَاهُمْ مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ... فَأَنْ كُنْتُمْ لَا تَجِدُونَ ذَلِكَ فِي كِتَابِكُمْ فَلَا كُرْهُ عَلَيْكُمْ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ..)^(٢).

٣- الجزالة

قال القلقشندي: (يجب على الكاتب أن ينتقل في استعمال الالفاظ على حسب ما تقتضيه رتب الخطاب والمخاطبين, وتوجيه الاحوال المتغايرة والاوقات المختلفة:

١) وقعة صفين: ١٥١؛ جمهرة رسائل العرب: ٤٠٩.

٢) نهاية الأرب: ٣٧٢/١٦-٣٧٣.

ليكون كلامه مشاكلاً لكل منها, فإن أحكام الكلام يتغير بحكم تغيير الأزمنة والامكنة ومنازل المخاطبين والمكاتبين^(١).

وجاء في كتاب الانشاء للقلقشندي أيضاً (استعمل كتاب الدولة الاموية من الالفاظ العربية الفحلة والمتبينة الجزلة, ما لم تستعمل مثله الدولة العباسية: الدولة الاموية قصدوا ما شكل زمانهم الذي استفاضت فيه علوم العربية ولغاتها, حتى عُدت في جملة الفضائل التي يثابر على اقتنائها, والامكنة التي تنزلها ملوكهم من بلاد العرب والرجال الذين كانت الكتب تصدر إليهم, وهم أهل الفصاحة واللسن والخطابة والشعر)^(٢).

ومثالاً لذلك هذه المحاوراة التي دارت بين عبد الملك بن مروان والعجاج الراجز, حيث يروى أن العجاج بن روبة دخل على الخليفة عبد الملك بن مروان, فقال عبد الملك: يا عجاج بلغني أنك لا تقدر على الهجاء. قال: يا أمير المؤمنين! من قدر على تشييد الابنية أمكنه إخراج الاخبية. قال: فما يمنعك من ذلك؟ قال: إن لنا عزة تمنعنا من أن نُظلم, وإن لنا حلمًا يمنعنا من أن نَظلم, فعلام الهجاء؟ فقال: لكلماتك اشعر من شعرك, فإني لك عزيزتك من أن تظلم؟ قال: الادب البارع والفهم الناصع. قال: فما الحلم الذي يمنعك من أن تُظلم! قال: الادب المستظرف والطبع التالد. قال يا عجاج لقد أصبحت حكيماً, فقال: وما يمنعني وأنا نجى أمير المؤمنين؟^(٣).

ومن صور جزالتهم ما نقله الجاحظ من حديث معاوية مع قيس بن سعد وهو والي مصر لعلي بن ابي طالب {عليه السلام}:

١ () صبح الاعشى في صناعة الانشاء: ٢٩٧/٦.

٢ () المصدر نفسه: ٢٩٧/٦.

٣ () طرائف واحوال العرب: ١٢٠.

(أَمَّا بَعْدُ فَأَتَمَّا أَنْتَ يَهُودِيٌّ بَنَ يَهُودِي. إِنْ ظَفِرَ أَحَبُّ الْفَرِيقَيْنِ إِلَيْكَ عَزَلَكَ
وَأُسْتَبْدَلَ بِكَ، وَإِنْ ظَفِرَ ابْغَضَهُمَا إِلَيْكَ قَتَلَكَ وَنَكَلَ. وَقَدْ كَانَ أَبُوكَ وَتَرَ قَوْسَهُ وَرَمَى
غَيْرَ غَرَضِهِ، فَخَذَلَهُ قَوْمُهُ، وَأَدْرَكَهُ يَوْمُهُ ثُمَّ مَاتَ طَرِيداً بِحُورَانَ وَالسَّلَامِ) (١).

فكتب اليه قيس بن سعد:

(أَمَّا بَعْدُ فَأَتَكَ وَثْنُ بَنٍ وَثْنٍ، دَخَلْتَ فِي الْإِسْلَامِ كَرَّهَا، وَخَرَجْتَ مِنْهُ طَوْعاً لَمْ
يَقْدَمْ إِيْمَانُكَ وَلَمْ يَحْدُثْ نِفَاقُكَ، وَقَدْ كَانَ أَبِي رَحِمَهُ اللَّهُ وَتَرَ قَوْسَهُ وَرَمَى غَرَضَهُ،
فَشَغَبَ عَلَيْهِ مَنْ لَمْ يَبْلُغْ كَعْبِهِ، وَلَمْ يَشْتَقْ غِبَارَهُ، وَنَحْنُ بِحَمْدِ اللَّهِ أَنْصَارُ الدِّينِ لِالَّذِي
خَرَجْتَ مِنْهُ، وَاعْدَاءُ الدِّينِ الَّذِي دَخَلْتَ فِيهِ وَالسَّلَامِ) (٢).

ومن صور الجزالة في البيان المجاز الاستعاري في رسالة الامام علي عليه
السلام إلى عثمان بن حنيف إذ كتب إليه.

(إِلَيْكَ عَنِّي يَا دُنْيَا، فَحَبْلُكَ عَلَى غَارِبِكَ، قَدْ انْسَلَّتْ مِنْ مَخَالِبِكَ، وَأُفْلَتْ مِنْ
جِبَالِكَ) (٣).

وقد شاع هذا اللون من الأساليب الجزلة التهكمية في اواخر العصر الراشدي،
بسبب حاجة الخصوم لتأكيد الحق واثبات الحجة من الخصم، فتمخض عن ذلك تلك
الأساليب البديعية الجزلة التي جاءت على شكل تهديد ووعد حيث كتب معاوية إلى
الإمام علي عليه السلام:

(...فَأَيْمُ اللَّهِ لِأَصَيِّكَ بِشَهَابٍ تُزْكِيهِ الرِّيحُ وَلَا يُطْفِئُهُ الْمَاءُ...) (٤).

١ () البيان والتبيين: ٨٦/٢.

٢ () المصدر نفسه: ٨٦/٢.

٣ () شرح نهج البلاغة: ٢٩٢/١٦-٢٩٣.

٤ () كتاب العقد الفريد: ٣٣٤/٤.

فما كان من الإمام علي أيضاً يرد عليه بنفس أسلوب التهكم قائلاً: (...أَمَّا بَعْدُ
فَوَاللَّهِ مَا قَتَلَ ابْنُ عَمِّكَ غَيْرَكَ)^(١).

ثم إنَّ الإمام علي عليه السلام قد عُرِفَ باستخدام أسلوب القسم محاولاً إن
يروع العمال السارقين كرسالته إلى زياد بن أبيه عامله على فارس، قائلاً:

(... وَأَقْسِمُ بِاللَّهِ إِنَّكَ لَكَاذِبٌ، وَلَنْ لَمْ تَبْعَثْ بِخِرَاجِكَ لِأَشِدَّنَّ عَلَيْكَ شِدَّةً تَدَعَاكَ
قَلِيلَ الْوَفِيِّ، ثَقِيلَ الظَّهْرِ)^(٢).

٤- مراعاة ذكر مواقع آيات القرآن والسجع في الكتب، وذكر أبيات

الشعر في المكاتبات والرسائل

أما آيات القرآن الكريم، فقد ذكر (إنَّها تكتب في صدر الكتب، وأما السجع فقد
ذكر بعض المتأخرين أنَّ الكتابة بالسجع نقص في حق المكتوب إليه، وقضيته أنه لا
يكتب به إلا من الأعلى للأدنى، وأما الشعر فيورد بحسب إirاده، ويمنعه حيث يحسن
منعه، فليس كل مكانيه يحسن فيها إيراد الشعر)^(٣).

ومن تلك الرسائل الشعرية رسالة أبي المختار النميري إلى الخليفة عمر بن
الخطاب يخبره فيها بما كان يقوم به بعض عماله من ابتزاز الاموال ساخرأً من اولئك
العمال متهمأً بهم بسبب طمعهم في احوال المسلمين حيث يقول:^(٤)

أَبْلَغُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ رِسَالَةً	فَأَنْتَ أَمِيرُ اللَّهِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
فَارْسِلْ إِلَى النِّعْمَانِ فَاعْلَمْ حَسَابَهُ	وَارْسِلْ إِلَى جُزْءٍ وَأَرْسِلْ إِلَى بَشَرٍ
وَلَا تَدْعَنَّ النَّافِعِينَ كُلِيهِمَا	ذَاكَ الَّذِي فِي السُّوقِ مَوْلَى بَنِي بَدْرِ

١) كتاب العقد الفريد: ٣٣٤/٤.

٢) تاريخ اليعقوبي: ٢٠٤/٢.

٣) صبح الاعشى في صناعة الانشاء: ٣٠٦-٣٠٧.

٤) فتوح مصر واخبارها: ١٠٢.

يروى أن الخلفاء والملوك كانوا يجلبون كتبهم الصادرة عنهم إلى نظرائهم في علو الاتيه بالأبيات الرقيقة والالفاظ البديعة المعاني، للاستشهاد على الواقع المكتوب، كما كتب أمير المؤمنين^(١) (عثمان بن عفان) رضي الله عنه حين اجتمع القوم عليه إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام!

فان كنت مأكولاً، فكُنْ خيرَ آكلٍ والأفذرُ كُنِي ولَمَّا أَمَزَقِ!

وكما كتب أمير المؤمنين الامام علي بن أبي طالب عليه السلام! إلى معاوية بن أبي سفيان في جواب كتاب له حين جرى بينهما التنازع في الخلافة فقال في أثناء كتابه: (وَرَعَمْتَ أَيْ لِكُلِّ الْخُلَفَاءِ، حَسَدْتُ وَكُلُّهُمْ بَعَيْتُ، فَأَنْ يَكُ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَلَسْتُ الْجَنَائِيَّةُ عَلَيْكَ، فَيَكُونُ الْغَدْرُ إِلَيْكَ)^(٢).

٥- عدم التصنع الانشائي

ذكر أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) في كلامة على البديع فقال: (إنَّ هذا النَّوعَ مِنَ الْكَلَامِ إِذَا سَلَّمَ مِنَ التَّكَلُّفِ مِنَ الْعُيُوبِ كَانَ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ وَنَهَايَةِ الْجَوْدَةِ)^(٣).

إن دفاع العسكري عن القدماء ويعني أهل صدر الاسلام، لا يعني أن البديع كان عندهم طريقة فنية متبعة كما كان في زمانه وفيما تلاه من الازمنة حيث إنَّ ما دَوَّنَ من آثارهم الادبية، لا نرى فيه ميلاً إلى تكلف ولا إلى الاكثار منه، حيث إنَّ هناك فَرْقٌ بينهما، وبين الخطب والرسائل في العصر العباسي ومثال ذلك، خطبة عتبة بن ابي سفيان في مصر وكان قد غضب لأمر بلغته عن أهلها فصعد المنبر

١) صبح الاعشى في صناعة الانشاء: ٣٠٨/٦.

٢) المصدر نفسه: ٣٠٨/٦.

٣) كتاب العقد الفريد: ١٩٣/٢؛ كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، لابي هلال العسكري: ٢٠٥.

مغضباً وقال^(١): (إيَا حَامِلِينَ الْأُمِّ أَنْوَفُ رُكِبَتْ بَيْنَ أَعْيُنٍ، إِنَّمَا قَلَمْتُ أَظْفَارِي عَنْكُمْ لَيْلِينَ مَسِيَّيَاكُمْ، وَسَلَّطْتُكُمْ صَاحِبًا لَكُمْ إِذْ كَانَ فَسَادُكُمْ رَاجِعًا عَلَيْكُمْ، فَأَمَّا إِذْ ابْيَئْتُمُ الْإِلَّاهَ الطَّعْنَ فِي الْوَلَاةِ وَالتَّنْقِصَ لِلْسَلَفِ، فَوَاللَّهِ لَا قَطْعَنَ عَلَى ظُهُورِكُمْ بَطُونُ السَّيَاطِ. فَنَ حَسَمْتُ، دَاءَكُمْ، وَالْأَفَالَسِيفِ مِنْ وَرَائِكُمْ فَكُمُ مِنْ مَوْعِظَةٍ مَنَّا لَكُمْ مَجْتَهَا قُلُوبِكُمْ، وَزَجَرَةٍ صَمَّتْ عَنْهَا أَدَانُكُمْ، وَلَسْتُ أَبْخُلُ عَلَيْكُمْ بِالْعُقُوبَةِ إِذَا جَدْتُمْ لَنَا بِالْمَعْصِيَةِ).

ففي هذه الخطبة شي من البديع كقول (قلمت أظفاري عنكم ومحبتها قلوبكم والسيف من ورائكم) حيث أنه بديع فطري لم يتكلف اصطناعه الخطيب.

٦- الميل إلى التلميح دون التصريح

ومن صور التلميح تلك الرسائل التهكمية الساخرة الصادرة من الخلفاء رسالة يزيد بن الوليد إلى مروان بن محمد وقد بلغه أنه يتلأأ في بيعته قال فيه:^(٢)

(بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله أمير المؤمنين يزيد بن الوليد إلى مروان بن محمد، أَمَّا بَعْدُ أَرَاكَ تُقَدِّمُ وَتُؤَخِّرُ أُخْرَى فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي هَذَا فَاعْتَمِدْ عَلَيَّ أَيُّهَا شَيْتَانُ).

وكذلك من صور التلميح بالتهكم والسخرية عند الخليفة عبد الملك بن مروان هي تلك المحادثات الطويلة بينه وبين عمر بن سعيد الأشدق في الشام الذي أظهر الثورة على الأمويين حيث كتب له:^(٣)

(أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ رَحْمَتِي لَكَ تُصْرِفَنِي عَنْ الْغَضَبِ عَلَيْكَ لِتَمَكُّنَ الْخُدْعَ مِنْكَ وَخُذْلَانَ التَّوْفِيقِ أَيْكَ، نَهَضْتُ بِأَسْبَابِ وَهْمَتِكَ أَطْمَاعَكَ أَنْ تَسْتَفِيدَ بِهَا عِرًّا، كُنْتُ جَدِيرًا لَوْ اعْتَدَلْتُ أَنْ لَا تَدْفَعَ بِهَا ذِلًّا...).

١) كتاب الامالي في النوادر للقالبي: ٢٤١/١.

٢) البيان والتبيين للجاحظ: ٣٠١/١-٣٠٢.

٣) المصدر نفسه: ٨٧/٤-٨٨.

كما يتضح ذلك في العصر الاموي أيضاً، حيث يروى أنه لما استفحل امر حجر بن عدي وانصاره في الكوفة، طفق وإليها زياد يرسل معاوية موضحاً له خطورة الحال، إذ كتب إليه ساخراً من حجر بن عدي واهل الكوفة حيث يقول (١):

(إنَّ طواغيتَ منْ هذهِ التَّربيةِ السيئةِ رأسهم حجر بن عدي خالفوا أمير المؤمنين، ومارقوا جماعة المسلمين ونصبوا لنا الحرب...).

ثم تتوالى الرسائل (٢) السياسية بينهما، حتى تنتهي بمقتل حجر بن عدي وطائفة من انصاره.

ومن شواهد التلميح أيضاً ما فعله عبد الملك بن مروان حين لجأ إلى الكوفة واخذ يرسل قواد مصعب ويمنيهم الاماني، فتفرق عنه رجاله وقد دأب عبد الملك يرسل القواد الذين خرجوا عليه، يمنيهم الاماني ساخراً من اسيادهم، من ذلك ما كتبه إلى إبراهيم بن الاشر أثر مقتل المختار الثقفي (٣).

(أَمَّا بَعْدُ فَأَنَّ آلَ الزبير ابتزوا على أئمة الهوى ونازعوا الامر اهله والحدوا في بيت الله الحرام والله مُمَكِّنُ منهم، وجاعل دائرة السوء عليهم، وأني أدعوك إلى الله وإلى سنة نبيه فان قبلت واجبت فلك سلطان العراق ما بقيت وبقي).

ولعل ثورة الاشعث كانت اشد خطراً من سواها على الحكم الاموي وكان طبيعياً إن يتكاتب الحجاج مع اولئك العصاة الخارجين على سلطانه ويرد على رسائلهم المنمقة، حيث ذكر الدينوري في الاخبار الطوال إن ابن الاشعث قال لكتابه ابن القرية.

١) تاريخ الامم والملوك للطبري: ١٥٥/٦-١٥٦، احداث سنة ٥١.

٢) جمهرة رسائل العرب: ٥١-٥٠/٢.

٣) تاريخ الاسلام السياسي: ٤١٣/١.

(إني أريد أن أكتب إلى الحجاج كتاباً سجعاً، أعرفه فيه سوء فعاليه، أبصره فبح سريرته...) (١).

فأجابه الحجاج برسالة كتبها جواباً عن رسالة ابن القربة (٢)، حيث يقول متهماً بابن الاشعث ساخرأ منه:

(بسم الله الرحمن الرحيم، من الحجاج بن يوسف إلى عبد الرحمن بن الاشعث سلام على أهل التبذع، فأني احمد الله للذي حذك بعد البصيرة، فمزقت عن الطاعة، وخرجت عن الجماعة فعسكرت في الكفر، وذهلت عن الشكر، فلا تحمد الله في شيء، ولا نصير لأخرة في ضراء... أما بعد فهلم إلى فعل وفعل ومعانقة الأبطال بالبيض والعوال... الخ) (٣).

ومن صور التلميح أيضاً ما كتبه يزيد بن معاوية إلى أهل المدينة النبوية وقد بلغه خلافهم عليه، قال: (أما بعد فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم. وإذا ما أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من والٍ، أني والله قد لبستكم فأخلفتكم، ورفعتم على رأسي. ثم على فمي ثم على بطني. وايم الله لئن وضعتكم تحت قدمي لاطأتكم وطأ أقل بها عددكم، واترككم بها أحاديث تنسخ منها أخباركم كأخبار عاد وثمود) (٤).

١ () الاخبار الطوال: ٤١٤.

٢ () المصدر نفسه: ٤٦٥.

٣ () المصدر نفسه: ٤٦٥.

٤ () صبح الاعشى في صناعة الانشاء: ٣٩٠/٦.

٧- استعمال الصور البلاغية

ومن أحد أساليب التعبير المهمة في فنون الكلام في عصر صدر الاسلام والعصر الاموي هو استخدام المحسنات البديعية التي تمثلت بالتشبيه، والاستعارة والجناس والكناية والطباق.

فقد اشار ابو هلال العسكري إلى أهمية التشبيه، وشيوع استعماله عند سائر المتكلمين من العرب والعجم^(١)، ومن صورهِ ما ورد في خطبة سودة بنت عمارة المنقرية في مجلس الخليفة معاوية^(٢).

(... ولا تزال تقدّم علينا مَنْ ينهضُ بعزّك، ويبسطُ سلطانك فيحصدنا حصاد السنبل، ويدوسنا دياس البقر).

حيث إن الخطيبة قد شبهت قمع الوالي لقومها بحصاد السنبل في اوان نضجه وشبهت ذلال الوالي لقوها بدياس البقر لما تدوسه تحت اقدامها وهي صورة بليغة تجسد ظلم الوالي.

ومن أجمل صور التعبير بالمجاز الاستعاري في خطبه صفر ابن حمزة الصداني في مجلس معاوية حيث قال: ^(٣)

(ينفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه...).

حيث شبه الخطيب علم الامام علي عليه السلام بالماء المتدفق، ثم حذف المشبه به وهو الماء، واخذ بعض لوازمه وهو (التدفق) وشبه للمشبه به العلم على سبيل الاستعارة المكنية.

١) كتاب الصناعتين الكتابة والشعر لابي هلال العسكري: ٢٤٩.

٢) كتاب العقد الفريد: ١٠٣/٢.

٣) الأمالي في النوادر للقالبي: ١٤٧/٢.

ومن صور البيان أيضاً أسلوب التكرار الادبي ومن النماذج التي تدل عليه مثلاً، ما ورد في خطب عمرو بن عتبة في مجلس الخليفة عبد الملك وهو يستعطفه في قوله^(١):

(يا أمير المؤمنين: إِنَّ أذنى حَقِّكَ متعبٌ، وبعضُهُ فادحٌ لنا، ولنا مَعَ حَقِّكَ علينا، حقٌّ عليك، بإكرام سلفنا لسلفك...).

فكرّر الخطيب كلمة (حقك) ثلاث مرات، واردفها بتكرار كلمة (سلف) مضافة إلى ضمير المتكلم مرةً، وإلى ضمير المخاطب مرة أخرى.

ومن الصور البيانية أيضاً أسلوب المحاورة في مجلس الخليفة عبد الملك بن مروان قدوم ابراهيم بن محمد بن طلحة يشكو احد عماله وهو الحجاج الثقفي، وظلمه ومما ورد في قوله: (٢)

(تالله يا أمير المؤمنين لقد عمدت إلى الحجاج في تغطرسه وتعجرفه وبُعده عن الحق، وقربه من الباطل، فوليته الحرمين وهما ما هما! وبهما ما بهما! من المهاجرين والانصار والموالي الاخير، يسومهم الخسف، ويحكم بينهم بغير السنة، بعد الذي كان من سفك دمائهم، وما انتهك من حرمة...).

١ () كتاب العقد الفريد: ١٥١/٢.

٢ () المصدر نفسه: ٨٠/٢.

ب- الخصائص الفنية الساخرة لمضامين الرسائل الادبية والاخوانية والديوانية في نثر العصر العباسي الاول

اولاً: الرسائل الادبية

أ. الرسائل الادبية الساخرة عند سهل بن هارون

١- رسالة تفضيل الزَّجاج على الذهب:

(الزجاج مجلُّ نوري، والذهب متاعٌ سائر، والشرابُ في الزجاج أحسنُّ منه في كلِّ معدنٍ، ولا يفقدُ وجهُ النديم، ولا يثقلُ اليد ولا يرتفعُ في السوم، واسمُ الذهب يتطيرُ منه، ومن لؤمه سرعته إلى اللثام، وهو فاتنٌ فأنتك فاتك لمن صانه، وهو أيضاً من مصايدِ ابليس ولذلك قالوا: اهلك الرجالُ الاحمران، والزجاج لا يحملُ الوضر ولا يتداخله الغمر^(١) ومتى غُسلَ بالماء وحده عادَ جديداً، وهو اشبهُ شيء بالماء، وصفته عجيبةٌ، وصناعته اعجب...^(٢)).

٢- رسالة تقبيح القمر وذكر معايبه:

(إنَّه يهدمُ العمرَ، ويقربُ الاجلَ، ويحلُّ الدينَ ويوجبُ كراء^(٣) المنزل، ويقرضُ الكتانَ، ويشحبُ الألوانَ، ويسخنُ الماءَ، ويفسدُ اللحمَ، ويعينُ السارقَ ويفضحُ العاشقَ والطارق^(٤)).

١ () الغمر: ما يغمر من رائحة الدسم وسائر الروائح (الدسم)، انظر: سرح العيون لابن نباته: ٢٤٦.

٢ () سرح العيون لابن نباته: ٢٤٦؛ جمهرة رسائل العرب: ٣٩٥-٣٩٦.

٣ () كراء: أجر المستأجر، مادة كرى، لسان العرب.

٤ () امرأ البيان العربي: ٢٠٠/١.

٣- نص من كتاب (تُغله وعفراء), الذي عارض فيه كتاب كليله ودمنة الذي نسب لأبن المقفع.

(اجعلوا أداء ما يجب عليكم من الحقوق مقدماً قبل الذي تجودون به من تفضلكم فإنّ تقديم النافلة مع الإبطاء في أداء الفريضة شاهد على وهن العقيدة, وتقصير الرؤية, ومضر بالتدبير, ومخل بالاختيار, وليس في نفع تحمّد به عن فساد المروءة ولزوم النقيصة)^(١).

اللغة والاسلوب في رسائل ابن سهل الادبية:

إن رسائله الادبية تقوم دائماً على أسلوب الجدل والتهكم, وهو أسلوب ينأى بالكاتب عن الاشكال التقليدية به للرسالة الادبية, وكذلك يقوم على المفاضلة بين شيئين بينهما روابط متداخلة, ولقد ذكر سهل بن هارون افضليه الزجاج على الذهب بسبب خفته وعدم تغير لونه, اما الذهب فقد ذكر ان اسمه شؤم على صاحبه, وانه متبادل بين اللئام, فالكاتب بدأ غريب التفكير وذلك بتمسكه بأمرٍ خالف فيها عامة الناس. وكذلك في رسالته الثانية في تقبيح القمر, حيث انه عدد انواعاً من الاشياء السيئة, مثل كشف امر العاشق والطارق, ومساعدة السارق على الجريمة وهربه, وتناسى كم إن الشعراء قد تغنوا بالقمر, فانكر عليهم جماله, ثم إن الكاتب قد بدأ كتابه بالفعل المضارع وانه كان مبالغاً في هجومه على القمر, اما في رسالته الثالثة. (تغله وعفراء) فانه قد تضمن نوعاً من الحكم والامثال, والاقوال الحسنه, وتلك الرسالة دعا فيها إلى النصح والارشاد والتمسك بالمروءة والشهامة, وعدم التقصير في ادائها لأنه يغير نوعاً من ضعف الانسان والتقصير وفساد الشخص.

والملاحظ على رسالة سهل بن هارون الادبية أنها مبنية على مقارنة الحجة بالحجة وتقوم على البراعة في الرد, وليس غريباً على شخص مثل سهل بن هارون في مدح الزجاج وذم الذهب, ومدح الدرهم, قال الجاحظ: (لقى رجل سهل بن هارون,

(١) زهرة الآداب وثمر الالباب: ٦١٦/١؛ امراء البيان العربي: ١٧٣/١.

فقال الاول: هب لي مالا ضرر به عليك فقال: وما هو يا أخي؟ قال: درهم، قال: لقد هَوَّنت الدَّرهم، وهو طائع الله في ارضه، لا يعصي، وهو عشرة العشرة، والعشر عشر المائه والمائه عشر الالف، والالف عشر دِيَّه المسلم، ألا ترى إلى أين انتهى الدرهم الذي هَوَّنته! وهل بيوت الاموال إلا درهمٌ على درهمٍ إما نصرف الرَّجل، ولولا انصرافه لم يسكن^(١)

ب. الرسائل الادبية الساخرة عند عمرو بن مسعدة في خصال الوزير الجيد:

(أَيُّ التَّمسُّتْ لأموري رجلاً جامعاً لخصال الخير، ذا لطفٍ في خلائقه واستقامةٍ في طرائقه، قد هَدَّبَتْهُ الآدابُ، وأَحْكَمَتْهُ التجاربُ، إِنَّ أُوتِمَنَ على الاسرارِ كَتَمَهَا، وَإِنْ قَلَدَ مهماتُ الامور نهَضَ بها، يسكتُهُ الحلمُ، وينطقُهُ العلمُ تكفيهِ اللحظة^(٢)) وتغنيه اللحمة، له صولةُ الامراء^(٣) واناةُ الحكماء، وتواضعُ العلماء، وفهمُ الادباء، يسترقُّ قلوبَ الرُّجال بحلاوةِ كلامه، ويعجزُ الفضلاءُ بفصاحةِ لسانه، وحُسْنُ بيانه، ويودغُ محبَّتِهِ ا لقلوبَ بلطافِ احسانه اِنْ احسنَ إليه شكرَ، وإِنْ أُبْتُلِيَ بالإساءةِ صبرَ وانتظرَ، فهذا الذي يصلحُ أَنْ تُعْقَدَ به الامورُ، وتُفَوَّضَ إليه سياسةُ الجمهورِ^(٤).

اللغة والاسلوب في رسائل عمرو بن مسعدة الادبية:

في رسالته الاولى التي تكلم فيها عن خصال الوزير، ذكر لنا الكاتب خصال وصفات مهمة، استمد تلك الصفات من خبرته حيث انه كان على اتصال بالخلفاء العباسيين، فاراد أن تكون تلك الصفات مثلاً للشخص المثالي الذي يختاره الخليفة

١ () سرح العيون في شرح ابن زيدون لابن نباته: ٣٤٣؛ امراء البيان العربي: ١٦٣.

٢ () اللحظة: الوقت القصير بمقدار لحظ العين، ابن منظور، لسان العرب، مادة لحظ.

٣ () الصولة: السطوة في الحرب، المصدر نفسه.

٤ () الثعالبي (ابو منصور عبد الملك بن اسماعيل) تحفه الوزراء: ٤٣؛ لقد نسبت هذه الرسالة لعمرو بن مسعدة، واثبت التالي كتابه (تحفه الوزراء) الرسالة تحت عنوان (فصل لعمرو بن مسعدة في وصف أمير)، كما نسفت الى الحسن بن سهل في كتاب الأمالي لأبي علي القالي.

لاستلام امور العامة, حيث عدد قسماً من تلك الصفات التي يحق إن يتصف بها الوزير منها العلم والذكاء والتواضع, والبلاغة والادب وحسن الاقناع والحكمة والتجربة. كما انه في الوقت ذاته تهكم وضم أولئك الوزراء الذين لم يعرفوا يوماً حقوق العامة من الناس فانتهكوا حقوقهم المشروعة.

وقد استخدم عمرو بن مسعدة في رسالته هذه ضمير المتكلم الذي يمثل رأيه ومن ذلك قوله (التمست لأموري), اذ اعتمد ذلك الاسلوب لإبراز ثقافته الواسعة, أمّا الفاظ رسالته فقد كانت جزلة قوية, يمكن فهمها بسهولة غير ركيكة, كما يلاحظ إن قربته من الخلفاء جعله قادراً على معرفة صفاتهم ووصفها بدقة.

ثانياً: الرسائل الاخوانية

أ- الرسائل الاخوانية عند سهل بن هارون

١- رسالة لصديق أبل من ضعف

النص: (بلغني خبرُ الفترةِ في المامها وانحسارها والشكاة في حُلُولها وارتحالها فكادَ يشغلُ القلقُ بأوله عن السكونِ لآخره, وتذهلُ الحيرةُ في ابتدائه عن المسرةِ في انتهائه, وكان تغَيَّرِي في الحاليين بقدرهما ارتياعاً للأولى, وارتياحاً للآخرى)^(١).

اللغة والاسلوب: إن رسالته خلت من العنوان والبسملة, وخلت أيضاً من التحية ولقد اهتم الكاتب في رسالته تلك بالمشاعر والاحاسيس, كما لم يبدأ رسالته (بأما بعد) التي كانت تعتبر وسيلة من قبل الكاتب للانتقال من موضوع لآخر, وقد

١ () جمهرة رسائل العرب: ٣/٣٩٤؛ امراء البيان العربي: ١/١٧٣.

اشار العسكري إلى ذلك فقال: (كان الناس يستعملون في أول فصول الرسائل. "أما بعد"، وقد تركها جماعة من الكتاب)^(١).

وان لغة الرسالة جزلة في اللفظ، وكثر فيها السجع، حيث جاءت غالبية الفاظها مسجوعة، حيث أنه ركز في رسائله على القيم الانسانية.

وواضح أن موضوع الرسالة يمثل عاطفته تجاه صديقه، وما ألم به من قلق عليه في مرضه، وسروره بشفائه وتقريعه بعدم السؤال عليه في هذه الفترة بسبب قطع صلة المودة بينهما، والرسالة على إيجازها مثقلة بالمعاني، تصور تصويراً دقيقاً حالته العاطفية والنفسية، كما تصور مهارته البيانية وقدرته التعبيرية، مع طلاوة اللغة وحسن الديباجة ويبدو انه يميل الى الإيجاز في رسائله الاخوانية وهي ظاهرة كانت موجودة لدى كتاب العصر لعباسي الاول.

٢- كتب سهل بن هرون الى صديق معاتباً:

(اما بعدُ، فالسلامُ على عهدك، وداعُ ذي ودٍ ضنين بك في غير مقلية لك، ولا سلوة عنك بل استسلام للبلوى في امرك، واقرارُ بالعجز عن استعطافك الى اوان فيئتكَ او يجعلُ الله لنا دولة)^(٢).

ب- رسائل الاخوانية عند عمرو بن مسعدة

١- رسالة عتاب إلى صديق

النص: (وصلَ اليّ كتابك على ظمأٍ منّي إليه، وتطلّع شديدٌ وبعدُ عهدٍ بعيدٍ، ولومٌ منّي على ما مستني به من جفائك، على كثرة ما بُعثَ من الكتبِ وعُدِمَتْ مِنْ الجوابِ. فكان أولُ ما سبقَ اليّ من كتابك السرورُ بالنظرِ إليه، أنساً بما تجددَ ليّ مِنْ

(١) كتاب الصنائع الكتابة والشعر لابي هلال العسكري: ١٥٩.

(٢) جمهرة رسائل العرب : ٣/٣٩٥؛ شرح العيون في شرح ابن زيدون: ٢٤٦، امراء البيان العربي: ١٧٤/١.

رأيتُ في المواصلَةِ بالمكاتبةِ، ثمَّ تضاعفَ المسرَّةُ بخبرِ السلامةِ وعلمِ الحالِ في الهيئةِ. ورأيتُك بما تظاهرتَ من الاحتجاجِ في تركِ الكتابِ، سالِكاً سبيلَ التخلصِ مما أنا مخلصُك منه بالإغضاءِ عن الزامِك الحجةِ في تركِ الابتداءِ والاجابةِ وذكرتُ شغلكَ بوجوهِ من الاشغالِ كثيرةً متظاهرةً ممكنةً، لا اجشمك متابعةَ الكتبِ، ولا أحتملُ اليكَ المشاكلةَ بالجوابِ، ويقنعني منك في كلِّ شهرِ كتابٌ، ولن (تلزم) من نفسك في البرِّ قليلاً الاّ ألزمتَ نفسي منه كثيراً، وإن كنتَ لا استكثرُ شيئاً منك، أدامَ اللهُ مودَّتَكَ، وثبتَ إخاءَكَ واستمأخَ لي منكَ قرأتَكَ في متابعةِ الكتبِ، ومحادثتي فيها بخبرِكَ، موفقاً إن شاء اللهُ^(١).

٢- رسالة في العناية، في حق شخصٍ يعزُّ عليه

النص: "أما بعد، فموصل اليك كتابي سالم والسلام^(٢)."

٣- رسالة في المعاتبة

(أما بعدُ فأنتَ ممَّن إذا غرسُ سقى، وإذا أسسُ بنى ليستتمَّ تشييدُ أسسه ويجتني ثمارَ غرسه، وثناؤك عني قد شارفَ الدروسَ، وغرسك مشفٍ على اليبوسِ، فتداركُ بناءَ ما أسستَ وسقي ما غرستَ، إن شاء اللهُ تعالى)^(٣).

٤- رسالة تهنئة بمولود جديد

(أما بعدُ فإنَّ هبةَ اللهِ لك هبة لأمير المؤمنين ، وزيادتهُ إياك في عددك زيادةً له في عدده ، ومكانك في دولته ، وقد بلغَ أميرُ المؤمنين ان الله وهبَ لك غلاماً سرياً فبارك اللهُ لك فيه وجعله باراً تقياً مباركاً سعيداً زكياً)^(٤).

(١) جمهرة رسائل العرب: ٢٠٤/٣؛ امراء البيان العربي: ٤٣٣/١-٤٣٤.

(٢) وفيات الاعيان وابناء الزمان لابن خلكان: ٤٧٧/٣؛ جمهرة رسائل العرب: ٤٣١/٣؛ امراء البيان العربي: ٢٠٠/١.

(٣) جمهرة رسائل العرب: ٤٢٩/٣؛ امراء البيان العربي: ٢٠٠/١.

(٤) (صبح الاعشى في صناعة الانشاء: ٥٦/٩-٦٣ ، جمهرة رسائل العرب : ٥٥/٣ .

٥- رسالة مواساة لرجل قد تزوجت امه

(الحمد لله الذي كشف عنا ستر الحيرة وهدانا لستر العورة، وجدع بما تشرع من الحلال انف الغيرة ومنع عقل الامهات، كما منع وئد البنات استنزالا للنفوس الابية عن الحمية، حمية الجاهلية ثم عرض لجزيل الامر من استسلم لواقع قضائه، وعوض جليل الذخر من صبر على نازل بلاءه، وهداك الذي شرح بالتقوى صدرك ووسع في البلوى صبرك، والهمك من التسليم لمشيتته والرضا بقضيتته، ما وقفك له من قضاء الواجب في احد ابويك، ومن عظم حقه عليك وجعل تعالى جده - ما تجربته من انف وكظمتة من اسف فيما يعظم به^(١).

اللغة والاسلوب في رسائل عمرو بن مسعدة (الاخوانية)

إن الرسالة الاخوانية الأولى التي كتبها عمرو بن مسعدة كانت عبارة عن عتاب وتقريع إلى صديق بسبب جفائه عنه حيث انتقل الكاتب مباشرة من المقدمة إلى الموضوع، وكانت الغاية منها إصلاح ما أفسده البعد وتقادم الايام، حيث خلت رسالته هذه أيضاً من البسملة والصلاة على النبي والتحية والتحميد، وكذلك خلت من صيغة (أما بعد) وقد استهل رسالته بمقدمة قال فيها: (وصل إلي كتابك على ظمأ مني إليه وتطلع شديد، وبعد عهد بعيد ولوم مني على ما مستني به من جفائك على كثرة ما تابعت من الكتب وعدمت الجواب).

كما استخدم لغة بعيدة عن العامية والالفاظ السوقية، بل استخدم الالفاظ الدقيقة التي تتناسب مع عواطف الصديق، ولم تتسم رسالته بالتصنع أو التكلف، ولقد اتسمت رسالته هذ بالتقريع به بسبب الفراق والجفاء الذي احدث له المأ.

أما رسالته الثانية، فقد جاءت اشبه بالتوقيعات وذلك لاتصافها بالجزالة والايجاز، وقد بدأها بعبارة (أما بعد) وانهاها بالسلام ونلاحظ على الرسالة المعاني

(١) وفيات الاعيان وابناء الزمان لابن خلكان: ٤٧٦-٤٧٧؛ جمهرة رسائل العرب: ٣/٤٣٢.

الموجزة قليلة الالفاظ، حيث ان الكاتب اراد من رسالته الموجزة هذه ان يوضح مدى حاجته اليه مقضعاً له مبيناً ان الحياة لم تعرف بالرسائل وما فيها من العبارات بل تعرف بالمودة والاخاء.

أما الرسالة الثالثة التي بعثها إلى الحسن بن سهل وزير المأمون، فقد بدأها بـ(أما بعد) وأنهاها بعبارة (إن شاء الله تعالى).

وقد شبه العلاقة بين الطرفين بالثمرة التي لم تلقَ العناية والاهتمام فتموت، وعكس الثمرة التي تسقى وتلقى العناية الكافية فأنها تنضج وكانت الفاظ رسالته هذه جزلة وفصيحة، وهذا اقصى انواع الذم والتهكم المقذع في الوان العتاب بين شخصين قد جمع بينهما الود والمحبة.

ثالثاً: الرسائل الديوانية

أ. الرسائل الديوانية عند سهل بن هارون

١ - رسالة من الملك إلى الذئب معاتباً^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلّم.

(أما بعد، فإنّ امرأ لو صانَ ثوبَ نعمته لما مسه منْ عُرِي فاقتَه تمسكاً بحلبها لما ناله من انقطاعها، واحتملَ عزَّ الكرامة لما كان فيه من ذلة الهوان، كان أحجى بكْ دونَ أكثرِ أهلِ زمانك للذي كشفَ لكْ منْ وجوهِ عبره، فأوضحَ لكْ عن مناهجِ سبله، وعرفك منْ تصاريِفِ نعمه ونقمةٍ، لكنك سَمَنْتَ وبطنتَ فأقتعدتَ الاشرَ وامتنطيتَ البطرَ ونعقَ بكْ الشيطانُ مستهويّاً فسمحتَ له برأسِك، وطاعَ له جبينك، فأنت متسكعٌ في جهالتك، مبادرٌ في ضلالتك. تظنُّ ألا يفتضحُ أمرُك، ولنْ يتأملُ تدبيرُك، وقد

(١) النمر والثعلب لسهل بن هارون: ١٤٩-١٥١.

علمتُ ما اكدتَ شَرطَكَ على نفسك، واعطيتَ عليه عهدَكَ وذمتَكَ، فأقسمُ لئنَ لمَ تخلُ رُبُقَ الشكِّ من عنقِكَ، وتكفُ عن جماحِكَ، وتعظُ نفسك بالأمثالِ الجاريةِ والمواعظُ المتقدمة، فسَنَقَفَكَ على ما إنْ وقفتَ عليه أبصرتُ خطأك، ووقفتَ عندَ رشدِكَ، وتلافيتَ ما فرطَ من زُللك وعفيتَ على سوءِ أثركَ ولأطأنك وطأةً تكونُ رتيماً بعدها، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْفَلِبُونَ﴾ (١).

٢- رسالة تضمنت رد الذنب على الملك

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وسلم

(اما بعدُ فقدَ وصلُ الي كتابُ الملك بما عاتبَ فيه واوعدَ عليه وفهمته، فأما ما ذكره الملكُ من ربك عيشٌ تناسيته وثوبٌ ضرٌ لبسته، وضفرٌ من دهرٍ خدشني، ونابٍ منه جرحني، حتى استنقذني الملك من غمرة العطب، وانتشاني من هوة الهلكة، وما بدا لي بذلك من تصاريِف وجوه الضر حتى استحققتَ ذلك انْ اكونَ لرشدي مبصراً وللطريقة المثلى سالكا ، فانَّ الايامَ بحمدِ الله ومنه لم تُكشِفْ مني هيبا ورعا ولا هلعاً ضرعاً،... على ان يد الملكُ عندي بيضاءً مشكورةً ليستَ بمرفوعةٍ ولا مكفورةً، وطلعتها في قلبي نضيدٌ، وظلها علي ممدودٌ، خصبَةٌ خضرةٌ اغذوها بماء الشكر وانميها بجميلِ الذكر، لا يحصدُها تقادمُ الايام ولا يقدحُ فيها بزندِ الملام، وارتضع درتها فواقاً عن فواقٍ فاغترفُ منها بسجلٍ ذي عراقٍ، فاين الملكُ ذهبَ في ظنه وانا ابنُ نعمته والشاربُ في بلهينته، ذراني جناحه وكفني رجاجه، يعقلني وزره وينجيني عصره، افلا يرب الملك -امتع الله به- نعمه وانشا شجرتها واطهر ثمرتها بنوافله العظام ومننه الجسام ونعمه التوام، فقد اسهرني وعيده وافلقني تهديده واجزعني توليه، وارمضني تجنبه على ان علمي باتباع حلمه عني يضمنُ لي العفو منه عن

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.

زلتي فان يطلق الملك اسر من موجدته فذلك ظني برحمته وان تكن الاخرى، واعدو بالله منها، فيالها عثرة لم يوق حاذرها ويا لها حسرة يستنجد عاثرها وها انا ذا بين يدي الملك، صريع سطوته، وعتيق عفوته^(١).

٣-رسالة من الملك الى الذئب

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم

(اما بعد يا مغرور، من استرعى الذئب فقد ظلمه، فان النعم اذا امتد مهلهما في البعد مسامحة له برغد العيش وكف العسر استعذب موارد البطر واستوضأ موكب الاشر، واسلس قياداً لداعي شقائه وجار في بلائه فجرى في كسف ليل داج على شفا جرف هار، يتورط المهالك ويخبط خطب عشواء، قد دهل عن شكر النعم ولها عن ذكر الواجب انسته خيانة شكره حوالي حالاته وغوارب ازمنته، اذ هو غير مؤئل طلباً ولا مستبق جهداً في سد مخصمته وستر خصاصته لا تتسع جاله لدفع مذلة الفقر، ولا يفك عن عنقه ربق هوان الفاقة، وذلك انت حين نالك من نعم لم تشكره على بلائه، ولم تجزه بالائه ما تقدمت به اشباهك ونظراءك وللا ما احببت من اكون بالغ عذر، ولا مرهق عسر، ولا طالب اعتلال لترك مظاهر الحجج وتوكيدها قابضاً يد العقاب قبل المداورة وملبساً جناح الرحمة قبل النعمة، فاقلع عن صباية غيك، وتتكب خطل رايك، اذ باب التوبة لك مفتوح، وبطانها بقبول انابتك قبل ان يسقط بك يد الافراط على النوب، ولا يبعد الله الا من ظلم والسلام^(٢).

(١) النمر والثعلب لسهل بن هارون: ٢٠- ٢١ .

(٢) المصدر نفسه: ١٥٧-١٥٩ .

٤- رسالة من الذئب الى الملك

بسم الله الرحمن الرحيم
صلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم

(اما بعدُ فَإِنَّ كِتَابَ الْمَلِكِ - اِمْتَنَعُ اللَّهُ بِهِ - وَصَلُ إِلَيَّ بِمَا حَذَرَ فِيهِ وَإِنْدَرِ وَقَدَمَ
وَآخِرَ وَفَهَمْتُهُ وَقَدْ كَانَ الْمَلِكُ - حَفْظُهُ اللَّهُ - اسْنَدَ إِلَيَّ أَمْرُ هَذَا الثَّغْرِ الْمَخُوفِ عَلَى
حِينَ انْتِشَارِ مِنَ الْعَدُوِّ بِهِ، وَانْقِطَاعُ مِنْ سَبْلِهِ وَاخْتِلَافُ مِنَ الْكَلِمَةِ بَيْنَ أَهْلِهِ، وَتَفَرُّقُ مِنْ
الْأَهْوَاءِ فِيهِ، فَرَأَيْتُ صَدْعَ الْآفَةِ، وَجَمَعْتُ شَمْلُ الطَّاعَةِ وَكَشَفْتُ زَحْمَةَ الْفِتْنَةِ وَاسْغَتْ
الرِّيْقَ بَعْدَ الشَّجَا، وَجَمَعْتُ أَوْلِيَ الْعِدَاوَةِ وَالْيَغْضَاءِ وَأَقَمْتُ حَقًّا كَانَ مَعْلَمُهُ مَتْرُوكًا،
وَدَفَعْتُ ضَلَالَةً كَانَ مَحْرَمُهَا مَسْلُوكًا، التَّمَسُّ بِذَلِكَ جَزِيلُ الثَّوَابِ وَكَرِيمُ الْمَابِ،
وَرَضَا الْمَلِكِ وَالزَّلَافَةَ عِنْدَهُ، فَعَادَ مَا عَمَلْتُهُ هَبَاءً، وَلَمْ أَجِدْ مِنْهُ شَيْئًا مَشْكُورًا وَمَا يَقَعُّعُ
لِمَثَلِي بِالشَّنَانِ، وَانِّي لِأَلُوي بَعِيدَ الْمُنْتَشِرِ فَإِنْ يَسْتَتِمُ الْمَلِكُ صَنِيعَتِهِ وَيَرْبُ نِعْمَتِهِ فَإِنَّ
بَيْنَ الْعَصَا وَلِحَائِهَا، وَالْأَفْسِيْجِدْنِي جَذَلَ حَكَكَ إِذَا نَكَاتَ فَرَحَةً أَدْمِيْتُهَا أَحْمَرُ ضَرَابًا
بِالسَّيْفِ وَالسَّلَامِ) (١).

٥- رسالة من الملك إلى الذئب

بسم الله الرحمن الرحيم
صلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم

"أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي رَأَيْتُكَ تُقَدِّمُ رَجُلًا وَتُؤَخِّرُ أُخْرَى، فَإِذَا نَظَرْتُ فِي كِتَابِي هَذَا
فَأَعْتَمِدُ عَلَى أَيُّهُمَا شِئْتُ فَإِنْ كُنْتُ سَلَمًا فَأَقْبِلْ وَإِلَّا فَأَذْنِ بِحَرْبٍ وَالسَّلَامُ" (٢).

(١) النمر والثعلب لسهل بن هارون: ١٥٥.

(٢) المصدر نفسه: ١٥٣.

٦- رسالة من الذئب إلى الملك^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

صَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ

"أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ قَرَأْتُ كِتَابَكَ بِمَا كَشَفَ عَنْ ضَمِيرِكَ، وَبَيَّنَّ عَنْ ضَعْفِ حَوْلِكَ تَأْمُرُ بِالْمَسِيرِ إِلَيْكَ وَالْوُقُوفَ بَيْنَ يَدَيْكَ أَوْ الْإِذْنَ بِحَرْبِكَ، وَالتَّرَقُّبُ لِكَيْدِكَ، فَطَالَمَا جَرَيْتَ عَلَى غَوَايِكَ، وَتَمَتَّعْتَ بِظِلَالَتِكَ مُغْتَرًّا بِالسَّلَامَةِ أَمِنَّا لِعَوَاقِبِ النَّدَامَةِ، تَسْتَفْتِحُ بِالْأَمَانِيِّ أُمُورَكَ وَتَشِيدُ بِالْأَمَالِ خَدِيمَكَ وَقَدْ عَوَذْتَكَ الْإِيَّامَ حَيْفَ^(٢) دَوْلَهَا وَأَجَرْتَكَ حَبْلَ غُرُورَهَا، وَاغْفَلْتَكَ عَنْ نَصَبِ خِدْعِهَا، وَابْسِطْتَ حُلَّ مَتْعِهَا، وَاسْتَخَفَّكَ مَهْلَ الزَّمَانِ، وَاعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَوْلِ وَالْإِعْوَانِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّ صِرْعَتَكَ حَرَامٌ عَلَى الدَّهْرِ، وَأَنَّ يَوْمَكَ مَنْسِيٌّ إِلَى الْحَشْرِ، كَأَنَّكَ لَمْ تَرَ أَوْلَى الْعِنَادِ الظَّاهِرِ، وَالْعَزَّ الْقَاهِرِ وَذَوِي التَّحَاشِدِ وَالتَّنَاصُرِ قَدْ طَغَوْا فَبَغَوْا، وَيُؤْسُوا فَاجْتَرَوْا وَآوَسَعُوا فَأَفْسَدُوا، فَكَيْفَ قَطَعَ الدَّهْرَ آمَالَهُمْ، وَضَعُضَ^(٣) أَرْكَانَهُمْ وَهَدَمَ بَنِيَانَهُمْ وَفَرَّقَ جَمَاعَتَهُمْ، وَصَدَعَ شَمْلَهُمْ وَقَلَّلَ حَدَّهُمْ وَاسْلَمَهُمْ إِلَى مَصَارِعِ وَنَوَازِلِ النَّقْمِ بِهِمْ، تَضَرُّبُهُمْ يَدُ الْإِثْمِ مِنْ سَيْفِ الْإِعْتِرَارِ وَتَرْمِيهِمْ الطَّمَانِينَةُ عَنْ قَوْسِ الْعِثَارِ، وَيَجِيءُ الزَّمَانُ عَلَيْهِمْ بِشِقَاءِ الْإِقْدَارِ، فَدَحْرَجَتْهُمْ مِنَ الْإِيَّامِ الثَّقَلُ، وَتَغَيَّرَتْ لَهُمْ مِنَ الزَّمَانِ الْمَقَهْ، فَصَارُوا إِلَى الْهَوْنِ بَعْدَ الْقُوَّةِ وَالْإِذْلَ بَعْدَ الْعِزَّةِ، وَتَلَّكَ عَاقِبَةُ مَنْ أَضَاعَ الْحَقَّ وَغَمَطَ النِّعْمَةَ وَاسْتَشَعَرَ النِّخْوَةَ، وَاشْتَمَلَ بِالْعَجَبِ أَفْهَ الْعَقْلِ وَادْرَعَ لِلْحَاجَةِ بِقَوَى الْهَوَى، فَتَحَسَّبَنِي عَوْدُ الْمُنْكَسِرِ وَهَشِيمُ الْمُحْتَضِرِ، كَلَّا بَلْ عَصَبْتُ بِالسَّاعِدِ الْأَشَدِّ، وَذَهَبْتُ بِالْخَصِمِ الْأَلَدِّ، وَرَمَيْتُ بِالْحَجَرِ الْمَصْدِّ، شَوْكَةً طَعَنْتُكُمْ اللَّهُ بِحِدِّهَا فَلَا يَنْتَعِشُ شَابِكُهَا، وَلَا يَخْبُوا لِضَاهاهَا لَهَا شَجَى الْعَتَاةِ الْمُتَكَبِّرُونَ

(١) النمر والثعلب لسهل بن هارون: ١٦٢-١٦٣.

(٢) حيف: المكان أو الأرض، النمر والثعلب لسهل بن هارون: ١٦٢-١٦٣.

(٣) ضعضع: خلخل، جعلها تضطرب، النمر والثعلب لسهل بن هارون: ١٦٢-١٦٣.

والظلمة الجبارون مثلك فارق الى ضلعك ايها النمر، فأتا لن نحمل ابداننا ذلة سلطانك علينا، ولم ن ظلم أنفسنا بحكمك فينا، وليس لك عندنا الا حد السيوف، وملامح الزحوف، وطاوله الابطال، ومنازلة الاقران، ظلك منها خافق البنود وشمك منها سهد الحديد فان رجعت عن التهور بحسن التدبير فذلك احجى بك، والا فأتني بما ادنت به ادين^(١).

٧-رسالة من الملك إلى الذئب

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم

(أما بعد، يا ابن اللكيعة وعبد العصا، أبا لحرب تخوفنا، ونحن فلق جوانها^(٢) ومواضع البائها، ومثير عجاجها ورهاجها^(٣)، وخائضوا اغمارها ولحجها، وسحائب الدماء بسيوفنا تنهل، وبردقها من صفائحنا تنكل، فنحن أبناء الحتوف^(٤)، وفصلات السيوف. ما نجم قرن فتنه الا حدتنا، ولا سعى علينا فيها باغ إلا ابرنا، معاقلنا السلاح ولقاونا الكفاخ^(٥)).

(١) النمر والتغلب لسهل بن هارون: ١٤٩-١٥١ .

(٢) الكعبة: الحمقاء، اللثيمة/ فلق جوانيها ، انظر: النمر والتغلب لسهل بن هارون: ١٤٩-١٥١ .

(٣) رهاجها: غبارها، او السحاب الرقيق، وتطلق على آثار الفتنة بين القوم ، انظر: المصدر نفسه: ١٤٩-١٥١ .

(٤) الحتوف: الهلاك، ويراد بها المهلكون، فصلات السيوف: السيوف المصنوعة بعناية، انظر: المصدر نفسه: ١٤٩-١٥١ .

(٥) كتاب النمر والتغلب لسهل بن هارون: ٣٢-٣٤.

٨-رسالة من الملك الى الذئب

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم

(مِنْ مَلِكِ النَّمُورِ الْمُظْفَرُ بْنُ مَنْصُورٍ إِلَى الطَّاعِيَةِ الشَّيْبَةِ بِاسْمِهِ مَكَابِرُ بْنُ مَسَاوِرٍ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهَدْيَ. أَمَّا بَعْدُ فَأَنَّكَ لَمْ تَمُرْ بِقَتْلِ وَثَابٍ صَوَّبَ سَحَابٍ، وَلَا اسْتَدْرَتَ بِهِ عَذَبَ شَرَابٍ بَلْ مَرِيتَ بِهِ صَوْتَ عَذَابٍ، وَكَأْسَ سَلْعٍ وَصَابٍ، وَ قَدْ رَأَيْتَ خَلَقَ حَدِيدَ مُضَاعَفُ التَّشْدِيدِ وَخَوَافُ الْبَنُودِ مُحْفُوفَةٌ بِالْجُنُودِ وَبِوَارِقِ السِّيُوفِ تَضْحَكُ إِلَى الزَّخُوفِ، وَتَفْتَرُ عَنْ الْحَتُوفِ، وَالْقَنَا يَتَحَطَّمُ، وَاللَّبِيبُ يَتَهَشَّمُ، وَالْأَسْنَةُ تَرَعُفُ وَالْقُلُوبُ تَرْجَفُ وَالْفَرَائِضُ تَرَعُدُ وَالسَّوَادُ تَخْضُدُ، وَالْهَامُ تَنْفَلِقُ، وَالرَّقَابُ تَنْتَلِقُ، إِذَا لَاسْتَبَدَلْتَ بِفَرْحِكَ تَرْحَا، وَبِسُرُورِكَ بَرْحَاً وَبَاعْتَبَاظِكَ نَدَامَةً وَبِتَقْرِيطِكَ مَلَامَةً وَبِجَذْلِكَ أَيْلَاساً وَبِطُمَانِينَتِكَ انْحَاساً، وَاعْلَمْ أَيُّهَا الْمَغْرُورُ أَنَّ لِلْبَاطِلِ دَوْلَةً، سَلَطَهَا الْإَيَّامُ بِالْقَهْرِ وَتَنَكَّبَهَا غَلْبَةُ الْإِنْدَالِ وَخُجَجَ الْجَهَالِ وَحَسَادِ النِّعَمِ وَصَقَاطِ الْهَمِّ وَيَحْمِي عَنْهَا أَوَّلُو الْخُمُولِ وَذَوُو الضَّعْفِ فِي الْعُقُولِ حَتَّى إِذَا ظَنَّ سَادَتُهَا وَقَادَتُهَا أَنْ قَدْ أُسْتَغْلَظَ سَوْفَهَا^(١)).

اللغة والاسلوب في رسائل سهل بن هارون (الديوانية)

إن تلك الرسائل عبارة عن رسائل متبادلة بين الملك هو (النمر) ووال من ولاته وهو (الذئب) والمستشار (وهو الثعلب) فالرسالة الأولى كانت صادرة من الملك إلى الوالي.

حيث إن هذه الرسالة تتحدث عن تخطئه الذئب الذي نكث بعهد للملك حيث إن الملك (النمر) امر مستشاره (الثعلب) أن يكتب إليه لتقريعه وتأنيبه، إن الذئب كان قد

(١) النمر والثعلب لسهل بن هارون: ١٤٥-١٤٦ .

تعود على تقديم العطاء والهدايا للملك, حيث إن الملك لم يحتمل انقطاع الهدايا هذه عنه, مما ادى إلى غضب الملك عليه ومن العبارات التي كان فيها نوعاً من التهكم والتقريع (بالذنب) "فإن امرأاً لو صان ثوب نعمته, لما مسه من عُرِي قاسية في رسالته في قوله: (لكنك سمنت وبطنت فامتعدت الاشر, وامتطيت البطر)^(١).

وختم رسالته بآية قرآنية توحى بالتهديد والوعيد, ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ

مُنْقَلَبٍ يَنْفَلِبُونَ﴾^(٢).

والكاتب في رسالته لم يذكر السلام

أما رسالته الثانية فقد كانت من الملك الى الذئب الهدف منها وضع حداً لحسم الامر مع الذئب ومن خلال كتاب (النمر والثعلب) اتضح لنا من خلال هذه الرسالة ان الملك بذل كل ممارساته وجمع وزراءه ومستشاريه وشاورهم في امر الذئب, ولقد جاءت هذه الرسالة اكثر ايجازاً من الرسائل الاخرى, والفاظه الموجزة كانت دارت على المعاني التي تدور حول السلم والحرب.

أما في رسالة سهل بن هارون الثالثة من الذئب الى الملك.

ان الذئب في هذه اراد ان يبين للملك انه وجماعته من الذئاب قادرون على ردع الملك, وانهم غير نادمين على الخسارة.

لان الموت بالعز خير من الذل والهوان, ولقد اشار الثعلب مستشار الذين عليم بعدم مواجهة الملك, واستمر الذئب في خروجه على الملك متهماً اياه بعدم مقدرته في

(١) النمر والثعلب لسهل بن هارون: ١٤٥-١٤٦ .

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.

السياسة الرعية, وان الملك ليس كفواً في قيادة الرعية, ولقد جاءت الفاظ الكاتب جزلة تدور حول السلم والحرب.

اما الرسالة الرابعة من الملك الى الذئب, فقد قرر الملك في هذه الرسالة شن الحرب فيما بينهما, حيث جاءت رسالته حاملة بالسخرية من الوزير, وتحدث عن الذئب ونهايته التي باتت وشيكة, لان الوزير (الذئب) قاد حرباً واوقد فتنة, وفقد اصبح خائفاً لما تؤول اليه الامور بهذه السرعة.

ب. الرسائل الديوانية عند عمرو بن مسعدة.

١- رسالة الى نصر بن شيت

(اما بعدُ فانَّك يا نصرُ بن شيت قدَ عرفتَ الطاعةَ وعزَّها وبرَدَ ظلِّها، وطيبَ مرتعها، وما في خلافها من الندم والخسارِ فانَّه انَّما يُملِي لمنْ يَلتمسُ مَظاهِرَ الحجةِ عليه لنفَعِ عِبرةً باهلها على قدرِ اصرارهم واستحقاقهم وقد رأيتَ اذكارَكَ وتبصُّرَكَ لِمَا رَجَوْتَ ان يكونَ لِمَا اكتبُ به اليكَ موقعَ منك، فان الصدقَ صادق، والباطلُ باطل، وانما القولُ بمخارجِهِ وباهلِهِ الذين يعنونُ بِهِ، ولم يعاملكَ من عمالِ امير المؤمنين احد انفعَ لك في مالِكَ ودينِكَ ونفسِكَ ولا احرصَ على استنقاذِكَ... فباي اول أو اخرَ او اوسطَ اقدامِكَ، يا نصرُ على امير المؤمنين تأخذُ امواله وتتولى دولتهِ دونه ما ولاه الله، وتريدُ ان تبنيثَ امناً مطمئناً او وادعاً او ساكناً او هادئاً فوا عالمُ السرِّ والجهر، لئن لم تكنْ للطاعةِ مراجعاً وبها خانعاً لتستوبلنَ حَمَ العافية، ثم لا بُدَّ ان يكَ قَبْلَ كلِّ عملٍ، فانَّ قرونَ الشيطانِ اذا لم تقطعْ كانتْ في الارضِ فتنةً ومشادُ كبيرٍ ولاطانَ بمنْ معي مِنْ انصارِ كواهلٍ رعاغُ اصحابِكَ ومن تشبهِ اليك من اداني البلدانُ

واقاصيها وطعامها واوباشيها، ومن انتهوا الى حوزتك من خراب الناس، ومن لفظة بلده وعشيرته لسوء موضعه فيهم وقد اعذر من اندر^(١).

٢- رسالة في تقرير وال:

النص: (إنه قد بلغ أمير المؤمنين ما كان من الزيادية، وخلعك أياها إذ كانت من قريش فمتى تحاكت إليك العرب - لا أم لك- في انسابها ومتى وكلتك قريش، يا ابن اللخاء ان تلصق بها من ليس منها؟ فخل بين الرجل وامرأته، فلئن كان زياد من قريش إنه لابن سمية بغي عاهرة، لا يفتخر بقرابتها، ولا يتناول بولادتها، ولئن كان ابن عبيد لقد باء بأمر عظيم، إذ ادعى الي غير أبيه لحظ تعجله، وملك قهره^(٢)).

٣- رسالة في الوصاية

(كتابي الى امير المؤمنين، ومن قبلي من قواده، وسائر اجناده في الانقياد والطاعة على أحسن ما تكون عليه طاعة جند تأخرت أرزاقهم وانقياد كفاءة تراخت اعطياتهم، واختلت لذلك اخوالهم والتأثت معه أمورهم^(٣)).

٤- رسالة في الشفاعة

(اما بعد فقد استشفع بي فلان الى امير المؤمنين لتطولك علي وعليه في الحاقه بنظراته من المرتزقين فيما يرتزقون فاعلمته ان امير المؤمنين لم يجعلني في مراتب

(١) الكامل في التاريخ، لابن اثير: ٢٠٧/٥؛ تاريخ الامم والملوك للطبري: ٥٦٩/٣.

(٢) جمهرة رسائل العرب: ٤٣٤/٣؛ امراء البيان العربي: ٢٠٣/١.

(٣) وفيات الاعيان وابناء الزمان لابن حلكان: ٣٧٨/٣؛ امراء البيان العربي: ١٩٧/١؛ جمهرة رسائل العرب: ٤٣١/٣.

المستشفع بهم وفي ابتدائه بذلك تَعْدِي طاعته، وللسلام قَدَمنا تصرّيحك له وتعريضك بنفسك واجبناك اليهما واوقفناك عليهما^(١).

٥- رسالة في الوصاية والعناية

(كتابي اليك - اعزك الله - كتابٌ واثقٌ بمنَ كَتَبْتَ اليه معني بمنَ كَتَبْتُ له ولنُ يُضِيعُ بينَ العنايةِ والثقةِ لحامله)^(٢) .

٦- الرسالة الاخيرة

(ان راى امير المؤمنين ان يفك اسر عدته من ربة المطل بقضاء حاجة عبده والاذن له بالانصراف الى بلده موقفاً)^(٣) .

اللغة والاسلوب في رسائل عمرو بن مسعدة (الديوانية)

ان هذه الرسالة كانت تقريراً للوالي (ابي الرّازي محمد بن عيد الحميد) الذي كان والياً على اليمن في زمن المأمون وقتل فيها^(٤) حيث انه فرق بين رجل وزوجته لان زوجته من قریش والآخر من آل زياد^(٥) وهي رسالة كتبها عمرو بن مسعدة بأمر امير المؤمنين المأمون لهذا الوالي وردعه عن ظلمه لهذين الزوجين حيث يروى إن عمرو بن مسعدة قال على لسان المأمون (فمتى نصبت نفسك حكماً على قریش) وقد تناول عمرو بن مسعدة العبارات النابية، الامر الذي ادى فزع الوالي ولقد استهل رسالته هذه مباشرة، بالإيجاز وعدم الإطالة، حيث إن الكاتب كان في رسالته هذه قد استعمل الاستفهام الإنكاري وبأسلوب النداء للتوبيخ حيث قال له (لا ام لك).

(١) صبح الاعشى في صناعة الانشاء: ١٢٥/٩ ، امراء البيان العربي: ٢٠١ / ١ .

(٢) وفيات الاعيان وابناء الزمان لابن حلكان: ٤٧٥/٣ ، صبح الاعشى في صناعة الانشاء: ١٢٥/٩ .

(٣) المحاسن والاضداد للجاحظ: ١١ ، جمهرة رسائل العرب : ٤٣٣/٣ ، امراء البيان العربي: ٢٠١/١ .

(٤) تاريخ الامم والملوك للطبري: ٦١٩/٨ .

(٥) ينظر: الامامة والسياسة، ابن قتيبة: ٣٤٦-٣٤٨ .

اما في رسالته الثانية فقد اتسمت بالبلاغة والإيجاز, وقد كتب تلك الرسالة بناء على طلب محاربين طالت خدمتهم للمأمون, حيث أظهرُوا الطاعة للمأمون بالرغم من سوء احوالهم واحوال عوائلهم وهذه الرسالة الديوانية تمثل موضوعاً انسانياً.

ج. اختيار الالفاظ الساخرة وزخرفتها في نثر العصر العباسي الاول

اولاً: المحسنات البديعية الساخرة في رسائل سهل بن هارون

١- السجع

لقد ورد السجع في كتاب (سر الفصاحة): بأنه: المناسبة بين الالفاظ في الصيغ^(١)

والسجع المبالغ فيه يعدُّ قيداً يعطل من حركة العقل, واخذ اطواراً مختلفة حتى وصل العصر العباسي, وسأبدأ برسالة سهل الادبية, حيث لم اعثر له في رسالته (تفضيل الزجاج على الذهب) الاً مثلاً واحداً (لا يحمل الوضر ولا يتداخله الغمر) اما في رسالة (ثعلة وعفراء) فهناك بعض الامثلة التي تدل على السجع كقوله: (شاهدٌ على وهن العقيدة, وتقصير الرؤية).

(ومضر بالتدبير, ومخل بالاختيار), (فساد المروءة ولزوم النقيضة) وحرص سهل بن هارون على بناء رسائله الادبية, فلم يبالغ في استخدام السجع بل اهتم بالتنسيق ما بين اللفظ والمعنى, ولم يتصنع في توظيفه للسجع, واكثر من توظيفه فقط في رسالته الاولى (في البخل).

اما في رسالة الاخوانية, فقد جاء بالسجع خدمة للنصوص, حيث جاء السجع في الرسائل التي بعثها إلى صديق له بعد شفائه قائلاً:

(١) سر الفصاحة، الخفاجي: ١٥٠.

(فكاد يشغل القلق بأوله عن السكون لآخره, وتذهل الجيرة في ابتدائه عن المسرة في انتهائه), ومن رسالة اخرى لصديق حيث كانت تقرّياً جميع عباراتها مسجوعة منها: (الكلام على عهدك, وداع ذي وضنين بك في غير مقلبه لك, ولا سلو عنك, واقرار للعجز عن استعطافك...)

اما في رسائله الديوانية فمن السجع في رسالته الأولى قوله: (لكنك سمت وبطنت فاقتعدت الاشر, وامتطيت البطر), (فسمحت له براسك, وطاع له جبينك, فانت متسكع في جهالتك مبادرة في ضلالتك...), ولقد لاحظت في رسائله الادبية أنها جميعاً تنتمي إلى كتاب النمر والتعلب (الذي حرص فيه على الاكثار من السجع, إن السجع لون من ألوان البديع النثرية, قال الخفاجي فيه سهلاً بلا كلفة بحيث أنه لم يقصد في نفسه... دون موافقه لفظه)^(١).

٢- الجنس

(وهو لون من ألوان الصورة البديعية في الأسلوب الادبي وهو أن تتشابه لفظتان في نص ما في أربعة اشياء, نوع الحروف, وعددها, وهيأتها وترتيبها)^(٢).

إن الجنس قد كثر في رسالته الأولى في ذم البخل في غير مكان, اما في بقيه رسائله الادبية فلم اعثر الا على مثال واحد في رسالته (تقبيح الذهب) وذلك في قوله: (وهو فائن فاتك لمن صانه).

واستخدم سهل الجنس بقله في رسائله الادبية فقال في رسالته الأولى (ارتياًعاً للأولى, وارتياًحاً للأخرى) حيث لم يرد في هذه الرسالة من الجنس إلا ما جاء عفواً دون قصد.

١ () الاسلوبية والبيان، الخفاجي: ١١٥.

٢ () البخلاء للجاحظ: ٤٩.

ومن أمثله في رسائله الديوانية قوله: (فنقفك على ما إن وقفت عليه وأبصرت خطأك), ومثال آخر من رسالته الثانية (ذراني جناحه وكنفني رجاحه), (صريع سطوته, عتيق عفوته).

وفي الثالثة قال: (ومن لم تشكره على بلائه لم تجزه بالائه) و (كأنك لم تر أولي العناد الظاهر والعز القاهر), (ومياها كؤوس السماء, تعمل فيها ونهل) و(لعضضت على أصبعك بالندم, ولات حين مندم) (لا النور نور, ولا الظلام اظلام).

٣- الطباق

عرفه الخطيب القزويني بقوله: هو الجمع بين المتضادين اي معنيين متقابلين في الجملة^(١).

فقد ورد في رسائله الادبية هذه العبارات التي تدل على الطباق (تقديم, ابطاء/ فساد, لزوم/ المروءة, النعمة/ العمر, الاجل/ ابخل, يوجب) وهذه العبارات قليلة في رسائله الادبية إذا ما قورنت مع نصه الاول البخل, مقارنه مع النص الذي قارن فيه ما بين الزجاج والذهب, حيث استخدم فيه عدداً قليلاً من الطباق.

اما رسائله الاخوانية فقد وردت فيها بعض عبارات الطباق في قوله (حلولها, وارتحالها) (اوله, آخره/ القلق, الشكوى/ ابندائه, انتهائه/, ومنها /خطأ, حسن/ استسلام, اقرار.

ومن الطباق في رسائله الديوانية مثل (نعمه, فاقه// الكرامة, الهوان// نعمه, نعمه// رشدك, زلك) وفي سالتة الثنائية (غمرة, هوة// حاذرها, عاثرها/ سطوته, عفوته) ومن الرسالة الثالثة قوله: (الرحمة, النعمة) وبعض الامثلة من الرسائل الباقية قوله (قدّم, أخر/ انتشار, انقطاع/ صدع, شمل/ نفته, توفر/ السلم, الحرب/ السلامة,

١) الايضاح في علوم البلاغة للقزويني: ٢٨٥/٤.

الندامة/ مغترأ، آمنأ/ الهوان، القوة/ الدنيا، الآخرة/ اوله , آخره) وفي رسائله الاخيرة
(تقتّر، تضحك/ اعتبارك/ تفريطك/ فرحك، ترضأ/ طمأنينة، أنحأمسأ/ نطق، صمت/
عز، ضيم)

٤- الازدواج

شدد ابو هلال العسكري على الازدواج، وعده فناً ظاهراً في كلام من لا
يلتزمون بالسجع من الكتاب^(١)

ومن امثلة الازدواج في رسائله الادبية في رسالته في (مدح البخل) قال:
"وهم على سد عظيم، وفيه شيء ثمين"، (على عبد نهم، وصبي جائع) (ونفيس
المأكول، وغريب المشروب)، (وثمين الملبوس وخطير المركوب).

ومن امثلة الازدواج في امثله الادبية الاخرى (شاهدته وهن العقيدة وتقصير
الرؤية)، (عوض عن فساد المروءة ولزوم النعمة).

ومن الازدواج في رسالته (تقبيح القمر) قال: (يقرض الكتاب ويشجب
الالوان)، (يعين الساري، ويفضح العاشق).

ومن امثله في رسائله الاخوانية. (ارتباعاً للأولى، وارتياحاً للآخرى) ومنه
أيضاً: (وتذهل الحيرة في ابتدائه عن المسرة في انتهامه)، (بلغني خبر الفترة في
المامها، وانحسارها والشكاة في حلولها وارتحالها)، (استسلام للبلوى في امرك،
واقرار بالعجز عن استعطافك).

اما في رسائله الديوانية في رسالته الأولى (فاقنعت الاشر وامتطت البطر)
(فانت متسكع في جهالتك، ومبادر في ضلالتك)، (وتلاقيت ما فرط.. تلك وعفيت
على سوء أمرك) ومن رسالته الثانية (غذوها بماء الشكر واعيتها بجميل الذكر)،
(اسهرني وعيده واقلقني تهديده) (واجز عني توليه واوقفني تجنيه).

١) النثر الفني في القرن الرابع الهجري: ٨٤.

ثانياً: المحسنات البديعية الساخرة في رسائل عمرو بن مسعدة

١- السجع

بعد لن قمنا بدراسة رسائل سهل بن هارون من الجانب الفني لابد إن نقوم بدراسة إلى رسائل عمرو بن مسعدة الفنية.

ومن ذلك نبدأ برسائله الادبية, وهي رسالته الوحيدة التي تكلم فيها عن سمات الوزير الجيد, حيث كانت معظم العبارات في تلك الرسالة ملئية بالسجع فقال (إذا لطف في خلأقه, واستقامة في طرائقه), (وقد هذبته الآداب, واحكمته التجارب) (يسكته الحلم وينطقه العلم) (وتكفيه اللحظة, وتغنيه اللحمة), (له صولة الامراء, وانة الحكماء وتواضع العلماء, وفهم الادباء..).

أما رسائله الاخوانية فكانت خمس أكثر من السجع في الاولى والثانية وفي الثالثة جاء السجع محتضراً تقريباً, فمن سجعه في رسالته الاولى قوله: (وتطلع شديد, وبعد عهد بعيد), (وفي المواصله بالمكاتبة, ثم تضاعف المسرة يخبر السلامة وعلم الحال في الهيئة), (ولا اجشمك متابعة الكتب, ولا اكما عليك المشاكلة بالجواب, وتقنعني منك في كل شهر كتاب), ومن قوله في الثاني (واذا اسس بنى ليستتم تشييد أسسه, ويجتني ثمار غرسه). (وثناؤك عني قد شارف الدروس وغرسك مشف على اليبوس), (فتدارك بناء ما اسست وسقي ما غرست).

أما رسائله الديوانية, فالسجع له خصوصية معينة, ففي رسالته الاولى (إنما القول بمخارجه وبأهله الذين يعنون به), (ومن تأشب اليك من أداني البلدان وأقاصبها, وطغامها, واوباشها), (قد عرفت الطاعة وعزها) ورأيت إذ كارك وتبصيرك) (وتريد أن تبيت آمنة مطمئناً أو وادعاً أو ساكناً أو هادئاً) ومن رسالته الثانية (زيادته في عددك زيادة في عدده, ومكانك من دولته) ومن رسالته الثالثة

(فمتى تحاكت اليك العرف - لا أم ك- في انسابها, ومتى وكلتك قريش يا ابن اللخاء بن تلصق بها من ليس منها) (فلئن كان زيادة من قريش إنه لابن سميّه لا يفخر بقربها ولا يتناول بولادتها) (إذا ادّعى إلى غير ابيه لحظ تعجله وملك قهره) ومن رسالته الثالثة (جند تأخرت ارتزاقهم وانقياد كفاءة تراقب اعطباكهم)

٢- الجنس

بما أن الجنس ضرب من ضروب التلاعب بالألفاظ فإن الكاتب حاول تجنبه ومن ذلك قوله: (يسكنه الحلم وينطقه العلم وهو من الجنس الناطق).

وفي رسائله الاخوانية قوله في رسالته الاولى: (سالكا سبيل التخلص مما أنا مخلصك منه) (ولن تلزم نفسك إلا الزمت نفسي منه كثيراً) ونذكر في رسالته الثانية أيضاً: (فموصل كتابي اليك سالم, والسلام), وفي رسالته الثالثة قال: (وثناؤك عني قد شارف الدروس, وعزسك مشفٍ على اليبوس).

فمن أمثله في رسالته الاخيرة, قوله (ما يوليه بعد قبضتها من منحه صبراً من منحه) (كشف عنا ستر الحيرة بما شرع من الحلال ستر العيرة), (ومع من عضل الامهات كما منع وأد البنات), (وهناك الذي شرح للتقوى في صدرك ووسع في البلوى صبرك), (فوصل الله لسيدي ما استشعره من الصبر على غرسها, وما يستكسبه من الصبر على نفسها).

اما في رسائله الديوانية فكان تركيزه على المعنوية دون الشكل.

ومن الجنس في هذه الرسائل (فإن صدق صدق, والباطل باطل) (قد أعذر من انذر), (زيادته أيّاك في عددك, زيادة له في عدده) (ليتطول عليه في الحاقه بنظرائه من المرتزقين فيما يرتزقون) (يسكنه الحلم, وينطقه العلم).

٣- الازدواج

إن عمر بن مسعدة قد أكثر من الازدواج في رسالته الادبية الوحيدة, وبعود لمناسبتها, وطبيعتها.

ومما ورد في رسالته الادبية قوله (إذا لطف في خلائقه واستقامة في طائفه), (هذبته الآداب, وحكمته التجارب), (وان ائتمن على الاسرار كتمها وان قلد مهمات الامور نهض بها), (يسكنه الحلم وينطقه العلم), (تكفيه اللحظة, وتغنيه اللحمة).

وفي رسائله الاخوانية من ذلك: (ما تابعت من الكتب, وعدمت من الجواب) (أدام الله مودتك, وثبت إخاءك, واستماح لي فيك), ثم هناك بعض هذه الامثلة من رسالته كانت تجمع ما بين السجع والازواج حيث يقول: (إذا غرس سقى, وإذا أسس بنى) ليستقم تشييد اسسه , ويجتني ثمار غرسه), (اقتدارك بناء ما أسست وسقي ما غرست).

اما رسائله الديوانية فقد وردت فيها العبارات التالية (قد عرفت الطاعة وعزها ويرد ظلها, وطيب مرتعها) وقوله (وعلى قدر إصرارهم واستحقاقهم) (فان الصدق صدق, والباطل باطل), (من لفظته بلده, ونفته عشيرته).

ومنه أيضاً (لمحلك عنده, ومكانك من دولته), (وجعله باراً نقياً, مباركاً زكياً) ومن امثلة رسائله الاخرى: (لا يفتخر بقرابتها ولا يتطاول بولادتها), (طاعة جند تأخرت ارزاقهم, وانقياد كفاة تراخت اعطياتهم), (واختلت لذلك احوالهم, والتأنت معه أمورهم), (واثق عن كتبت إليه, معنى بمن كتبت له) .

٤- الطباق

هو الجمع بين المعنى وضده^(١).

في رسائل عمرو بن مسعدة نجد مثلاً واحداً للطباق في رسالته الادبية الوحيدة (يسكته وينطقه)

اما في رسائله الاخوانية فنجد عدداً غير قليل ومنها (قليلاً, كثيراً) ومن امثلته الاخيرة لرجل تزوجت أمه (التقوى والبلوى), (نعمه, ونقمة), (العاجلة, والآجلة), (ملحة, مخنة).

ومن الطباق في رسائله الديوانية (الصدق, الباطل), (اول, آخر), (السُر, الجهر), (أدنى, اقصى).

١ () ينظر: كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر لابي هلال العسكري: ٣٩٩-٣٥٢؛ الايضاح في علوم البلاغة للقزويني: ٤٧٧/٢.

الخاتمة

تذيل الرسائل الجامعية أو الاطاريح بخاتمة يعرض فيها الباحث نتائج بحثه من تقاليد العرف الجامعي لذا سنقف عند اهم النتائج المستخلصة التي علنتها الرسالة او وصفتها، ويبقى البحث في الادب بشكل عام، خاضعاً لاحتمالات التغير والتبديل بل بحسب اختلاف القراءات للنص الادبي وتباين المناهج والرؤى وتنوعها، ذلك ان الخطاب الادبي باختلاف فنونه وانواعه لا يدخل ضمن الموضوعات التجريبية، وقد ارتأينا أن نلخص اهم نتائج البحث التي توصلنا اليها .

بعد دراسة الفكاهة والتهكم ، تبين بأنها اسلوب حضاري لتهديم قدسية السلطة بشتى انواعها، وتجاوز كل الخطوط الحمراء عبر الرفض والاحتجاج واختزال اللغة وتجاوز المحرمات.

ومن خلال متابعة تطور الادب الساخر في الادب العربي، بدءاً من القرن الاول وانتهاءً بالقرن الثاني الهجريين، لاحظت ان الادب الساخر احتل مكانة عالية بين فنون الادب الاخرى، فلم يكن ظهوره وبلوغ ذروته مقصوراً على العصر الاموي والعباسي فقط، وانما حاله كحال اي فن من الفنون يمر بمراحل اضمحلال وهبوط، ومراحل تطور وصعود حسب البيئة التي تحيط به وبالأدبيات .

اما البيئة في صدر الاسلام والعصرين الاموي والعباسي الاول فقد وفرت لهذا الفن تربة خصبة ومناخاً صالحاً لإكمال تطوره، وذلك بما فيها من عوامل حضارية تمثلت بالانفتاح الحضاري، فكان الانفتاح ذا تأثير واضح على اصعدة متميزة في الوطن العربي.

أما البيئة السياسية في العصر الاموي والعباسي الاول والتي تختلف بكثرة الثورات والانتفاضات، فقد اعطت المبرر للفكاهة والتهكم من السلطة الاموية والعباسية- فضلاً عن ظهور تيارات الحاد كالشعبوية والزندقة، مما هيا ظروف

لتطور فن التهكم والسخرية بسبب الصراع بين موقف بالضد من هذه القيادات او التراجع عنها.

وتتكامل العوامل السياسية مع العوامل الاقتصادية والاجتماعية لتشكل إطاراً ضم كل المؤشرات التي ساعدت على تطور الفكاهة والتهكم والسخرية في هذه الفترة من التاريخ الاسلامي والتي عاش الناس فيها في فقر وحرمان ساعدا بدورهما على ظهور ادب يعبر عن آلام هؤلاء.

وفيما يخص بواعث ادب التهكم والفكاهة واتجاهاته، فهو يختلف باختلاف الظروف المحيطة به وغاياته عند الاشخاص، ولا يستطيع حصره باطار محدد قد يكون بواعث ذاتية تتصل بطبع الاديب ذاته او مؤثرات تنبع من محيط الاديب فتحرك لديه نوازع نفسية تترجم بصور عدة، منها التهكم والسخرية.

اما عند ادبنا في هذين القرنين فقد استطعنا تحديدها بثلاثة انواع الباعث السياسي والاقتصادي والاجتماعي، كل لديه نتيجته وما هو عليه من الالم والمحن، فالباعث السياسي كثرت فيه نقائص المجتمع انذاك بأسلوب ساخر تهكمي، فترى الشعراء على صراع دائم مع القادة فكان هذا سبب تولده لدى الشعراء مما ادى الى السخرية السياسية من هؤلاء الامراء والقواد والساسة وكذلك الحال الاقتصادية والمعاناة التي كانت سبباً في التهكم من العمال والولاة والحكام.

وفيما يخص الدراسة الفنية للنص النثري الساخر، فان الادباء من الكتاب لا يميلون الى منهج محدد في البدء والختام ويوازنون بين التقليد والمحاكاة وبين الميل الى التجديد.

وبرزت من خلال النصوص الساخرة صفة المبالغة التي اصبحت جزء من ميزات الاسلوب الساخر.

اما فيما يخص الالفاظ، فقد تنوعت ما بين الفاظ اعجمية دخلت الحياة السياسية والاجتماعية نتيجة الاختلاط العرفي والالفاظ هندسية وفلسفية وادبية، عبرت عن ثقافة الادباء فتعمدوا الى توظيفها توظيف الالفاظ الشعرية، وكذلك الحال في الشعر في تلك الفترة الذي مر بنفس ظروف النثر.

وقد اسهم التشبيه والاستعارة والكناية فضلاً عن الطباق والمقابلة في تعميق دلالة النص النثري والشعري الساخرين، وتشكيل الصورة تشكيلاً فنياً رفيعاً.

اما الاسلوب فقد امتاز في هذين القرنين لاستعمال الزخرف البديعي من سجع وازدواج وتكرار وقياس وتفاوت نسبتها في الرسائل، فنلاحظ اهتمام الكتاب والشعراء بالسجع وغلبته على اسلوبهم حتى اصبح رأس مدرسة ادبية عنيت بالسجع قياساً بغيره من المحسنات.

وفيما يخص الخصائص الشكلية للشعر، يكاد يغلب على شعر الشعراء الساخر من المقطوعات او المختارات، اما اللغة الشعرية فقد تحددت بسهولة الالفاظ والبعد عن التقصير والغريب.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً: الكتب

- ١- ابو العتاهية، محمد بن برانق، لجنة البيان العربي، القاهرة، ط١، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م.
- ٢- ابو نواس في تاريخه وشعره ومبادئه وعبثه ومجونه، ابن منظور المصري، قدم له: عمر ابو النصر، دار الجيل، بيروت- لبنان، (د.ت).
- ٣- الاخبار الطوال، ابي حنيفة احمد بن داود النيثوري (ت٢٨٢هـ) قدم له ووضع حواشيه: د. عصام محمد الحاج علي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- ٤- ادب السياسة في العصر الاموي، احمد محمد الحوفي، مطبعة العالم العربي، القاهرة، ط٣، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.
- ٥- اسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ)، تعليق: محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- ٦- الاسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لاصول الاساليب الادبية، احمد الشايب، مكتبة النهضة، القاهرة، ط٣، ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م.
- ٧- الاسلوبية والبيان، محمد عبد المنعم الخفاجي، الدار المصرية- اللبنانية، ١٩٩٢م.
- ٨- اشعار الشعراء الستة الجاهليين، اختيار العلامة يوسف بن سليمان بن عيسى الشنميري (ت٤١٥هـ) منشورات دار الافاق الجديد، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ٩- الاصابة في تمييز الصحابة، احمد بن علي بن محمد الكناني ابن حجر العسقلاني، مطبعة السعادة، مصر، ط١، ١٤٢٨هـ.

- ١٠- الاغاني، ابي الفرج علي بن محمد الاصفهاني (ت٣٥٦هـ)، دار الثقافة،
قوبل على نسخة قديمة بالكيشخانه الخديوية، مؤسسة عز الدين بيروت -
لبنان، ١٩٥٦م.
- ١١- الأُمالي القالي في النوادر، ابو علي القالي اسماعيل بن القاسم البغدادي
(ت٣٥٦هـ)، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان،
(د.ت) .
- ١٢- الامامة والسياسة، ابن قتيبة ابو عبد الله بن مسلم الدينوري (٢٧٦هـ)، تحقيق:
د. طه محمد الزيني، الناشر مؤسسة الحلبي ، طبعة سجل العرب، القاهرة ،
ط١، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٧م.
- ١٣- امراء البيان العربي، محمد كرد علي، الافاق العربية، القاهرة، ١٤٢٤هـ -
٢٠٠٣م.
- ١٤- انساب الاشراف، صنفه الامام احمد بن علي جابر البلاذري (ت ٢٧٩هـ-
٨٩٢م) تحقيق: د. سهيل زكار، رياض زركلي ، بأشراف: مكتب البحوث
والدراسات في دار الفكر ، ط١ ، بيروت - لبنان، (د.ت) .
- ١٥- الايضاح في علوم البلاغة، الامام الخطيب القزويني، (ت٧٣٩هـ) شرح
وتعليق وتنقيح : محمد عبد المنعم خفاجي، دار احياء الكتب العربية، حلب-
سوريا، ط٢، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م.
- ١٦- البخلاء، ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تحقيق: طه
الحاجري، دار المعارف، القاهرة، ط٩، ٢٠١٠م.
- ١٧- البداية والنهاية، للحافظ عماد الدين ابي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير
القرشي الدمشقي (٧٠١ - ٧٧٤هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبيد الحسن
التركي، مركز البحوث والدراسات العربية بدار هجر، (د.م)، (د.ت).
- ١٨- البلاغة والتطبيق، احمد مطلوب، كامل حسن البصير، مطابع بيروت
الحديثة، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

- ١٩- البيان والتبيين، ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت - لبنان، (د.ت).
- ٢٠- تاريخ الاسلام السياسي، حسن ابراهيم حسن، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط٧، (د.ت).
- ٢١- تاريخ الامم والملوك، ابي جعفر محمد بن جرير الطبري، (ت٣١٠هـ)، دار القلم، بيروت، سلسلة روائع التراث العربي، ط١، هذه الطبعة مطابقة لطبعة محمد ابو الفضل ابراهيم، ط٥، ١٩٩٨م.
- ٢٢- تاريخ النقائض في الشعر العربي، احمد الشايب، الاستاذ المساعد بجامعة الملك فؤاد الاول، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د.ت).
- ٢٣- تاريخ اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر، دار صادر، بيروت، ط١، ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م.
- ٢٤- تاريخ بغداد منذ تأسيسها حتى سنة (٤٦٣هـ)، الحافظ ابي بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت).
- ٢٥- تحفة الوزراء، ابو منصور الثعالبي، تحقيق: ابو ديه استاذ مشارك في جامعة اليرموك، دار البشير، اربد- الاردن، ١٩٩٤م.
- ٢٦- التطور والتجديد في العصر الاموي، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٥٩م.
- ٢٧- ثقافة الناقد الادبي، محمد النويهي، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، دمشق، ط١، ١٩٤٩م.
- ٢٨- جدلية الخفاء والتجلي، دراسات بنيوية في الشعر، كمال ابو ذيب، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٧٩م.
- ٢٩- جمهرة أشعار العرب، ابو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (ت١٧٠هـ)، دار صادر، بيروت، ط١، ١٣٠٦هـ - ١٩٣٧م.

- ٣٠- جمهرة رسائل العرب، احمد زكي صفوت، مطبعة مصطفى الحلبي واولاده، القاهرة، ١٣٠٦هـ - ١٩٣٧م.
- ٣١- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد احمد الهاشمي، (د.ط)، ايران، (د.ت).
- ٣٢- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، جلال الدين الاسيوطي، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، مصر، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
- ٣٣- الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري او عصر النهضة في الاسلام، آدم متز، نقله الى العربية: محمد عبد الهادي ابو ريده، الاستاذ في كلية الآداب جامعة القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط١، (د.ت).
- ٣٤- الحضارة العربية، جاك س، ريلر، ترجمة: غنيم عبدون، (د.ط)، القاهرة، ١٩٦٧م.
- ٣٥- حياة الشعر في الكوفة الى نهاية القرن الثاني الهجري، د. يوسف خليف، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
- ٣٦- الحيوان، ابي عثمان عمر بن بحر الجاحظ، (١٥٠هـ - ٢٥٥هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي واولاده، مصر، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م.
- ٣٧- خزانة الادب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر عمر البغدادي (ت ١٠٣٠هـ - ١٠٩٣هـ) شرح وتحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.
- ٣٨- دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر، محسن اطيماش، منشورات وزارة الاعلام، ١٩٨٢م.

- ٣٩- ديوان ابو العتاهية، شرحه وعلق عليه: محمد معروف الساعدي، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط٥ ، ٢٠٠٩م .
- ٤٠- ديوان ابو دلامة الاسدي، شرح وتحقيق: د. اميل بديع يعقوب ، دار الجيل، بيروت، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- ٤١- ديوان ابو نواس، شرح وتحقيق: محمد انيس مهرات، دار مهرات للعلوم، حمص- سوريا ، ط١ ، ٢٠٠٩م.
- ٤٢- ديوان ابي النجم العجلي، جمعه وحققه وشرحه: د. نجيع جبيلي، دار صادر، بيروت، ط١ ، ١٩٩٨م.
- ٤٣- ديوان الحطيئة، برواية وشرح: ابن السكيت، دار الفكر العربي، بيروت - لبنان، ط١ ، ٢٠١٠م.
- ٤٤- ديوان الحماسة، ابي تمام حبيب بن اوس الطائي، برواية ابي منصور موهوب بن احمد بن محمد الجواليقي (ت٥٤٠هـ)، تحقيق: د. عبد المنعم خفاجي، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، سلسلة كتب التراث (١٠١) ، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠.
- ٤٥- ديوان الراعي النميري، دراسة وتحقيق: الدكتور نوري حمودي القيسي، وهلال ناجي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ٤٦- ديوان العجاج، رواية وشرح الاصمعي ، تحقيق : د. عزت حسن، مكتبة دار الشرق، بيروت ، ١٩٧١م .
- ٤٧- ديوان الفرزدق، قدم له وضبطه وشرحه ووضع فهارسه الدكتور صلاح الدين الهواري، دار مكتبة الهلال، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٧م .
- ٤٨- ديوان المعاني، ابن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحي اللغوي العسكري، (د.ط)، (د.م)، (د.ت).
- ٤٩- ديوان النابغة الجعدي، جمعه وحققه: د. واضح الضمد، دار صادر، بيروت، ط١ ، ١٩٩٨م.

- ٥٠- ديوان النابغة الذبياني، شرح وتقديم عباس عبد القادر، ماجستير في اللغة العربية وآدابها، دار الكتب العمية، بيروت- لبنان، ط٣، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.
- ٥١- ديوان النجاشي الحارثي، (قيس بن عمرو) القرن الاول الهجري، صنعة وتحقيق: صالح البكاري، والطيب العشاري، وسعد غراب، ط١، مؤسسة المواهب للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.
- ٥٢- ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر، ١٣٧٧هـ- ١٩٥٨م.
- ٥٣- ديوان بشار بن برد، شرح وتكميل: محمد الطاهر بن عاشور، تعليق: رفعت فتح الله، ومحمد شوقي امين، (د.ط)، القاهرة، ط١، ١٣٧٣هـ- ١٩٥٤م.
- ٥٤- ديوان دعل الخزاعي، جمعه وقدم له وحققه: عبد الصاحب عمران الدجيلي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢، ١٩٧٢م.
- ٥٥- ديوان زهير بن ابي سلمى، ط٣، دار صادر، بيروت .
- ٥٦- ديوان طرفه بن العبد، ط٣، دار صادر، بيروت- لبنان، ٢٠١٢.
- ٥٧- ديوان عامر بن الطفيل (١٠هـ - ١٣١م) رواية ابي بكر محمد بن القاسم الانباري عن ابي العباس، احمد بن يحيى ثعلب، ط٢ دار صادر، بيروت، ١٤١٣هـ - ٢٠١٠م.
- ٥٨- ديوان عمر بن ابي ربيعة، شرح وتحقيق: عباس ابراهيم، دار الفكر العربي، بيروت.
- ٥٩- ديوان كعب ابن مالك الانصاري، جمع وتحقيق: سامي مكى العاني، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٥م .
- ٦٠- ديوان مسكين الدارمي (ت٨٩هـ - ٧٠٨م)، تحقيق كارين صادر، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٣٣١هـ - ٢٠١٠م..
- ٦١- زهر الآداب وثمر الالباب، شرح وتحقيق: زكي مبارك، دار الجيل، بيروت - لبنان، ط٤، ١٩٧٢هـ.

- ٦٢- سر الفصاحة، ابو احمد عبد الله بن سعيد بن سنان الخفاجي، اعتنى به وخرج
فهارسه: داود غطاشة الشوابكة، دار الفكر، ناشرون وموزعون، بيروت-
لبنان، ط١، ٢٠٠٦م.
- ٦٣- سرح العيون في شرح ابن زيدون، جمال الدين بن نباته المصري (ت٦٨هـ)
تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٤م.
- ٦٤- السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا، ابراهيم الايباري، وعبد
الحفيظ شلبي، مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي واولاده، مصر، القسم الاول
ج١-٢، ١٣٣٥هـ - ١٩٥٥م.
- ٦٥- شذرات الذهب في اخبار من ذهب، ابي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي،
(ت١٠٨٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
- ٦٦- شرح القصائد العشر، ابو زكريا يحيى بن علي التبريزي (ت٥٠٢هـ)، دار
المطبعة المنيرية، مصر، ط١، (د.ت).
- ٦٧- شرح ديوان الاخل، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الافاق الجديدة، بيروت
- لبنان، ط١، ١٩٧١م.
- ٦٨- شرح ديوان جرير، محمد اسماعيل عبد الله الصاوي، منشورات دار مكتبة
الحياة، مصر، (د.ت).
- ٦٩- شرح ديوان حسان بن ثابت، ضبط الديوان وصححه: عبد الرحمن البرقوقي،
دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م.
- ٧٠- شرح ديوان علقمة، طرفه، عنتره، تحقيق نخبة من الادباء، دار الفكر
للجميع، بيروت، ١٩٦٨م.
- ٧١- شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار
احياء الكتب العربية، مصر، ط١، ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م.
- ٧٢- شعر ابي نؤاس، قراءة اسلوبية، عبد الناصر حسن محمد، المجلس الاعلى
للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م.

- ٧٣- شعر المتوكل الليثي، تحقيق : د. يحيى الجبوري، (د.ط)، بيروت، ١٩١٨م.
- ٧٤- الشعر والشعراء، ابن قتيبة ابو محمد عبد الله بن مسلم الدينوي (ت٢٧٦هـ)، شرح وتحقيق: احمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
- ٧٥- شعراء امويون، دراسة وتحقيق: د. نوري حمودي القيسي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
- ٧٦- شعراء عباسيون، بوستاف فون غرنيانوم، ترجمه واعاد تحقيق: د. محمد يوسف نجم، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٥٩م.
- ٧٧- صبح الاعشى في صناعة الانشاء، ابو العباس احمد بن علي القلقشندي (ت٨٢١هـ)، مصورة عن الطبعة الاميرية، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر، مصر، ١٣٨٣هـ- ١٩٦٣م .
- ٧٨- صحيح البخاري كتاب الهبة وفصلها، مصطفى البغاء، دار العلوم الانسانية، دمشق، ط٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- ٧٩- الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، بشرى موسى صالح، المركز الثقافي العربي، (د.م)، ط ١، ١٩٩٢م .
- ٨٠- الصورة الفنية في التراث الفني النقدي والبلاغي، جابر عصفور، دار الثقافة والنشر، القاهرة، ١٩٧٤م .
- ٨١- الصورة الفنية في سياق النص الشعري الحديث، حسام قطوس، مجلد/٩ ، العدد ١، ١٩٩٨م.
- ٨٢- الضحك، هنري بيرجسون، ترجمة: اركان يوسف بيثون، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ٢٠١٠م.
- ٨٣- طبقات الشعراء، ابي العباس عبدالله بن معتز العباسي (ت٢٩٦هـ)، تحقيق: عبد الستار احمد فراج، دار المعارف، مصر ، ذخائر العرب، ط٤، ١٩٨١م.
- ٨٤- الطبقات الكبير، محمد بن سعد، تحقيق: د.علي محمد عمر ، منشورات مؤسسة النصر، مكتبة الخانجي، القاهرة، طبع في لندن، ايران، ١٢٢١هـ.

- ٨٥- طبقات فحول الشعراء، محمد عبد السلام الجمحي (ت ١٣٩٠ - ٢٣١هـ)، قرأه وشرحه: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة ، (د.ت).
- ٨٦- طرائف واحوال العرب، احمد امين محمد محمد جاد المولى، علي الحازم، (د.ط)، (د.م)، (د.ت).
- ٨٧- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني ، (ت ٤٥٦هـ) تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، المطبعة العربية العصرية ، صيدا- بيروت، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .
- ٨٨- عيون الاخبار، ابي محمد عبدالله بن مسلم الدينوري (ت ٢٢٦هـ) مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٤٤٣هـ - ١٩٢٥م.
- ٨٩- فتوح البلدان، احمد بن يحيى بن جابر البغدادي المعروف بالبلاذري، طبع بمطبعة الموسوعات، القاهرة - مصر، ط١، ١٣١٩هـ - ١٩٠١م .
- ٩٠- فتوح مصر واخبارها، ابو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله بن عبد الحكم ، طبع في ليدن ، ١٩٢٠م.
- ٩١- فجر الاسلام ، احمد امين، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط١٤، ١٩٨٦م .
- ٩٢- الفكاهة في الادب العربي الى نهاية القرن الثالث الهجري، محمد معوق ابو عيسى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٠م.
- ٩٣- فن الشعر لارسطو، تحقيق عبد الرحمن البدوي ، دار الثقافة بيروت لبنان، ط٢، ١٩٧٣م .
- ٩٤- فن المقالة، محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ١٩٥٧م.
- ٩٥- فوات الوفيات والذيل عليها، محمد بن شاكر الكتبي، (ت ٧٦٤هـ) تحقيق: د. احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤م.
- ٩٦- قواعد الشعر، ابو العباس احمد بن يحيى ثعلب (٢٠٠هـ - ٢٩٦هـ) تحقيق: د. رمضان عبد التواب ، دار المعرفة ، القاهرة، ط١، (د.ت).

- ٩٧- الكامل في الادب، ابي العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد النحوي، (ت ٢٨٥هـ)، دار الفجالة، القاهرة، رقم الايداع ٨١/٢٣٧٩، (د.ت) .
- ٩٨- الكامل في التاريخ، ضياء الدين بن الاثير (ت ٦٣٠هـ) راجعه وصححه: د. محمد يوسف الدقاق، (د.ط)، مصر ، ١٣٤٩هـ.
- ٩٩- كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، ابي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري، (ت ٣٩٥هـ)، حققه وربط نصه: علي محمد البجاوي، محمد ابو الفضل ابراهيم، دار الفكر العربي، بيروت- لبنان، ط ٢، ١٩٧١ م .
- ١٠٠- كتاب العقد الفريد، ابن عمر احمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي، دار الكتاب العربي ، لبنان ،عني بطبعه: احمد امين ، احمد الزين ، ابراهيم الايباري، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ١٠١- كتاب الوزراء والكتاب، تصنيف ابي عبد الله محمد بن عبدوس الجهشيارى حققه وربط فهارسه: مصطفى السقا، ابراهيم الايباري، عبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى الحلبي واولاده، القاهرة، ط ١، ١٩٣٨م.
- ١٠٢- الكميت بين العقيدة والسياسة ، علي نجيب عطوي، دار الاضواء، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ١٠٣- لسان العرب، جمال الدين ابي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري، حققه وعلق عليه: د. احمد سالم الكيلاني ، حسن عادل النعيمي ، مركز الشرق الاوسط الثقافي، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠١١م .
- ١٠٤- مجموع اشعار العرب، وهو مشتمل على ديوان رؤية بن العجاج وعلى ابيات مفردات منسوبة اليه، اعتنى به وصححه وليم بن ورد، منشورات دار الثقافة، بيروت، ط ١، ١٩٧٩م.
- ١٠٥- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، محمد حميد الله ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط ٢، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م.

- ١٠٦- المحاسن والأضداد، ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق: فوزي عطوي، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت- لبنان، ١٩٦٩م.
- ١٠٧- المحاسن والمساوي، الشيخ ابراهيم بن محمد البيهقي، دار صادر، بيروت لبنان، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.
- ١٠٨- محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ابي القاسم حسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني، (د.ط)، (د.ت).
- ١٠٩- المخصص، ابي الحسن علي بن اسماعيل النحوي اللغوي الاندلسي المعروف بابن سيدة، (ت ٤٥٨هـ)، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع، بيروت، (د.ت).
- ١١٠- مروج الذهب ومعادن الجوهر، ابي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، (ت ٣٤٦هـ - ٥٥٧م) اعتنى به وراجعته: كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، بيروت، ط ١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
- ١١١- المستطرف في كل فن مستظرف، شهاب صلاح الدين بن احمد بن ابي الفتح الاشبيهي، (ت ٨٥٠هـ) طبعة جديدة منقحة بأشراف المكتب العالي للبحوث ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان ، ٢٠١٠م- ٢٠١١م.
- ١١٢- معجم البلدان، شهاب الدين ابي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي، دار صادر، بيروت ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
- ١١٣- معجم الشعراء، الامام ابي عبدالله محمد بن عمران المرزباني، (ت ٣٨٤هـ) تعليق: د. ف كرنكو، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٤هـ.
- ١١٤- معجم مقاييس اللغة، ابي الحسين احمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان- بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ١١٥- مقاتل الطالبين، ابو الفرج الاصفهاني، المطبعة الحيدرية ، النجف الاشرف، ط ٢، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

- ١١٦- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، تحقيق: الأستاذ حجر عاصي، منشورات مكتبة الهلال، بيروت، ط ١، ١٩٨٣م.
- ١١٧- الملل والنحل، ابو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: محمد فتح الله بدران، مطبعة الازهر، مصر، ط ٢، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م.
- ١١٨- من معالم الحضارة العربية الاسلامية، قصي الحسين، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، (د.ت.).
- ١١٩- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، ابي عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني (ت ٣٨٤هـ) تحقيق وتقديم: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ١٢٠- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ابي عبد الله محمد بن احمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ط ١، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.
- ١٢١- النثر الفني في القرن الرابع الهجري، زكي مبارك، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، (د.ت.).
- ١٢٢- نقائض جرير والاخلط، الامام الشاعر الاديب الماهر ابي تمام، حبيب بن امين الطائي (ت ٢٣١هـ)، نسخة الاستانة الوحيدة، علق عليها الاب انطون صالحاني اليسوعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٢٢م.
- ١٢٣- نقائض جرير والفرزدق، ابي عبيدة معمر من المثنى التيمي البصري، (ت ٢٠٩هـ) وضع حواشيه: محمد احمد عبد العزيز سالم، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط ٢، ١٩٧١م.
- ١٢٤- النقد التطبيقي والموازنات، محمد الصادق عفيفي، دار النهضة، مصر، ١٩٧٣م.
- ١٢٥- نقد الشعر، قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق: د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (د.ت.).

- ١٢٦- النمر والثعلب، سهل بن هارون، حققه وقدم له وترجمه الى الفرنسية: عبد القادر المبير، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الجامعة التونسية، تونس، ١٩٧٣م.
- ١٢٧- نهاية الارب، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري (ت ٦٧٧هـ)، المؤسسة المصرية للترجمة والنشر، القاهرة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، (د.ت).
- ١٢٨- نواذر الجاحظ، بقلم ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تقديم الدكتور جميل جبر، دار الاندلس، بيروت، ١٩٦٣م.
- ١٢٩- الهجاء والهجاءون في الجاهلية، محمد محمد حسين، مكتبة الآداب، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.
- ١٣٠- وفيات الاعيان وابناء الزمان، لابي العباس، شمس الدين احمد بن ابي خلكان، (٦٨١هـ) تحقيق: د. احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ١٣١- وقعة صفين، ابو الفضل نصر بن مزاحم المنقري (ت ٢١٢هـ)، شرح وتحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل البيروتي، بيروت، (د.ت).
- ١٣٢- يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر، ابي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)، تحقيق: علي محمد عبد اللطيف، المكتبة الحسينية المصرية بالازهر، مصر، (د.ت).

ثانياً: الرسائل والاطاريح

- ١- اساليب السخرية في ادب الجاحظ ، رسالة ماجستير ، تأليف عبيد نصيف جاسم الكبيسي، كلية التربية الجامعة المستنصرية، (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).
- ٢- السخرية في البلاغة العربية (دراسة تحليلية تطبيقية) شعيب بن احمد بن محمد عبد الرحمن النزالي ، (١٤١٤هـ) ، المملكة العربية السعودية ، جامعة ام القرى .
- ٣- شعر ابي صخر الهذلي (دراسة اسلوبية) ، اسماء شمس الدين عبدالله، رسالة ماجستير، كلية الآداب ، جامعة بغداد، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- ٤- الصورة المجازية في شعر المتنبي، رشيد جليل فالح، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، بغداد ، ١٩٨٥ .
- ٥- الفكاهة في الشعر العباسي (١٣٢هـ - ١٤٧هـ)، سليمة جاسم محمد، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- ٦- النثر الفني لدى عماد الدين الاصفهاني الكاتب (٥٩٧هـ) دراسة موضوعية، عبد الرحمن عمر حسين، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.

ثالثاً: المجلات

- ١- كآبة لا تنقشع، صقر ابو فخر، مجلة الدوحة، العدد (٣٦) لسنة ٢٠١٠م.
- ٢- نزعة التمرد والسخرية، د. عناد غزوان، مستل من مجلة البلاغ، العدد (٣).

Ministry of Higher Education and Scientific Research

College of Arts / Baghdad University

Department of Arabic Language

Art of Fun and Derision in the First and Second Hijri Century

A Thesis Submitted by

Salman Sajit Show'e

**To the Council of College of Arts – Baghdad University
As a partial fulfillment of Master Certificate in Arabic
Language and Arts**

Supervised by

Assist. Prof. Dr. Abdul Munaim Aziz Al-Nasir

2013 A.C.

1434 A.H.

ABSTRACT

This study entitled to deal with treat and sarcasm the Arabic literature in the first and second centuries A.D., it has shown that the emergence of this kind of sarcasm and humor satirical came by great significant social, influenced the individual and society, has taken poets, writers, humor and sarcasm and a means of exchange and expression, so they to revealed many of the problems and disadvantages of the methods of rhetorical high, and called for addressing them.

The study was built on an introduction and three chapters and a conclusion and a list of sources. The first chapter, which was motivated reason to get these types of humor political kalpoaos and economic and social development.

The second chapter titled, themes literature humor both types of prose and poetry in the first and second centuries AD, has appeared humor in it in the literature of letters, speeches, and the story, as it appeared in the hair, and balding, and the large nose, and badness, the length of the beard, and old dress, poverty, hunger and narrow case and cynicism of avarice and Scrooges, and the weakness of manhood and cheese, and genealogy and stupidity and gravity, and the decline in human life, and breaking promises, and dealt with irony and sarcasm from different social groups, so it deal wives and daughters and the singers and the singers, and the servants and slaves, poets, writers and grammarians and speakers.

The third chapter, he is the technical study, which included language and style, image and showed duplication of language collected classical and popular sometimes. This chapter revealed numerous methods taken satirical art and increased the influence of the most important style of interview and unify disparate meanings, this technique has contributed to the formation of a variety of images he showed was animated cartoons barely pronounce itself.